الرواية الحائزة على جائزة نجيب محفوظ بمسابقة إبداع ٥

حورس

أحجية التاريخ القديم

ضياء الدين خليفة

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

حـــورس

ضياء الدين محمد خليفة

٢٠١٨م

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

رئيس مجلس الإدارة
سعيد عبده مصطفى

كتب ثقافية

تصميم الغلاف:
ضياء الدين خليفة

تم التنفيذ بمركز زايد للنشر الإلكترونى
بدار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل –
القاهرة – جمهورية مصر العربية

خليفة، ضياء الدين محمد.
حورس/ ضياء الدين محمد خليفة.
القاهرة: دار المعارف، 2017.
248 ص، 19.5 سم
تدمك 4 8607 02 977 978
1 – القصص العربية.
2 – القصص التاريخية.
(أ) العنوان.
تصنيف ديوى: 813
رقم الإيداع: 17106/ 2017
رقم أمر التشغيل: 64/ 2017 /1
رقم الكونجرس: × – 840525 – 01 – 2

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت
إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من دار المعارف.

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

إهـداء

إلى صديق سألنى ذات يوم:

كيـف كان قدمـاء المصريـين والإغريـق متقدمـين إلى هـذه الدرجـة وفـى النهايـة يؤمنـون بأسـاطير خرافيـة مثـل زيـوس وهركليز أو إيزيـس وأوزوريس؟؟! يبدو أن هناك شيئا لا نفهمه!!

قصـة واحدة ذاع صيتها حتـى الوقت الراهن وتناولتها الحضارات بأسماء مختلفة، ولكن عندمـا نجمع الخيوط معًا ستكتشـف أنك تذكر اسم شاب صنع التاريخ (حورس).

حـكـايـة نـــدر مـنـهـا الأدب الـعـربـى برغم عراقتها.

(حـــورس)

حكاية ندر منها الأدب العربى برغم عراقتها

تعـرض الروايـة فى إطـار تمهيـدى مقتطفـات مهمة من قصص الأنبياء التى كانت تسـبق تلـك الحقبة، ومصادر الرواية موجودة فى آخر الكتاب، وقد استغرق الكاتب فيهـا سـنوات مـن البحـث المتعمـق لينال شـرفًا أعظـم بأن تكـون بين أيدى حضراتكم حصيلـة ثلاثة أعوام من البحث الشاق فقط لإمتاعكم.

ولكن وجب أن أنوه أن هذه الرواية ليسـت كتاب تاريخ ولا يجـوز أخـذ أحداثهـا علـى أنها حـدث تاريخـى برغم ما تسـتند إليـه من مصـادر وأبحـاث مذكـورة فى آخر الكتـاب، وإنمـا كتابـة المصـادر هنـا هى فقـط بمثابة شـكر لمؤلفيها، ودعـوة لمن أثار اهتمامه وأوغره التسـاؤل وأثـاره الشـك فـى أن يبحـث فيها ربمـا يكتشـف خيطًا جديدًا.

«لا بـــؤس، لا شـــر، لا عـــنـــف.
أنـــا فـــاتـــح الـســمـــاء،
صاحب العرش والآتون يحكمون اليوم،
لا طفل يقترب من ممر الأمس،
والـــيـــوم يـــومـــى،
فـأنـــا مـن يـحـكـم لـلأبـد.
يـا أهـل الـسـمـاء، يـا أهـل الأرض،
جنوبيين وشماليين، شرقيين وغربيين،
فلتكن مهابتى داخل أجسادكم.
أنا من له عين صافية ولن أموت ثانية
فعزيمتى من أجسادكم وكينونتى داخلى،
أنـــا ســـرُ.
أنـا غـيـر قـابـل للاختراق...
أنـت أيـهـا الآتـى مـن الـبـيـضـة،
أنـا حـورس الـخـالـد»

[المنطوقة ٤٢ - كتاب الموتى]

الفصل الأول

أرض الجنوب

تتباين قصص الحضارات مــن أرض لأخرى باختلاف ألوانها، مثل تباين ألوان الطيف الســبعة التى تخرج من المنشــور الهرمى، تلك الألوان السبعة التى تراها تخرج عبر المنشور الزجاجى ليست إلا شعاعا أبيض صافيا ناصع البياض.. ربما تفضل أنت لونا ورفيقك يفضــل الآخر.. ولكن فى النهاية لا أحد منكم يرى الحقيقة كاملة، ولكــى نتخلص من هــذا العائق، يجب أن نرجــع إلى نقطة البداية حيث الشــعاع الأبيــض، ثم نتبعه خطوة خطوة إلى داخل المنشــور لنتروّى كيف تحلل هذا اللون النظيف فأخرج ســبعة ألوان اختلف كل منهما عن قرينه.. تلك الرحلة داخل المنشــور هى التى ستوضح منبــت الحكايــة. وعندما تعــرف كيف حدث ذلــك.. حينها فقط ستدرك الحقيقة الكاملة.

اشتد صفير الهواء عبر طيات الخيمة وقد تشاوب مع عطن الرماد المحــترق الذى بقى لســنوات بعد حدوث الكارثــة، والذى جرائه اســتيقظت الأم فزعًا على صغيرها الوحيد «حورس» لترمقه فى قلق فتجده يصدر أنفاســه الأخيرة، زرقاء بشــرته وعلى ذراعه علامات لدغة الثعبان الكبير الذى كان يقف عن كثب يتلذذ بمشاهدة الصغير وهو يودع الحياة.

كان «حـــورس» ولـــدًا ضئيل الحجم، تهـــدده البيئة حوله من كل طرف وكنف، فقد كان مصابًا بذلك الداء الراهن، والذى انتشـــر بين كل مواليـــد هـــذا الجيل الجديد.. وهو مرض تقلـــص الحجم، يعتقد البعض أن هذه الحقبة هى التى ســـوف تشـــهد نهاية القرون الأولى مـــن العمالقة والجبابرة، وبدايـــة حقبة جديدة لمن هم ضئيلو الحجم لا تتجاوز أطوالهم المترين ونصف المتر.. وكان حورس الطفل صاحب العشرة أعوام واحدًا من تلك الحقبة المتقزمة.

صرخـــت الأم (إيزيس) فزعًا فجـــزع الثعبان هربًا وحملت طفلها لتصغـــى لضربات قلبه التى تعاجلت.. كم كانت تتمنى أن يكون أبوه موجودا ليعالج الصغير بخبرته الطبية الحاذقة.

ولكن (أوزوريس) الرجل الجبار الشـــجاع قـــد توفى أثناء ولادة الصبى فى ظروف مبهمة، أو ربما اختفى.. فإيزيس الزوجة المخلصة مازالت تعتقد أنه لا يزال حيًا حتى الآن.. وحتى بعد مرور أكثر من عشـــرة أعوام على اندثار (أوزير) هى مازالت تشـــعر بروحه تطوف حـــول المكان، وأنه هو الذى ســـوف يعطى الصغـــير القوة ليقاوم هذا الموت الوخيم.

ســـوف يعـــود أوزوريـــس.. ربمـــا ليـــس الآن ربما بعد عشـــرة أعوام آخرين، ربما بعد مائة عام.. ســـوف تنتظره مثلما انتظرته من قبل عندما عاد من رحلته الكبرى إلى بلاد مغرب الشمس، ثم أسرى إليها مرة أخرى فى أرض الجبت حيث مطلع الشمس.

لقد وعدها بالعــودة وانتظرته فأوفى حتى بعد حدوث الكارثة.. وســوف يفعلها ثانية. فقد كانت تشعر بروحه «الكا» فى كل مظاهر الحياة حولها.

أطلق المصرى القديم تعبير «الكا» كمرادف روحى للجسد..

«الكا» التى تحولت فى نطقنا العربى الآن لاســم «القرين» ، فهى تمثل ظل هذا الفرد نفسه الذى نشعر بوجوده ولكنه غير حاضر.

كان لأوزوريس طيف فى كل شــىء حولها.. كانت «الكا» هى تلك النبتــة الخضراء التى تشــبثت بالحياة لتعيــد الزراعة إلى مصر مرة أخــرى بعد أن أصبحت صحراء جرداء إثر الكارثة، كانت «الكا» هى سريان مياه النيل فى مجراها مرة أخرى، كانت «الكا» هى دقات قلب ولدها الذى يقاوم الموت، بل كانت «الكا» هى التى تعطيها إحساســها بجســدها وجمالها وســريان الدم فــى عروقها، حتى كانت تســمع أوزوريس فى دقات قلبها نفســها فهو الأمــل الذى يعطيها الحياة، كانت روحه تكتنفها فتواسيها فى كل شىء حولها.

«لن يفنى قرينك كا لأنك أنت القرين» .

ثم تذكــرت الأم للتو «آلكيدر» هذا الشــاب الصغير الذى ارتحل إليهــم من أراضى العرب القاطنين شــرقًا، إلى جنــوب مصر -أرض الجبــت- وظهر بعــد الكارثة، والذى ذاع صيتــه وبراعته فى أمور الطــب برغم صغر ســنه وبرغم أنــه لم يكن من الجبابــرة، بل كان مــن ضئيلى الحجم مثل حــورس، ولكنه الأمل الوحيــد الذى ربما

ينقذ طفلها، وكان الطبيب الصبى «آلكيدر» برغم صغر حجمه وسنه يحمل حديثه حكمة وبراعة ليس لها مثيل.

ولد النهار.. وبزغت الشمس من رحم السماء..

رائع ومرهــق وبديع هذا الميلاد اليومى، هذا الميلاد المتكرر وهذا الإصباح المتكرر الذى يسمح بإعادة خلق الذات يوما بعد يوم.

مــع الضحكة يأتى البكاء ومثلمــا تتدفق دموع إيزيس على خدها الأحمر.. تجده ينعكس على نــدى الطبيعة الذى ينزلق على الوردة حديثة العهد.

اتجهت إيزيس وسط زقزقة العصافير ورائحة النسيم المصرى فى طريقها إلى بيت «آلكيدر».

تقفز الأسمــاك خارج النيل فى مرح ثم تعود مرة أخرى فتنشــر موجاته صوت المياه الهادئ لتعزف ســيمفونية الطبيعة التى ألهمت المصرى القديم ابتكار الموسيقى وسحرها.

النسائم تعابث الأشجار وهسيس النبات وزقزقة العصافير وشذا الأزهــار والرياحين وأدواح النخيل وأشــجار الكافور والجميز تهفو عليهــا الطير، وتجد إيزيس تحمل صغيرها ذا العشــرة أعوام النائم على يدها فلا يتجاوز حجمه حجم أيديها وينظر إليها عامة شــعب أرض الجبت الذين كان أغلبهم لا يتجاوز طولهم طول ساقها.

ترتــدى ثوبها الكتانى الأبيض الطويل بفتحة تغلق نفســها قبل نهاية ساقها بقليل، وحزامًا ذهبيًا، يحمل نقوشا مصرية، يليق مع

العقد حول رقبتها، وغطاء رأسها الفرعونى المنسكب بخطوط عرضية أغمق قليلا من لون سمائها الصافية.

يحترمها الشعب ويقدرها بسبب سمعة زوجها الطيبة، يتغاضون عمـا يفعله الآن أخوه الأصغر (ســت) بعد وفاته من محاولات بطش بعد أن أعلن نفســه ملكا على جنــوب مصر، التى قد أصبحت أنقاضا مهشــمة بعد تلك الكارثة العصيبة.. فينهب فى ثروات الأرض دون حتى أن يحاول إعادة بنائها.

لقد مرت مصر مؤخرا بأصعب فترة فى تاريخها - فعلى الأقل لم تكن قد حدثت اللعنات التى نزلت على فرعون موســى بعد... أو فى قــول أدق لم يظهر مصطلح (فرعون) بعد- إنه زمن الأســاطير.. فقد كان ذلك قبل أن يتم توحيد مملكة الشمال ومملكة الجنوب.

وبينما تسير إيزيس على ضفة النهر بجوارها البيوت والأكواخ البسيطة المبنية بطين النيل، أو من بعض الأحجار الخشنة، وأسقف مغطاة بالبوص أو الخشــب أو الحصير الملتصق بطبقة من الصلصال، وتســمع عامة الشعب يشاركونها العزاء لوفاة زوجها على الطريقة الجبتية القديمة فى ابتهال شعرى كتب خصيصًا لأوزوريس:

«إليك يا اسم الخلود
وسيد الملوك
يامن نراه فى اختفائه
فى أشياء الوجود

يا خضرة الصحراء
وفجر عتمة القلوب
يا من تتمشى بين النجوم
فتزيدها نورا ولمعانًا
روحك النبيلة ترفرف
هنا فى أبيدوس
حيث يوجد عرش الحياة
فوق قطعة أرض مقدسة
نحاول أن نحبها كما أحببتها
نهرها.. وطيور سماواتها
ووردها وأشجارها
وكل ما ينطق بالحياة...»

إن أبيــدوس هى عاصمة مصر الأولى فى عصر ما قبل الأســرات، وتقــع بين أســيوط شمالًا والأقصــر جنوبًا.. أســيوط التى لم يتغير اسمها عبر التاريخ حتــى الآن، وكانت تنطق فى اللهجة الجبتية باســم (ســاوت).. أما الأقصر فهى المدينة التى ولــد فيها حورس الصغير وكانت تسمى حينها (ثيفا) أو بلهجة أخرى (طيبة).

وكذلك هذا الموّال العظيم ما زال منقوشًا على شاهد حجرى يشرق فــى متحف اللوفر حتى الآن، وقد بــزغ من أبيدوس، التى سميت بعد ذلك ببلدة (سوهاج).. الشهيرة بمواويلها حتى الآن.

وفى واحدة من جداريات معبد «أبيدوس» نرى إيزيس – سيدة مصر دائما – فى صورة طائر كالعصفور يضرب بجناحيه فوق جسد «أوزوريس» الميت.. عصفور يضرب بجناحين رقيقين فى الهواء لتنتعش رئتى الميت «أوزوريس» كى يدخل خلاياه الهواء الذى حرم منه ويستعيد معه الحياة.. ولو حتى للحظات يتعانق فيها الحبيبان إيزيس وأوزوريس مرة أخرى ويرقصان معًا رقصة الوداع..

وتحت ظل أحد تماثيل أبيدوس الذى يمثل ذكرى خالدة لرجل اسمه (هرمس العظيم) أحد أهم وأكبر مؤسسى تلك الأراضى العريقة وعلمائها منذ زمن طويل قبل هذه الأحداث – ربما سنذكره فيما بعد – وبالقرب من منزل الشاب الأعرابى (آلكيدر) جلست (إيزيس) ووضعت الصبى (حورس) أمام آلكيدر الذى كان واقفًا يخفض رأسه احترامًا لتلك السيدة المثابرة العظيمة التى قضت أعواما من عمرها بحثًا عن زوجها فى جميع مقاطعات مصر، ودائبة رحلتها لم تنته حتى الآن.

نظر «آلكيدر» إلى الصغير وتحسس حرارته فى صمت ثم نظر إلى إيزيس قائلًا: «إنها لدغة (السا تا)».

هو أحد أسماء ثعبان الأفعى وتعنى حرفيًا بالجبتية «الشيطان ابن الأرض» وكان يسخره الجبتيون قديمًا فى السحر، حيث كانوا متألقين فى ذلك، بل هم أول من ابتدع السحر، الأمر الذى جعل كلمة (الجبت) باللغة العربية ترادف كلمة (الساحر).. أما كلمة (جبت) بلغتهم فتعنى الأرض أو البلدة.

أجابــت إيزيس فى حزن: «لقد تســلل إلى الخيمــة أثناء نومى ولا أفهم كيف لم ألحظه» .

– أتقطنين فى خيمة سيدتى!! (أجابها آلكيدر فى دهشة بعدما بصــق من فمــه ما حاول أن يمتصه من ســم كان لا يــزال لامعا فى ذراع حورس) .

– لقــد اعتدت على كثرة الترحال.. ولا يمكننى شــراء بيت فى كل مقاطعة.

– لا تقلقى سيدتى.. إن (حورس) قوى مثل أبيه وسوف يصمد، سوف يغدو بطلًا عبر الغد الآتى وتتردد سيرته عبر الحضارات.

قالها آلكيدر وهو يمسك بيده بعضا من الطين العفن ويضعه على مكان اللدغة كنوع من العلاج.

– أأنت متأكد مما تفعله؟

تساءلت الأم فى قلق فأجابها:

– إن هذا العفن يحفز الأجهزة المناعية فى الجســد، نستخدمه ليعمل كمضاد حيوى يعجل من عملية الشــفاء.. أتعتقدين أن دخول هذا الثعبان إلى الخيمة كان صدفة أم هو أمر مدبر من قبل أحدهم؟!

– ماذا تقصد يا آلكيدر؟

– مولاتى، أقصد أن حورس عندما يغدو كبيرًا ســوف يكتســب شــهرة وحبًا من الناس لأنه من ظهر أوزير العظيم.. وهذا ســوف يغضب بعض الطامعين الذين يحاولون السيطرة على الحكم.

– أتقصد (ست)!! هذا غير ممكن.

ألقـــى آلكيدر الكلمة ولم يؤكدها، كان يريد فقط أن يلقى الشـــك فـــى أعماقها فتتخـــذ حرصها منه بعد ذلك.. وهـــى حتى إن كانت تثق به ثقة تامة فســـيبدأ الآن الشـــك فى داخلها ويكرر فى عقلها الاســـتفهامات (هـــل يمكن؟؟ هـــل هو؟؟ هل يجـــوز؟؟).. ثم يغير آلكيدر الموضوع ببراعة بعد أن فعل ما أراده.

– انظرى إلى حشـــرة الجعران تلك. وأشـــار إلى خنفس الجعران الصغير الذى كان يخرج من تراب الأرض.. إن أنثى الجعران تبيض بيضتهـــا ثم تقضـــى عمرها فى تغليف هـــذه البيضة بتراب الأرض لتحميهـــا مـــن الهلاك، ثم تحفر ســـردابًا طويلًا فـــى باطن الأرض تدفن فيه البيضة، وعندما تفقس بيضة الجعران ويخرج منها وليد جديد، تبدو الصـــورة وكأن الحياة تخرج من التراب الميت.. بيضة الجعـــران هى بيضـــة الوجود قبل أن يكون موجـــودا، إنها البيضة التى تشير إلى غد كامن لم يتشكل بعد.. أتعلمين.. لقد خلق الإنسان فى البداية من طين كهذا.. فإن كلمة (إنســـان) العربية التى تعنى البشـــر هى فى الأصل كلمة جبتية مكونة من المقطعين (إن – سين) و(إن) تعنى [بواســـطة، مـــن لدن، أو من] و(ســـين) تعنى [طين] فكلمة إنسان بالعربية أصلها (إن سين) الجبتية، وتعنى (من طين) وتفيد البشر..

تدركين كيف بدأت الخليقة؟؟

أجابــت إيزيس بعد أن رفعت عينيهــا أخيرًا عن الصغير النائم ونظرت إلى آلكيدر فى حماس وكأنها ستحكى قصة تحبها..

– إنــه آتوم العظيم، كان علــى الأرض عندما لم يكن هناك أحد سواه.. إنه الكامل المعظم، الأب الأول للبشرية.

وعقب آلكيدر على كلامها:

– «أنتم فى أرض الجبت تسمونه (آتوم) أما نحن فى بلاد العرب فننطقها (آدم) ».

* * *

غريب! ! عملاق اسمه آدم، وكان فى أول ظهور له على متن هذا الكوكب.. يطل أمامه حيث يستلقى كل العالم الذى لا يضيق بشىء، ولا يتســع لشــىء، غير أنه مع كل ذلك لم يكن يحس سرورًا قط.. لقد كان كارها لتلك الوحدة التى تحتويه، كاد أن يقضيها وحيدًا، ويموت فريدًا، حتى وجد تلك السيدة.. التى تدعى (حواء).

ثم ذهب ليتحدث إليها:

– هل تذكرينى.. لقد كنا سويًا فى الجنة.

تبسمت حواء بعينيها الواسعتين:

–.. كنت أبحث عنك.

لغة آدم كانت اللغة الأم وأصل كل اللغات، انبثقت منها العربية، والجبتية القديمة والسامية، والكنعانية، والبابلية، والآرامية.

حــين التقى آدم بحواء فى أول وأشــهر قصة حب عبر التاريخ، خضعت الطبيعة هدوئًا وتنحت الطيور خجلًا.

كانت الســحب غطاء لهم من عين القمر، والشجر جدارًا لهم من ريح البرد، والأرض التى تحولت لفراش رطب بعد أن كانت منذ زمن طويل حلبة صراع للطبيعة، والكوارث، ثم تجمد كل شىء.. تمهدت الحياة فى الأعماق وتطورت من كائن رائع إلى آخر أكثر روعة، تظهر أحياء وتختفى أخرى، وتسفك الدماء، وتحترق الأشياء، حتى استقر كل شىء بأمر المصوّر تمهيدًا لمجىء سيد الخليقة..

لم يمــض عام كامل حتى وضعت حواء أول طفلين كزهرة رقراقة تضع حبوب اللقاح.

كان يــوم الربيع وفاحــت روائح العطور الطيبة من الأشــجار، وحلقــت الطيور فوقهم فى احتفاليــة كان كل مدعويها من الطبيعة متعددة الألوان.

تبسم آدم ناظرًا لحواء بعدما كان قلقًا عليها.. كان أول مرة يراها فى هذه الحال، وماذا يفعل إن خسر كل ما يملكه فى الحياة.

أقبــل الطفــل الأول من رحمها فــرددت الجبال صــوت بكائه فى حنــين، ثــم جاءت أخته التــوأم لينظر آدم لهــا فتفيض عيناه سرورًا من جمالها.

حملت حواء الولد على ذراعها وحمل آدم الفتاة قائلًا:

- انظرى إلى رقتها.. كم تشبهك يا حواء وكأنها نسخة مصغّرة منــك ســأسميها (إقليمــا) لأنها تبــدو وكأنها مُقلّمــة من جمالك الخلاب.. إنها حوائى الصغرى.

وردت حواء:

- وانظـــر هذا الولد القوى.. ســـأسميه (قابيـــل) لأنه أول طفل يقبل علينا.

ثم مرّ عامان حتى حملت حواء مرّة أخرى فجاء الولد (هابيل)، سماه والده هكذا لما كان يظهر عليه من هيبة وحكمة، وفتاة واسعة العينين فسمتها (لبودا) وتفيد اليقظة.

وفى هذا الوقت كانت الشـــياطين تتربص بتلك العائلة الكريمة من بعيد فى حقد واستشاطة.

و مـــرّ عقدان حتى بلغ الأخوان قابيـــل وهابيل مبلغ الرجال، وكان قابيل مزارعًا يجمع الثمار، وكان هابيل راعيًا صاحب ماشية، وكان آدم سعيدًا بتلك العائلة الكريمة ولكن لم تكن تلك الابتسامة لتدوم كثيرًا..

اختلف الأخـــوان يومًا على الفتاتين فأصر قابيل على الزواج من إقليما بينمـــا أمر آدم بأن يتزوجها هابيـــل لحكمة يراها الأب فى أبنائـــه.. فغار قابيل من تفضيل آدم للابن الأصغر، بينما هو الأكبر وهو من يستحق الزواج بتوأمه.. فارتكب بحق أخيه جريمة القتل الأولى مـــن نوعها.. ولم يكن يعـــرف أن ذلك الموت ممكن!! كان كل ما يفكر فيه هو النيل منه وتأديبه فقط لا غير..

حمـــل قابيل أخـــاه على عاتقه والدهشـــة والنـــدم يملآن وجهه لا يعلم ماذا يفعل حتى خرجت منه رائحة العفن الكريهة، عندها شاهد الغراب الذى يحفر لموتاه برجليه ومنقاره لدفنهم فاقتدى به مداريًا سوءة أخيه.

فرّ قابيل هاربًا باتجاه الشــمال حتى شــرق اليمن وذهبت لبودا للبحث عنه.

فــى هذا الوقت وفى مكة كان آدم حزينًــا على ما حدث بأبنائه من خلاف، فبنى بيتا للتقرب من الإله العظيم وعبادته أكثر وسماه الأرض المضيئة أو الأرض البيضــاء، وتعنى حرفيًا باللغة الجبتية القديمة (الحج) وتطلق أيضًا على القماش الأبيض.

رزق آدم أخيرًا بابن صالح عوضًا عن هابيل وأسماه (شــيث) وهو اسم سامٍّ مقصود به هبة الله وعوضه.. كان شيث مولودًا وحيدًا ليس له توأم مثل إخوته.

ومع مرور الزمن تزوج قابيل من لبودا وأنجبوا نسـًلا واستقروا فى أرض ما بين النهرين وبدأوا فى تكوين الحضارة الأولى.. وتزوج شيث بعدما شب من إقليما..

كانــت أعمارهــم طويلة جــدًا وكذلك أحجامهــم كانت كبيرة، ومــا أدى إلى هذا التغير ووصول الإنســان إلى تلــك الهيئة ليس إلا تلك الحقبة الكارثية التى يدعونها فى بلاد الجبت باسم (الحا قا) والتى تعنى بالعربية (الساحقة القوية).

كان شــيث أسمر البشــرة، ومع تغير المناخ والبيئة الزراعية.. وخصوصًــا مع قلــة الخبرة بالزراعة وســيادة الجليــد حيث كان هذا العهد يعتــبر عصرًا جليديا غريب المنــاخ تجمدت فيه معظم بقاع المياه. ارتحل آدم وبعض ذرية شــيث شمالاً بحثًا عن الغذاء،

بينما ارتحل شيث وباقى ذريته للبحث عن الماء فى (أ_فريكا) عبر بحر القلزم، حيث كانت البحـــار فى ذلك الوقت جليدية متقلصة فـــكان مضيق بـــاب المندب يمثل أرضًا يابســـة يســـهل اجتيازها، فاســـتوطنت الذرية حول نهر النيـــل حيث الحياة واتجهوا شمالاً عندما جابهتهم جبال إثيوبيا المرتفعة وصولاً إلى هذه البلاد حيث امتهنـــوا الزراعة هناك وشـــكلوا وطنًا مســـتقرّا وتخلـــوا عن حياة الترحال. بينما اســـتقرت ذرية قابيل فـــى بابل.. وعاش آدم حتى عمر الآلف عام ومات ودفنه أبنائه بأرض كنعان بفلســـطين وتبعته بعام حواء، وكانت الأعداد تكثر وتتشكل القبائل وبدأت اللهجات تختلف مع اختـــلاف القبائل وكل لهجة تمثل بـــذرة لغة جديدة ستثمر فيما بعد.

كان فى بابل من أبناء شيث خمسة رجال صالحين (ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونســـرا) خبراء فى دراســـة النهريـــن ومواعيد فيضانهـــم وعلموا قومهم التنبؤ بالفيضـــان وأصول الزراعة فأحبهم قومهـــم، وبعد موتهم أوحى لهم الشـــيطان أن ينحتوا لهم خمســـة تماثيل تقديرًا لإنجازاتهم العظيمة.

وســـرعان ما انتقلت الثقافة من التقدير إلى التعبد وبدأ الشـــرك والشـــتات فى النســـل، وكان يجب أن يأتى من يحمـــل الراية بعد آدم فيمـــا بين النهرين وكذلك على ضفاف النيـــل وكان هذا الرجل علـــى ضفاف النيل هو (هرمس الهرامســـة) ونســـميه نحن العرب

(إدريس المعظـم) أمـا من كان يحمـل الراية بعده فـى بلاد مابين النهرين فهو ما تسـمونه هنا فى أرض الجبت باسم (نوو) أسطورة الهاوية المائيـة وصاحب القارب العظيم، وفـى عهده غمرت المياه جميع بقاع الأرض (جب) ثم بدأت البشرية من جديد.

قاطـع كلامِ آلكيـدر تمطع الصغـير النائم حـورس، والذى كان يتصبـب عرقا ثم تمتـم فى وهن بكلمات جبتيـة: «آبى.. مو» وهى كلمات تفيد الظمأ والعطش، فأسـرعت الأم إيزيس بإحضار المياه من القدرة الصغيرة بينما كان حورس يرفع يده أمام أشـعة الشمس التى تداعب عينه ليشاهد عاليًا تمثال هرمس الذى يقف شامخ الرأس يضم ذراعيه بشكل متقاطع أمام صدره، ثم نظر إلى آلكيدر.. جلباب أبيض محتزمًا بزنار حول وسـطه وعمامة فوق رأسـه يظهر أسفلها شعره الأسـود الناعم يغطى رقبته خلف وجهه ذى البشـرة البيضاء التى صفعتها الشـمس، وابتسم آلكيدر وهو يمسك بكف حورس ليساعده على الجلوس متمتمًـا بلهجة عربية لا يفهمها الفتى «حمدًا لله على سـلامتك» فابتسـم له حورس، بينما جاءت إيزيس بقدرة الماء وهى تشرّبه المياه انسكب معظمها على ملابسه الكتانية الصفراء.

* * *

انسـكب بعض النبيذ الأحمر من الإناء خـارج القدح الذى كان يصبه الخادم للملك المارد (ست) الذى كان قادمًا من الردهة وخلفه حُرّاسه الضخام مثله، الذين يرتدون أقنعة لحيوانات مرعبة سوداء

تشــبه وجه ذئب بــآذان طويلة منتصبة. تنــاول قدحه من الخادم المتقــزم دون أن يلتفت إليه ثم جلس على عرشــه بعــد أن خلع له الحــراس الجبابرة عباءته واقفين خلفه بردائهم الحربى المخيف، بينمــا وضع الملــك صولجانه ثم وضع إحدى يديــه فوق صدره الذى كان عاريًــا إلا مــن عقد ذهبى لامع مزخرف يليق مع الأســاور فى المعصــم والزند مطعمة بالأحجــار الحمــراء، ورداء التنورة حول وسطه طوبى اللون به رباط عريض ذهبى يتدلى طرفاه حتى قدميه، وكان يقدم يســراهما عن اليمنى كتقليد ملكى.. ثم أشــار بيده بعد أن أنهى قدحه وأعطاه لحارســه ليدخــل رجل ثمين برغم تقزمه، كثيف اللحية كحيل العينين شــديدتى الســواد مثل ردائه الطويل بحزام حول وسطه ويضع ثعبانًا كبيرًا يتلوى فوق رقبته وبيده عصا خشبية قبضتها على شكل كرة مزخرفة.

– هل تأكدت أنه مات أيها الساحر؟

قالها له الملك (ست) ، فأجابه الساحر:

– بالطبــع هــو مات.. إن لدغــة تلك الأفعى لا يمكــن أن ينجو منها أحد.

– هل رأيته بنفسك؟

– ســيدى لقد أخبرتنى أن يبقى الأمر ســرًا ويبدو وكأنه حادث غير مدبر، ولكننى قد سمعت صوت إيزيس وهى تصرخ على موته.

أشــار ســت إلى الخادم الذى أعطاه قدحًا آخــرا، بينما تطايرت

ستائر النوافذ بفعل الرياح التى اشتدت فأشار إلى الحراس العمالقة أن يغلقوها، ليس لريحها الطيــب بل ليخفض صوت بعض العبيد الذين يتعرضون للتعذيــب بالخارج، لكن هذا لم يمنع رنين صوت السـياط ولكنه قد أفلح فى منع الريح وتسـلل أشـعة الشمس التى يعوض عنها بعض الشـعلات، وكانت عبارة عن خرق ملفوفة على رأس عصا معلقة على الأعمدة ومدهونة بالزيت.

أما عبر تلك النوافذ خـارج القصر الكبير الذى تعددت أعمدته وبواباته العالية فى مدينة طيبة العاصمة جنوب شـرق أبيدوس.. تجد سـكانها تتفاوت بينهم الطبقات معظمهم شـاحبة وجوههم مرقعـة ثيابهم يعملون بالفلاحة أو التجارة ونقل العربات، بينما يجمـع الملك ما تبقى من العمالقة كجنود للحرب أو فى خدمة الملك ويطلـق عليهم لقب (جت) وتعنى حرفيًـا المعمرين أو الخالدين.. لأنهـم كانوا يعيشـون طويـلاً مقارنة بـذوى الأحجـام الصغيرة (دنـج) ، وكانـوا أيضًـا يحصلون على معظـم ثـروات البلد التى يزرعها ويحصدها المتقزمون الذين أصبحوا يشكلون الأغلبية برغم ضعفهم، يبتاعون فى الشوارع بقايا الفواكه والخضراوات المتعفنة، بينما يذهب ما نضج إلى قصر الملك وحاشـيته تحت مسمى قرابين الغفران، فى حين يتنافس الذباب الذى اسـتوطن البلدة بكثرة مع سكانها فى تناول تلك الفواكه العفنة أولًا فتترك فى رائحة المدينة بصمة يميزها عابرو السـبيل مشـمئزين، أما مواطنـو البلدة فقد اعتادوها مع الوقت.

نهض الملك (ســت) من فوق عرشه بعد أن أعطى قدحه للحارس وأمسك بصولجانه (سخم) ، ثم اقترب من الساحر وانثنى فأخفض رأســه مقتربًا من الســاحر الذى كان يرمقه من أعلى ثم أمسك منه الأفعى بيده قائلًا وهو يعتصرها بكفه حتى الموت:

– أريد أن أتأكد من أنه قد فارق الحياة.

ثم ألقى بالأفعى أرضًا فانكمش جســمها حول نفســه فى محاولة البقــاء على قيد الحياة ولكنها قد ودعتها وهى فى هيئتها المنكمشــة ينظر إليها الساحر ولا تكاد أن تميز عرقه من دمعه ثم تلعثم فى قوله:

– سوف أتأكد بنفسى من ذلك.

– لقد أرسلت بالفعل من يتأكد.

قالها الملك ست وهو يحمله من رقبته ويرفعه إلى أعلى فتشنجت عضلاته وازرق جسده وانتفضت فرائصه وظل يرتجف سريعًا حتى لم يستطع رفع أنفاســه وحاول بكفيه أن يفتح يد الملك بلا جدوى، تصلبــت أعصاب الســاحر حتى كادت تصرخ عصــاه من قوة قبضته عليها ثم ارتخى وهدأ تمامًا فألقاه الملك بعيدًا فى رمية كادت تقتله لــو لم يكن جثة وكذلــك عصاه التى أفلتت بعيــدًا عنه فدوى رنين سقوطها فى المكان.

* * *

ألقــى حورس بالعصيان التى معه ليحصــل على الرقم ثلاثة فى لعبة النرد الجبتية القديمة والمدعوة (سينيت) التى كان يلعبها مع

آلكيدر بينما ذهبت إيزيس إلى معبد أبيدوس لتؤدى طقوس الصلاة والدعاء (سشاى).

ولعبة السينيت هى الفكرة المستوحى منها لعبتى الشطرنج والطاولة الآن، ويكون لكل لاعب سبعة بيادق يحركهم فى الثلاثين رقعة المتراصة فى الصفوف الثلاثة للوح اللعب، وتلعب بالنرد حيث كان النرد القديم عبارة عن أربعة عصيان يتباين فيهما لون الوجه عن الظهر فعندما يلقيها اللاعب على الأرض يكون الرقم الذى حصل عليه هو عدد أوجه العصيان الظاهرة وإن كانت العصيان الأربعة على الوجه فيحصل اللاعب على رقم أربعة، وإن كانت الأربعة عصيان على الظهر فلا يحصل اللاعب على صفر بل يكون الرقم الحاصل عليه هو الرقم خمسة، وهو أكبر رقم ممكن فى نظام النرد القديم.

جلس حورس على مصطبة حجرية صغيرة أمام آلكيدر وبينهم رقعة اللعب المستطيلة التى حرك عليها حورس بيدقه فى ضيق وهو يتمتم:

– إن الحظ ليس فى صفى اليوم يا آلكيدر.. يبدو أنك سوف تغلبنى مثلما تفعل دائمًا.

– حظ!! (و يبتسم فى سخرية) ليس هناك شىء اسمه حظ يا حورس.

قالها آلكيدر ثم أمسك بيده ذقن حورس الذى كان ينظر إلى اللعب ثم رفعها لينظر إليه فقال:

- ردد خلفى يا حورس (ريخ - حيكا - سبا - سيا).

وردد حورس خلفه فى تعجب:

- «ريخ - حيكا - سبا - سيا» .

- أتعلم ما معنى تلك المصطلحات الجبتية يا حورس؟؟

أجابه الصغير:

- ريخ: تعنى الدراية والمعرفة.

حيكا: وتعنى التدبير والتمرس.

سبا: تعنى النجوم التى فى السماء. وسيا: تعنى الرؤية.

- أصبت أيها الصغير ولكن دعنى أفسرهم لك بطريقة أخرى (ريخ) هى الخبرة التى تكتسبها من تجاربك السابقة فلا تكررها مرة أخرى، وهى الكلمة التى أخذ منها العرب مصطلح (تاريخ) وهو علم الغرض منه دراسة تجارب السابقين لكى لا نكررها مرة أخرى.

(حيكا) وهى (الحكمة) لدينا فى النطق العربى، تلك الفطنة والخبرة بمشاعر الناس التى تجعلك تتوقع تصرفاتهم وكذلك لا تجعل أحدا يتوقع تصرفاتك وتكسبك الاتزان والرصانة فى اتخاذ القرارات.

(سبا) وهى بالفعل تعنى النجوم، ولكن ألا تدرى يا صغير بأن الجبتيين كما دعوا النجوم (سبا) قد دعوا من يعلم (سبا).. هناك ترادف فى تلك اللغة بين العلم والنجوم، وذلك لأن النقطة الأولى لجميع العلوم قد نبعت عند الإنسان القديم عند دراسة النجوم

ومعرفة الاتجاهـــات ووَضع التقويم، إن النجوم هى نقطة الشـــعاع الأول لكل العلوم، ولذلك (ســـبا) هـــى كل العلم الذى نعرفه، على الأقل عليك بأن تتعلم شيئا عن كل شىء، وكل شىء عن شىء.

أما (سيا) فهى تعنى البصيرة وليس الرؤية.

عقب حورس:

- وهل هناك فرق بين الرؤية والبصيرة؟

- الرؤيـــة بالعين هى جزء من البصيرة، ولكن البصيرة ليســـت فقـــط الرؤية بالعـــين بل أيضًا الرؤيـــة بالقلب، بعينـــك يمكنك أن ترى الشـــخص الـــذى يتحدث إليـــك، أما بقلبـــك فيمكنك أن ترى خلال الشـــخص الذى يتحدث إليك، يمكـــن أن ترى إن كان يكذب أم يصدق، يخدع أم يوفى، ويمكنك أن تدرك إحساس هذا الشخص إن كان حزينًا أم ســـعيدًا أم منافقًا.. ســـأعطيك مثالًا.. عندما تنظر إلى انعكاســـك فى هذه المياه، فأنت لا ترى فقط صورة شخص، أنت تعلم أيضًا مشـــاعر هذا الشـــخص وخبراته وأحزانه.. لأنك عشـــت حياته وتعلمت من خبراته، وإن كانت بصيرتك قوية يمكنك عندما تنظر إلى أعين الناس أن تعرف خبراتهم ومشاعرها كما تعرف عن نفســـك.. تلك هى البصيرة والتى لن تأتى إلا عندما تمتلك المهارات الثلاث التى تسبقها.. وإن امتلكت تلك الأشياء عندها فقط لن تترك مجالًا للحظ، بل أنت من ستصنع الحظ لنفسك.

عقب حورس سريعًا:

– انظر إلى رقعة الســينيت البعيدة تلك يــا آلكيدر، أنت دائمًا تســيطر عليها ولا تتركها، هذه المرة ســوف آخذها أنا ولن أجعلك تكرر، وســوف أترك بيادقى كل واحد بجوار الآخر فدائمًا البيدق الــذى أتركه وحيدًا أنت تأكله فتعيدنى خطوات إلى الخلف، بداية من الآن لن أترك بيدقًا آخر يقف وحيدًا.

وعندها تمتم آلكيدر فى بؤس:

– ولكنك قد تركت واحدا بالفعل.

* * *

قاومت إيزيس وهى تحتضن نفسها تلك الرياح المحملة بالرمال بينما كانت تصعد الســلالم المنحدرة المؤديــة إلى دهليز المعبد الذى يتكون من اثنى عشر عمودًا مربع القوام تفصل بينها بوابات شاهقة الارتفاع تتناســب مع أطوالهم سابقًا، وصفير الريح يملأ المكان عبر الأعمــدة، هذا الــذى هدأ عندمــا دخلت إيزيــس إلى المعبد، الذى كان فارغًــا مهجــورًا مظلمًا، إلا من بعض الحشــرات والحيوانات الصغيرة، تناولت إيزيس الشــعلة التى كانــت معلقة فى المعبد ثم أنارتها بمهارة القدماء فكشــفت تدريجيًا بين خيوط العنكبوت عن بعض التماثيل لأحد أعظم مشــيدى هذا المعبد.. المعظم ثلاث مرات (هرمس الهرامســة)، بينما أزعج حراكها هذا الوطواط الذى هرب سريعًا فى حركة أفزعت إيزيس فرفعت يمناها لتحمى وجهها، ثم أخفضت رأسها لتلقى التحية لتمثال المعظم والذى شيد له بعد مماته.

ثــم اتجهت لأحد مقاصير المعبد عبر الأعمدة الدائرية حيث تجدها ترقــد على ركبتيها يتقاطع ذراعاها فــوق صدرها وجبهتها لأعلى مغمضة العينين بينما يدوى أنينها فى المكان مع أنين الخشبة التى تأكلها النيران بجوارها:

«بحق أتوم
بحق نون
وبحق من وضع أسس العلوم
لماذا تضعنى بين الأمس والغد
فلا أحتضن الأمس ولا أشاهد الغد
فالأمس.. أوزوريس
الغائب الذى لا يغيب
والغد حورس
الذى سيملك النجوم
ويرقبنا من بعيد
أنا من كان.. مع من سيكون
إننى أحيا بين الأمس وبين الغد
فهل تشرق رع.. أم لم تشرق بعد
لأننى أعرف البقاء
بهذا وحده أدرك الخلود
يا أوزير

أعلم أنك ستعود
لم يعد أحد من هناك من قبل
ولكنك فقط سوف تعود
لن تترك اليتيم يتيمًا
ولن تترك المحب وحيدًا
سأبحث عنك العام
سأبحث عنك مائة عام
لقد قلت لى يومًا
إن من يصدق شيئا من قلبه
سيحقق الشىء قلبه
سأراك قبل أن أموت
سأراك ثم أموت» .

وتذكـــرت إيزيس هذا اليوم حين كانت صبيـــة يافعة فى بداية نضرتها تحاول أن تفســـح لنفســـها مجالاً بين الحشـــود حتى تنال نظرة عن كثب إلى (أوزير) هذا الشاب الذى أحبته كثيرًا.. كان هذا قبل زواجهما بســـنوات، وكان يحتفل الشعب بهذا الشاب الشجاع الذى سوف يســـافر متتبعًا حركة الشمس ليطلب إليها نيابة عنهم بأن تعيد لهم الخير مـــرة أخرى وترفع عنهم مقتها الذى قد تمثل لهم فى هذا الجفاف الحالك.. تدفع بواحد تلو الآخر مهرولة حتى تحصل لنفسها على موضع رؤية واضحة لأوزير، الذى سوف يتخذ مركب البابيروس متتبعًا حركة النهر، وعندما شاهدها تبكى ترك

مركبه واتجه إليها، فمسح على عينها ثم تطلع إليها بعينه الحادة السوداء ثم همس إليها بصوته الرزين:

– أعدك أننى سوف أعود قريبًا.

– سوف تنسانى.

– لن أنساكى يومًا.. فى كل مرة تشرق إليك الشمس فاعلمى أننى أرسل سلامى معها، فى كل نفس تستنشقينه ثم تطلقينه فاعلمى أننى سوف أستنشقه من بعدك، وأعلم أنك بخير.. كم من ملوك وعظماء وأنبياء استنشقوا نفس هذا الهواء من قبلنا، وكم منهم يستنشقه من بعدنا، وها هو يأتى الدور علينا لتضيفين إليه أنت شيئا من جمالك.. فيتبعنى هذا الهواء إلى أى مكان.

تبسمت إيزيس خجلًا ثم أردفت:

– وماذا بداخل تلك الحقيبة التى تحملها؟

قالتها ثم أشارت إلى الحقيبة الجلدية الكبيرة التى كان يحملها على كتفه.. فأجابها:

– إنه تقليد قديم، سوف أزرع تلك البذور عبر رحلتى الطويلة.

وأظهر لها ما تحتويه الحقيبة من جيوب متعددة، وكل جيب به نوع مختلف من البذور والحبوب، ثم أخرج إليها حفنة منها وأردف:

– خذى تلك الحفنة.. إنها لشجرة تدعى شجرة السنط.. ازرعيها حول المدينة وفى كل مرة تسقيها بالماء، لتعلمى أن روحى

تبصرك بداخلهـــا، وأنك قد أعطيتنى يومًا جديدًا للحياة حتى أعود إليك من جديد.

وهكذا فعلـــت إيزيس كل يوم.. حتى عـــاد إليها من جديد بعد ســـنوات، ولكنه ســـرعان ما قد ذهب مرة أخرى بعد أن ترك إليها (حورس)، يقولون إنه قد مات، ولكنها لا تصدق هذا الهراء.

ثم توقفت ذكريات إيزيس المتدفقة فجأة عندما شـــعرت بحركة غريبة داخل المعبد!! نهضت من مكانها وتناولت بيدها شـــعلتها وخرجت تبحث بين مقاصير المعبد.. يدوى صوتها الجبتى فى فراغ المكان بين الفينة والأخرى:

«هل أحد هنا؟.. حورس.. آلكيدر.. مَن هنا؟!»

حتى قاطع دقات قلبها الظهور المفاجئ لهذا الشـــخص العملاق الذى خرج من خلف التمثال، فخيّم الظل على ملامح وجهه الباهتة، فى حين ســـقطت الشـــعلة من إيزيس على أرضية المعبد فانطفأت، وغمـــر الظلام المكان، فكان آخر ما اختفى تدريجيًا من المشـــهد هو بعض ملامح التمثال.. المعظم (هرمس).

* * *

اقتلع الهواء ورقة من شجرة التوت الكبيرة والنادرة من نوعها، فـــى ذلك الزمن القديم.. الأوراق تتطاير عبر الأشـــجار المتنوعة فى هذا الحقل الذى يعتبر كمعمل تجارب لعالم الزراعة الأعظم والأول فى التاريخ، كان هذا الوقت يسبق مولد حورس بعقودٍ عدة.

الــبرد قارس فى صعيد مصــر فى هذا اليــوم، ورائحة الفواكه الشتوية العطرة تفوح حول المكان.. إنه أول أيام شهر طوبة، هكذا سماه مخترعه، إنه هذا الرجل العظيم الذى يقف بعيدًا يتكئ على صولجان خشبى ويطعم الغنم حوله.

يلقــب بـ هرمس الهرامســة أو المعظم ثلاث مــرات، فلعظمته وشــهرته تعــددت ألقابــه، فى هــذا الزمــن الذى تطــورت فيه الحضارة بفضله.

هل أدركت أنه أول من وضع أصول الرى والزراعة، وعلم الناس صناعة الفأس، والمنجل، والقفة، والمحاريث التى تجرها الثيران.

كانت هناك أراض غارقة فى الماء، وأراض أخرى لا تصلها المياه، فقام ببناء السدود، وتصريف الماء الزائد.

قسم هرمس الحكيم السنة إلى فصول، وقام بمشاريع الرى لجمع المياه وتوصيلها إلى الأنهار.

واســتخدم الشــادوف فى الزراعة؛ لنقل المياه إلى المناطق البعيدة. وبسببه استطاع المصرى القديم زراعة أكثر من محصول فى العام الواحد.

كان عبقرى، هذا الرجل الذى اشــتهر فــى العالم القديم بعلمه وذكائــه ولقــب بألقاب كثــيرة مثل (تحــوت، تــوت، هرمس، آرميس، إدريس) .

والأخــيرة عند العــرب لأنه كان يــدرِس النباتات ويدرّســها لأبنائه وقبيلته، بينما أبنائه يسافرون لينقلوا علمه عبر الحضارات.

كان آدم لايزال على قيد الحياة فى هذا الوقت وقد سمع بإدريس ولكنه لم يره، فآدم الأول لم تطأ قدمه أرض مصر من قبل.

تنازعت إدريس الأمم بعد ذلــك فاعتبره التاريخ مصريًا وبابليًا وفارســيًا وهنديًا ويونانيا ورومانيا. ونســب إليه علم الطب والفلك والفلســفة والحكمة، وله دراســات فى الثعابــين وسمومها، وفى دراســة الطيــور وفوائدها، بل إنــه ابتكر علم الهندســة وأجرى دراســات رائعة فى خواص المثلث وعليه قد لقب بـ مثلث العظمة، وكذلك وضع علم الحســاب فتجد كلمة (حســب) هى كلمة جبتية الأصل وتعنى (يحصى أو يعد). بفضله كانت اللغة الجبتية القديمة هى لغة العلم الأساسية فى ذلك العالم القديم.

كان إدريــس مؤمنًا بوجود إله واحد للكــون وقد بُعث فى قومه يحثهــم علــى عبادتــه ولم يعارضه المصريــون بل آمنــوا بدعوته وتبعــوه فعلمهــم عن الآخــرة وأخبرهم عن الحســاب والميزان فى الحياة الأخرى.

بنى هرميس الهياكل فــى صعيد مصر للعبادة، وكان الجبتيون يحبونه ويؤمنون به ويتبعونه.

كانت الحيــاة الجبتية فى ذلك الوقت مزدهــرة ومتقدمة؛ فقد صنعوا القماش من الكتان ولبسوا المخيط واتخذوا المكاييل والموازين. لم تكــن هناك فتنة ولا عصيان فى ذلك العهد؛ ولم يكن فى قصتهم عبرة أو عظة لغيرهم من الأمم اللاحقة، ولهذا تفرغوا للعبادة وبناء

المعابد العظيمة، وتقدموا فى العلم والزراعة وبذروا بذور الحضارة الأولى فى التاريخ.

سـرعان ما أصبح لهرميس العظيم حفيـد صغير يداعب لحيته البيضاء ويعيد له نشاطه وطفولته بعد أن كان رجلا قليل الكلام.

ولكن قد حان موعد اليوم التقليدى الذى يودع فيه الأب ابنه الأكبر، الذى سـيذهب مع أسـرته فى قافلة تبادل تجـارى جاءت من أرض الجزيرة العربية؛ وذلك لنشر العلم بين إمارات العالم القديم.

وبرغـم الألم الـذى كاد يقتله لحظة فراق أعـز ولده، فإنه اتبع التقليـد الـذى وضعه وأخفـى دمعته الغائرة بـين تجاعيد لحيته وتغاضى عن بكاء حفيده حاملاً له، مبتسمة عيناه الفائض دمعها:

- لماذا تبكى يا صغير، ألا تدرك مدى عظمة المهمة الجليلة التى أنت مقبل عليها حيث ستسعف العديد من الأرواح المعرضة للموت.

فهدأ الصغير وعلى وجهه علامات التعجب!!

- وأين تلك الأرواح يا جدى؟!

فأشار هرميس إلى حقله:

- إنهـا هنا، إن بعض تلك النباتـات لا يتحمل العيش فى تلك المنطقـة وقـد يموت فينقرض قريبًا، ولذلك سـأعطيك هذه السـرّة المليئـة بالحبوب لكى تزرعها فى أماكن أخـرى رطبة، على طول طريق رحلتك العظيمة، وبهذا ستنقذ حياة تلك النباتات من الفناء.

- وهل لهذه النباتات حياة يا جدى!!

– بالطبع.. إنها تأكل وتشـــرب وتتنفس وتخرج مثلك تمامًا بل وتشعر بنا أيضًا.

قبّل الصغير جدّه مبتهجًا وذهب ليتمم مهمته فى اقتناع؛ لإنقاذ أنواع عديدة من النباتات النادرة فى هذا الوقت، حتى أنجز الصغير مهمته بحماس وضمير.

كان آدم فـــى أواخـــر أيامه يقطـــن فى أرض كنعـــان، وفيما بين النهرين حيث يقطن هناك بعض أحفاد شيث وأحفاد قابيل..

خيمت سحابة العصيان السوداء فوق المكان؛ كان منهم من يزنون ويعبدون الأصنام مثل ود وســـواع ويغوث.. هناك حين استقر وكبر الصغير حفيد هرمس وتزوج وأنجب طفلًا صالحًا.

وبعد ســـنوات قليلة من موت آدم وموت إدريس كبر هذا الطفل وكان رجلًا حكيمًا مثل أجداده.

بـــدأ الجليد بالتعرق ذائبًا وزادت الشـــمس فـــى توهجها، هل الحـــرارة تذيب الجليد؟ هل ســـيتعرق هذا الجبـــل تدريجيًا حتى يذوب مسببًا طوفانا عظيما فى البلاد؟؟

هكـــذا أوحى إلى حفيد هرمـــس ولا يُعلم كيف قد تنبأ بتشـــقق الجليد إلى محيطات وبحار وتصـــدع ثلج الجبال، واتخذ قرارا بأن يدعو قومه بترك تلك الفواحش وإلا ستحل عليهم كارثة كبرى كما أوحى إليه.

إنها بوادر ذوبان العصـــر الجليدى وقد جاءه نبأ مجهول ببناء سفينة لتحميهم من الفيضان العظيم.

من سيصدق هذا الكلام الغريب! من سيترك المرح والملذات ويلجأ إلى بناء خشبى يحميهم من كارثة غير حتمية.

سئم الرجل دعوة قومه الذين لا يهتدون فقرر أن ينقذ على سفينته أنواع الحيوانات مثلما فعل أبوه مع النباتات يومًا.. فجمع معه من كل حيوان ذكر وأنثى ويأخذ فقط من اهتدى من قومه على سفينته.

كان اسمه (نوح) أو (نوو) بلهجة جبتية، وكان يساعده أبنائه فى بناء السفينة الكبرى التى كانت لهم مهمة صعبة برغم قوتهم وحجمهم ويزيدها وهنًا سخرية القوم البائسين.

وبرغم أن عمر البشرية فى هذا الوقت كان حوالى ألف عام، فإنهم كانوا كثيرين لأن نسبة الوفيات فيهم كانت قليلة، كما أن أعمارهم كانت طويلة تصل إلى عشرة أضعاف العمر الحالى.. فكان منهم من يقترب عمره من الألف عام مثل أحجامهم التى كانت تصل إلى عشرة أضعاف الحجم الحالى، وسأخبرك متى تقلص الحجم هكذا تفصيليًا.

كان نوح يبنى سفينته العارمة من الأخشاب ويساعده أبنائه الأربعة يام وحام وسام ويافث.

بينما أطفال القرية يسخرون منهم ويضربونهم بالحجر، حتى إنه جاءه فى يوم رجل يتوكأ على عصى ومعه ابنه فدعاه نوح إلى ترك عبادة الأصنام فقال الولد: «يا أبتِ مكنّى من العصا»، فأخذ الصبى العصا وضرب نوحًا فشج رأسه وسالت الدماء منه.

ويوم آخر كان هناك رجل حامل ابنه على كتفه فلما رأى الصبى نوحًا قال الصبى لأبيه «أعطنى حجرًا»، فأخذه فرمى به نوحا ثم ذهب.

وبسبب تلك السخرية البائدة تخلّى يومًا عن نوح ابنه الأكبر (يام) وقام بعصيانه خوفًا من سخرية القوم بل أصبح يسخر منه معهم حتى يصدق القوم بأنه ليس مجنونًا مثل أبيه.

وكان نوح صابرًا على البلاء بل كان عبدًا شكورًا دائمًا يحاول أن يهدى ذريته وينبههم من تلك الكارثة القادمة. وفى يوم سطعت شمسه ذهب نوح لكبير قومه يحادثه.

– يا قوم اعبدوا الله، ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم.

فأجابه كبيرهم:

– أتجادلنا فيما نحن محترفون فيه يا نوح.. إن أجدادك كانوا علماء فى الزراعة وأصولها، بينما نحن علماء فى الطقس والفيضان ونعلم متى سيحدث الفيضان ومتى ستمطر السماء، أما أنت حتى فقد تركت مهنة أجدادك وعملت بالنجارة.. فتبنى مركبا فى أرض يابس فلا شك أنك أنت الضال وليس نحن.

– يا قوم إنى رسول لكم من ربكم أبلغكم رسالته وأنصحكم.. لقد رأيت الجليد وهو يتشقق وأنا أعلم ما لا تعلمون.

– اسمع يا نوح.. نحن فى صبر عليك؛ تقديرًا لأجدادك العظماء

وما فعلوه من إفادة للبلاد.. ولكن طفح الكيل.. لقد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.

ذهب نوح من طريق وذهب هذا الرجل من طريق آخر..

ولكننا سوف نتبع هذا الرجل الذى اتجه بعيدًا ناحية أحد الجبال الجليدية ربما ليرضى نار الشك التى وضعها به نوح ويتأكد من أن الجليد لن يذوب.

تسمع صوت حذائه الذى ينغرس قليلاً فى الجليد تاركًا أثره الأخير فى طريقه إلى الجبل، حتى وقف أمامه فوجده واقفًا شامخًا.. لا يرى ما يخفى وراءه من ماء ثجاج، والريح هادئ لا يصدر صوتًا، اختفى الطير والحيوانات وكأنه وحده فى هذا الكون الفسيح.

وعندما اطمأن الرجل من ثبات الجبل الأبيض ورزانته أدار ظهره فى ابتسامة ساخرة مع نفير قليل من أنفه رفع رقبته للأعلى قليلًا ثم أخذ خطوته الأولى مبتعدًا.. ولكن سرعان ما سمع صوت الصدع الهائل فلم يكد ينظر خلفه حتى حملته المياه التى انسابت من كل حدب وصوب وتفجرت الجبال وخرجت المياه مندفعة من عيون الأرض، عين تنفجر تلو الأخرى، وسرعان ما دخل السفينة نوح وأبنائه عندما سمعوا هذا الصوت، بينما كان كبرياء ابنه العاصى يمنعه من الركوب مع أبيه، حيث ظن أنه سينجو فوق الجبل، ولكن سرعان ما ضربت المياه كل شىء وجرفته السفينة عاليًا،

أمطرت السماء وذابت الثلوج وتصارعت الأمواج مع السفينة وغرقت معظم البقاع جراء تمدد المحيطات والبحار وذوبانها.

ثم مرت شـــهور حتى جفّ الماء ومات غرقًـــا قوم نوح جميعهم ومعهـــم أقوام كثـــيرة وانتهى العصـــر الجليدى.. ولكـــن لم يُغرق الطوفان الأرض بأكملها ولم يُهلك البشر بأكملهم كما يظن البعض، بل كان مقصودا به قوم نوح فقط. ونجا من الطوفان العديد من المناطق مثل مصر وفارس والهند.

ثم مرّت الأعوام..

* * *

ظلت المياه راكدة لا يشوبها شائبة داخل قدرة الماء التى تعكس صورة حورس يلقى بعصيانه الأربعة مستكملًا لعبه مع آلكيدر، ثم قـــام بلعب بيدقه الأخير ليعلن انتصاره فينتفض ســـريعًا وهو يقفز قفزات متتالية فى مرح غائر:

- أجل.. لقد ربحت.. حورس يربح هذه المرة.

وعقب آلكيدر وهو يهنئه مبتهجًا:

- هنيئًـــا لك يا بن عزير.. ولأنك قد فـــزت هذه المرة فإليك تلك الجائزة هدية على فوزك.

ثـــم حل من على ســـاقه وثاقا - حزام جلـــدى - معلق فيه نصل خشـــبى حاد ومدبب، وأعطاه إلى حورس الـــذى بطبيعته الفضولية سأله متعجبا!!

– ما هذا الشىء يا آلكيدر؟!

– إنه نصل سيساعدك فى الدفاع عن نفسك وتقطيع الأشياء.

– ولماذا تعطينى إياه الآن؟!

– إنــه الجائزة التى يحصل عليها اللاعب الذى أصبح محترفًا، ثم إننى لا أملك سواه الآن فى هذا المكان، لذا خذه واربطه فى ساقك ولا تجعله يفارقك.

– شكرًا لك يا آلكيدر.

تناول الصغير نصله من آلكيدر وهو يتفقده فى فضول بينما دخل آلكيدر إلى داره ليحضر شــيئا ما، ثم انقصع حورس بظهره وشــرع يربط نصله الخشبى الجديد فى ساقه.

* * *

اســتقامت إيزيس مرة أخرى بعد أن انعطفت لتحضر الشــعلة التى ســقطت منها فتشــعلها مرة أخرى ثم اســتوت لتنظر من هذا الذى جاء ليفزعها:

– نفتيس!!

قالتهــا إيزيــس بعــد أن رمقت تلــك الملامح التى لم تشــهدها منذ أعوام، (نفتيس) التى أصبحت زوجة الملك ســت – الحالية – والتى قضت أعوام طفولتها الكاملة مع إيزيس:

– ما الذى أتى بك إلى أبيدوس..؟

قالتها إيزيس إلى رفيقة الطفولة بعفوية فأجابت نفتيس:

- ربما هذا هو السؤال الذى يجب أن أسأله لك.
- أنا أبحث عن أوزير.

ابتســمت نفتيس من كلماتها الأخيرة وهى تدير ظهرها فتعقب فى أسى:

- تــكادى تصابين بالجنون يا أختاه على انتظار من تدركين أنه لن يعود أبــدًا.. هو عائد فقط فى أحلام حرمانك، عليك أن تخمدى ذكرياتك برياح التغيير قبــل أن تحترقين بنارٍ حطبها الوحيد هو سعادتك.. الرجال لا يستحقون.

تحملــت إيزيــس هذا الــكلام وكأنها تحمل أثقــالًا، تتمنى أن لا تســمع مثل هذا الحديــث الذى يرفض قلبهــا تصديقه.. فترفع صوتها فى محاولة التشويش على صوتها القاتل:

- سوف يعود.. أنا أعلم أنه سوف يعود.

وعقبت زوجة الملك فى شجن:

- عجيب أمر النســاء، لا تنسى شيئا أبدًا إلا حقيقة أنه لا يأتى الراحلــون، تلــك التى دومًا تتلاشــى من أذهانهــم.. تخطَّى الأمر يا عزيزتى، الموت يقتل كل شىء والنسيان فقط هو من يقتل الموت.

- ربما لم يمت.

قالت إيزيس فنظرت نفتيس إليها وهى تعقب بنبرة هادئة:

- ربما.. ســيكون هذا أســوأ.. تــركك مرة من قبــل وانتظرته لسنوات حتى عاد من رحلته، ولا يكاد يبقى عدة أيام حتى يختفى

مرة أخرى تاركًا لك طفلًا يتيما.. يا لقسـوة الرجال، ربما لم يمت حقًا.. ربما قد عاد إلى من أحبها عنك فى رحلته الطويلة.

صرخت إيزيس فى ضيق:

– اصمتى.. أوزير يحبنى.. رأيت شغفه فى عيناه.

– بعض الرجال تحب أكثر من واحدة..

– سأظل منتظرة.

قالتها إيزيس وهى تحاول الذهاب فأمسـكتها نفتيس بقوة من ذراعها وهى تعقب:

– مَـن يعلم أنـك تنتظرين ولا يأتى فهو لا يسـتحق الانتظار.. عندمـا نكون على أرصفة الانتظار ونحتضر مع كل شمس تشـرق.. لا يأتى ببالنا أبدًا أن المُنتَظر لا يُبالى.

– ماذا تريدين؟؟

– أنتِ من العائلة الملكية يا إيزيس.. إنه عار أن تسيرين هائمة فى الطرقات كالمملقين.. تتسولين من أجل شىء لن يأتى.. أنتِ مثل مـن يدق الطبول فى بلدة صماء.. لا يسـمعك أحـد وتعتقدين أنهم منصتين.. وهم فقط يسخرون من تحركاتك الحمقاء.

دفعـت إيزيس بقوة يد نفتيس التـى كانت تقبضها وهى تصرخ فى غضب:

– اذهبـى من هنا.. ماذا أتـى بك، لا أريد نصيحة من أحد، لن يفهمنى أحد إلا من مر بتجاربى، لماذا دائمًا يأتينا شـخص يعتقد

أنه يعرف كثيرًا عن الحياة..؟ ثم يتحدث فيأمر وينهى وهو مقتنع أنــه هو فقط الصــواب.. غالبًا يكون هذا الشــخص على خطأ ولكننا لا نملك دليلا ضده.. دليلنا الوحيد هو قلبنا الذى يطعنه بنقاهته.. ولكن الغد يثبت كل شىء.

وأردفت نفتيس:

- ربما أنا لا أعرف كثيرًا عن الغد.. ولكنى أعرف عن الحاضر.. هذا الذى تركتِه مــن أجل الغد الذى فى أوهامك، وأنا لا أريدك أن تأتى معى إلى القصر، ولا أريــدك أن تصبحين عاقلة بين الأعيان.. أنــا فقط أريــد أن أتهلل فى وجهك عندما تدركــين أننى كنت على صواب.. من لا ينظر خلفه يطرأه الشقاء غفلة.

وعندها قالت إيزيس فى قلق:

- أين حورس..؟!

* * *

أثناء هــذا الحديث.. وفى الناحية المتكدســة من أبيدوس تجد هنــاك رجل جبتى يصرخ راكدًا بين العامة فى أنحاء ســوق المدينة منذرًا من هجوم شىء مروع وهو يكرر كلمة واحدة:

- إوا.. إوا.. إواااا..

فتفزع الناس من كلماته وتهرع بعيدًا مثيرة الاضطراب والبلبلة داخل الســوق، العربات تنقلب والفواكه تتدحرج عابرة للطرقات، والنساء تستغيث والأطفال تبكى فى ذعر، بينما شاب شجاع يحاول

نجدة من اســتطاع من الأطفال.. هذا قبل أن ترتفع أقدام هذا الرجل المنــذر بضعة ســنتيمترات فى الهواء، بينما شــىء مدبب يخترق صدره فتلطخ الدمــاء ثيابه الصفراء مثل تلك القطرات الغليظة التى تنبعث من فمه.

كلمــة (إوا) تلك الجبتية التى قالهــا المرحوم تعنى (ثور). وإن كنت تعتقد أن مجرد ثور هائج لا يثير تلك البلبلة.. فأنت لم تسمع عن ثور (الأرخص).. لأن هذا النوع الضخم من الماشية لحسن حظك قد انقرض منذ بضعة عقود.

لوّح الثور صاحب الأعين الحمراء الثائرة برأســه فأناء بالشاب الــذى اخترقته قرونه بعيدًا، لتتمايل دمائــه فوق مياه النيل التى تزعزعت من البطشة بينما قد جُرف جسده فى دوامة تجاه التيار.

لا يوجــد الكثيرون ممن شــاهدوا هذه الدابة قــد بقوا على قيد الحياة، ولكن إن كنت تريد نظرة عن كثب فعلينا بالتريث قليلاً.

خلــف الأعين الحمراء اللامعة بغضب لهذا الشــىء الذى يطيح بالجمــوح يوجد جثمان يضاهى تمامًا فى هيئتــه حجم الفيل.. إلا إنه يشــبه الثور فى النمط واللون الأسود الضارب إلى البنى، يتحدد ببعــض العضلات والفــرو فى مقدمة الرأس والصــدر المنتفخ إلا من منطقــة باهتة محيطة بالخطم، فــوق عينيه الثائرتين قرون عارمة القطرين طويلة موجهة إلى الأمام ومحدبة للداخل بشكل بسيط وقد كثرت عنه الأســاطير المرعبة – فى هذا الوقت – التى تزيد الناس

خشــية منه، وبداخل إطار رؤية عين الثور التى يطوّقها من اليمين ومن اليســار حافتا قرونــه الحادتين وكأنها تعمــل كأداة تصويب تحدد هدفها القادم.. وبين الحافتين فى مبصر الثور الذى يشــوبه الاحمــرار الغائم عند الحــواف ظل يبحث فى غضب تكاد تســمع صوت نفير أنفه مع احتكاك قدمه بين الغبراء حتى استقر تصويبه علــى الصغير الذى كان يقف بعيدًا مذعــورًا ومتجمدًا.. (حورس) الذى اتســعت حدقتــاه فزعًا عندما رمق العمــلاق الأرخص يركض غاضبًا نحوه.

* * *

صرخت إيزيس باســم صغيرها مرة أخــرى وهى بداخل المعبد وكأنها شعرت بأن هناك مصيبة تهدده، هذا قبل أن تدفع بنفتيس من أمامها وتذهب مهرولة فى طريقها الطويل إلى المدينة.

بينما ظلت نفتيس متوقفة فى مكانها تنظر إليها وعلى وجهها ابتسامة سخرية يشوبها الحزن وهى تتمتم: – «غبية» .

* * *

خرج آلكيدر من داره مســرعًا وهو يمسك بيده قنينة بها سائل غريب حتى وجد حورس فى الناحية المقابلة واقفًا فى تصلب عندما صرخ فيه بقوة جازعة:

– حورس.. أركض.

استعاد الصبى وعيه قبل وصول الدابة بثوان وفر هاربًا بأخف ما عنده، ولكن لا تزال المسافة القصيرة بين حورس وحيوان الأرخص، تتضاءل شيئًا فشيئًا.. تبصر قدمى الصغير تتسابق واحدة تلو الأخرى، يتعرقل فيستعيد توازنه ورائه الثور الذى لا تكاد ترى أقدامه مما خلّفه من غبار، حتى يجد حورس نفسه أمام جدار عائق قباله بضعة براميل خشبية تُتَّخذ كأوعية لتخزين الخمور، فوثب فوق غطاء إحداها عابرًا الجدار فى رشاقة حتى وطأت أقدامه الأرض، فسمع للفور صوت حطام الجدار الذى اخترقه الحيوان الأرخص، وكأن شيئًا لم يكن مقتربًا نحوه بسرعة فوجد حورس نفسه أمام بضعة براميل خشبية فارغة من جهة، وثور هائج يقترب من الجهة الأخرى، فقفز مسرعًا داخل أحد البراميل وقبل أن تطأ قدمه مستقر البرميل اخترق جداره قرون الثور ثم رفعه للأعلى وظل البرميل عالق بين قرونه يرجه الثور الهائج وهو يقفز ويتحرك فى حركة دائرية مستمرة حتى كاد يسقط منه الصغير الذى يبدو أنه أصيب فى جانبه، ولكنه ظل متعلقًا بحافة البرميل يطوح به الثور إلى الأعلى وإلى الأسفل وهو يدور حول نفسه بينما ظل حورس متشبثًا بيسراه بحافة البرميل وحاولت يمينه أن تخرج هذا النصل المربوط بساقه محاولات رديئة حتى اقتربت ساقه من يمينه فى لحظة أطاح به الثور إلى أعلى بقوة لولا تشبثه بالبرميل العالق لرفعته تلك الإطاحة لأمتار عدة، يمسك بيسراه طرف البرميل وبيمينه النصل وفى طريقه

للأســفل صوب نصله نحو رقبة الثور فى تســديدة موفقة هدّأت من روع الثور الذى ظل يتحرك فى حركة دائرية مستمرة بينما يتشبث حورس بيــداه جيدًا ،على النصل الغائر فى رقبة الأرخص والبرميل العالــق فى قرونه حتى هــدّأ الثور من حركته ثم ســقطا أرضًا وفقد كلاهما الوعى لتتوقف الحركــة تمامًا إلا من دمائهما التى امتزجت ببعضها البعض على أرضية مخزن البراميل.

* * *

وأثناء اختراق الثور جدار المخزن نظر آلكيدر إلى الجهة الأخرى ليجد رجــلا أعرابيا ملامحه غريبة عن ســكان أبيدوس قريبة من ملامح العرب مثله ويرتدى عمامة حمراء وقميص أصفر طويل يعلو ركبتيه قليلا، أســفله ســروال أخضر طويل فضفاض وحزام قماشى حول وســطه عريض أحمر اللون وجلباب زيتونى وبيده عصا عبارة عن جزع شجرة أعوج.

وعندمــا ارتاب آلكيدر فى ملامح الرجل الذى كان ينظر بطريقة حاذقــة إلى الدابة قرر أن يذهب صوبه.. وفــور أن أبصر الأعرابى آلكيدر يقترب شرع يركض مهرولًا وانطلق خلفه آلكيدر فى عجالة حتى دخــل الأعرابى إلى ممر رفيع بين بيوت قديمة فتبعه آلكيدر مســرعًا داخل الممر ولكنه توقف فجــأة ثم اختار أن يدخل إلى أحد البيوت الحجرية واتخذ ســلالم الدار صعــودًا حتى وصل إلى هامة البيــت ومنه نظر إلى الناحية الأخــرى خلف الدار فيجد الأعرابى

تسوقه قدماه إلى أن يأتى من الجهة البعيدة يتابع النظر وراءه وهو يركـض مترقبًا أن يتبعه آلكيـدر من خلفه فإذا بـه يفاجأ بالفتى الشاب يهبط عليه من السماء.

سقط آلكيدر فوق الرجل بقوة حتى انكسرت تلك العصا التى كان يمسـكها وقُرحت ساقه بقوة بعدما ارتطمت ببروز فى الجدار الذى حاول أن يسـتغيث به فلطّخت الدماء سرواله الأخضر باسطًا جسده فى الطريق يجلس فوقه آلكيدر الشاب الذى أطاح به بمهارة وحنكة، ثم نظرٍ إلى ملامحه العربية القبلية وقبض عليه من ثيابه نحو صدره متحدثًا إليه بلغة عربية لا يفقهها فى تلك البلدة إلا كلاهما:

– مـاذا نزحك إلى مجثم الجبت أيها الأعرابى.. إلى ما تطوق من هذا المبرح؟؟

فأجابه الأعرابى وهو ينهج من الإعياء والعدو يزفر أنفاسه بين الجملة والأخرى:

– ظعنـت مع رهط عبر شـواطئ القلزم من أراضـى قحطان توقًا لحفنات من القوت الجبتى الذى قد فنى فى أرض قحطان.. فأصبحنا فى مسغبة مملقين.

– ومن أجرك أيها الراعى لتودى بروح هذا الغلام المدعو حورس؟

فأجاب الأعرابى فى ذعر:

– ماذا!! لا أحد.. أنا فقط بدافع القوت وافد.

فصرخ فيه آلكيدر:

– إن تلــك البهيمة العجماء قد جاءت من أرض العرب الرعاة.. وعليهــا لا يهيمن هكذا إلا مَن كان مِن ســكان البادية الوبر مثلك، أبلغنى الآن بما تكنّ، وإلا الموت الغائر سينصب قدرك.

أجاب الأعرابى:

– ويغوث ونسرا أنا لست بمستأجرٍ..

و قاطعه آلكيدر:

– إننــى لا أعترف بآلهتك القبلية تلك أيهــا الراعى البخس.. ولكنى بالألم أعترف وأقر.

ثــم أخــرج آلكيدر تلــك القنينة التــى أحضرها مــن داره وهو يكمل حديثه:

– «أسمعــت عن مصطلح يدعى (ســقر)؟؟ إنه لفــظ جبتى العِرق يفيد العذاب الشــديد.. أبصر هذا الترياق الذى أنتجته.. (ســقر) كمــا أدعوه أنا أيضًا، وســأطلعك كيف يعمل.. فقط عليك أن تفســح الجرح هكذا، ثم فوقه تريق العقار وتتركه بالدماء ليختلط، ستجد المفعول أثره يظهر فورًا فى وجه الضحية.. أو حتى على هذا الصديد الذى من جرحها يخرج».

(وفجأة وبعد أن أســال آلكيدر العقار الغريب فوق جرحه صرخ الأعرابى صرخة رنانة طويلة المدى بينما يكمل آلكيدر حديثه وهو غير مبالٍ)

– «وبرغم أننــى لم أجربه من قبل، فإننى موقن بأن من يجربه يأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت».

(ظل الأعرابى بكفه يضرب بقوة مكان الجرح لا يأبه بما يتطاير مـن دماء وما تلطخت يده منها يكاد يقطـع قدمه من قوة الضربات ظنًـا منه بأن هذا قـد يُذهب الألم الذى كان يتوغـل عميقًا.. بينما يكمل آلكيدر) ..

– «ولكن أتعلم أين الجانب المثير للاهتمام..؟؟ أنك كل مرة فيها تسكب العقار يبدو الألم وكأنه أغلظ من المرة الأولى».

وفور أن سكب آلكيدر قليل من العقار مرة أخرى فوق ساقه صرخ الأعرابى:

– الملك ست.. إنه الملك ست فى طيبة قد أمرنى بأن أظفر بالغلام بتدبـير حـادث وتوعدنى بالقتل عنـد الإخفـاق أو إن بلغ أحدهم الأمر.. أتوسل إليك أن تخمد الألم.

قالها الأعرابى فعقب آلكيدر:

– سينطفئ عندما تستفيق.

– أستفيق...!!

لم يكد يكمل الأعرابى كلمته حتى فقد وعيه خامدًا من الألم.

* * *

عبر تلك الفوهة التى اخترقها الثور منذ قليل وقفت سـيدة عجوز ملأ وجهها الشقوق تشـاهد روع المنظر تلاها رجل آخر فالآخر حتى تكدس الجمع فدخل أحدهم فى توجس يلتقط خشـبة من بين الحطام ثم يمس بطرفها الثور خلسة ليتأكد من موته، وعندما لم يحرك الثور

ســاكن تجمهر الناس حول حورس البطل الصغير يطمئنون عليه، ثم من بينهم امتدت يد إيزيس الرحيبة لتحمله خاطية من فوق السور ثم جلســت على ركبتيها تحمل صغيرها تفيض منه الدماء وهى تبكى، حتى شرع الحشد بالتصفيق يتفاقم الصوت مع واحد تلاه الآخرون.

«*أنــت مولـود يا حـور لأوزيـر وإن لك عـزما أكثـر منه وقـوة أكثر منه*» .

* * *

فى مشــهد متأن ظهرت فيه نفتيس تقــترب من جهة، خلفها بضعــة مــن حراس الملــك الضخام ومــن الناحية الأخــرى إيزيس قادمــة تحمل حورس المصاب، وخلفها ســكان القريــة المتقزمون، بينمــا ينبثق من المركز آلكيــدر عبر الممر الصغير يحمل على عاتقه الأعرابى الغافل ترســم قطرات دمائه آثــار تتبع خطاه حتى تقابل الثلاثة رهوط فى تلك النقطة الواحدة.

صاح آلكيدر: اذهبى لملكك لتخبرينه بفشله للمرة الثانية يا مولاتى نفتيس، أخبريه بأن حورس ســيطول عمره حتى يبلغ أشــده وينال ملك أبيه رغمًا عنه، وأن إيزيس لن يســتطيع إخمادها فى داره لأنه خشى أن يتذكرها الشعب فيسعون إلى طلبها ملكة ويأمرون بطرده.

قالت إيزيس: مَن هذا القتيل الذى تحمله على عاتقك يا آلكيدر؟

آلكيدر: هــذا هو المهيمن على ثور الأرخص الذى أرســله الملك ست ليودى بروح الغلام.

نفتيس: كيف تجرؤ على قول هذا الكلام أيها الـ..

آلكيـــدر: اسمعـــى أيتها الملكة.. نحن ســـنفر هاربـــين إلى بلاد الشـــمال حتى يبلغ الصبى أشـــده ويســـتعيد ملكه، ولكن هناك أمر علىَّ إخبـــارك به، إن من يطوف حول النار لابد أن يحترق منها.. اتركيه قبل أن تندمين.

عقبت نفتيس: ومَن أنت أيها الوافد المتقزم؟

تمتم آلكيدر دون أن يعيرها اهتمام:

هذا فراق بيننا وبينك.

اســـتفاق الأعرابى ليجد من الناحية اليمنى إيزيس تذهب بعيدًا وحورس بين ذراعيها يســـير أمامها آلكيدر وخلفهم سكان القرية، ومـــن الناحية الأخرى نفتيس تذهـــب وخلفها بضعة حراس، هذا قبل أن تظهر يد فوق الأعرابى لأحد الحراس العمالقة فتقبض عليه ثم تنضم به إلى زمرة الجنود فى طريقهم إلى الملك ست.

* * *

- أين نحن بمدبرين؟؟

قالتها إيزيس لآلكيدر داخل الخيمة الكبيرة المصنوعة من سيقان الأشـــجار بينما كان الشـــاب يضمد جراح الصبى الذى كان متحاملاً على نفســـه مـــن الآلام، يفكر فيما فعله من عمـــل بطولى يتفاخر به الرجال، هذا عندما أجابها آلكيدر دون التفات:

- إلى أرض الشمال.

– أجننت يا آلكيدر.. ! ! لقد أخبرت نفتيس للتو بأننا سنذهب إلى أرض الشمال وحتمًا سيبعث الملك جنوده للعثور على الصبى فى بلاد الشمال.. لقد ظننتها خدعة ذكية منك لكى يرسلهم إلى المكان الخطأ.

ثم نظر آلكيدر أخيرًا إلى إيزيس معقبًا:

– اعتقدتِ أنها خدعة ذكية أليس كذلك؟

– بالطبع

أجابت فأردف آلكيدر:

– هو أيضًا سيعتقد أنها كذلك.. لن يخاطر الملك بإرسال جنوده للبحث عنك فى بلاد مليئة بملوك كارهين له؛ بسبب ما يعتقد أنه كذبة تافهة.. كما أن أرض الشمال تحتشد بالهاربين من بطشه والمبغضين له يتمنون لو يحصلون على قلب الملك فيأكلونه على حفل شواء.. الشىء الوحيد الذى يعتبر خطرًا هو مكوثنا هنا لفترة أطول.

لم يكد يكمل آلكيدر كلماته حتى شعر الجميع بحركة غريبة لشخص دخيل يحوم حول الخيمة.. اقتربت إيزيس من حورس الذى وضع يده على ساقه ليتذكر أن النصل ليس بحوزته بل ما زال يغفو فى عنق الأرخص، وفى رفق انعطف آلكيدر ليلتقط صخرة من حجر الظران حادة الأطراف هذا عندما تسللت يد لم تلاحظها إيزيس بين أقمشة الخيمة تحمل جسما حاد الزاوية ملطخ بالدماء الطازجة.

«لعلك تخلق مثل صقر

لعلك تطير عاليا مثل البلشون

لعلك ترحل إلى الشمال، ...

لتحيى..، كن حيًا، كن صبيًا إلى جوار أبيك

إلى جوار الجوزاء التى فى السماء، لعلك تحيا حياة»

* * *

الفصل الثانى

بلاد الشمال

اقتربت إيزيس من حورس الذى وضع يده على ســاقه ليتذكر أن النصل ليــس بحوزته بل ما زال يغفو فى عنق الأرخص، وفى رفق انعطف آلكيدر ليلتقط صخرة من حجر الظران حادة الأطراف، هذا عندما تســللت يــد لم تلاحظها إيزيس بين أقمشــة الخيمة تحمل جسما حاد الزاوية ملطخا بالدماء الطازجة.

وفــى بغتة انقض آلكيدر علــى تلك اليد ليســحبها إلى الداخل فيقبــض على المتطفل الدخيل مقيدًا إياه وهو يقف خلف ظهره يضع الصخرة الحادة على رقبته بيده اليمنى وباليسرى لاويًا ذراعه ذات النصل الملطخ إلى الخلف.

– ماذا تريد ولماذا جئت إلى هنا أيها الدخيل؟

شــاب طويل الشــعر قليلًا يرتدى زيا يطول فــوق الركبة، كمه قصــير لا يوارى الذراع فيــبرز عضلاته الفاتنة برغم صغر ســنه، ويضع رباطا حول وســطه عليه نقش بســيط لأســد مــن المنتصف، وأجاب فى ضيق نفس:

– لقد سمعت أنكم ســتهاجرون إلى أرض الشمال.. ويشرفنى أن أكون دليلا لكم فى هذا الطريق الوعر، فأنا أعرفه جيدًا.

– ولماذا نثق بك أيها المتطفل؟

قالها آلكيدر فأجاب عنه حورس فى حماس:

– أنـــا أثق بـــه.. لقد رأيته وهـــو ينقذ الأطفال بشـــجاعة أثناء هجوم الثور، يبدو أنه شاب طيب القلب.

بعد كلمات حورس المبشـــرة اكتسب الشاب القوى ثقة فدفع بيد آلكيدر ليفك وثاقه وكأن شيئا لم يكن فتعجب آلكيدر من قوة الشاب ونظر إليه فى غضب:

– وما هذا النصل المدنس الذى تحمله.

– إنه لك سيدى حورس.

اقترب الشـــاب من حورس ولم يبـــالى بآلكيدر الأمر الذى جعله يستشـــيط، ثم أخفض رأســـه وأعطى حورس النصل الـــذى قتل به الأرخص منذ قليل، ثم حل وثاق ما كان مربوط بحزامه، ويبدو أنه أحد قرون الثور الضخم، ثم أردف.

– هذا ما اســـتطعت أن أحصل عليه من الثور وسط الزحام.. إنه وسام الشجاعة، هذه علامة للأبطال عندما يتغلبون على دابة قاتلة يأخذون منها تذكارا للشجاعة.

فأمسك به حورس فى سعادة عندما أكمل الشاب:

– يمكنك أيضًا أن تســـتخدمه ككأس تشـــرب منه.. إنه جيد فى حفظ السوائل.

وأردفت إيزيس:

– وما اسمك أيها الشاب؟

وأجـــاب: اسمـــى (سِـــرقت) ســـيدتى.. ويمكننـــى أن أكـــون خادمًا لجلالتك.

– ومن أين أنت أيها السرقت؟

أضاف آلكيدر ليجيبه الشاب:

– ليس لى أرض محددة.. لقد عشت سنواتى القليلة هائما، وسط الصحارى، ولا أذكر لى بيتا سائدا.

– ملامحك ليست جبتية على أى حال.

عقب سرقت على قول آلكيدر..

– آكادى العـــرق ربمـــا.. يقولـــون والـــدى كان عملاقـــا من بلاد الرافديـــن، وقد ألقى بى للتجار عندما اكتشـــف أننى وليد متقزم، إنـــه الخزى فى هذا الوقت عندما تنجـــب متقزما.. بعض العمالقة يأكلون أطفالهم، بعضهم يعتقدون أن هذا سوف يطيل أعمارهم التى أصبحت قصيرة.

وعقبت إيزيس:

– ليس لدينا وقت.. يجب أن نغادر فى الحال.

* * *

وفى طيبة كان الغضب والامتعاض يمتلك الملك (ســـت) بطريقة ثائرة.. يحاول تفريغها فى قومه بأبشعِ الطرق.

أصبح يجلد بنفسه المذنبين فيدوى ليلًا صوت السياط حول المدينة المذعورة.. ساد الظلام ودب الرعب فى أرجاء المدن وشُدّدت الحراسة

حول المملكة فلا يهجرها أحد ولا يتسنمها تاجر.. خيم ضباب الفقر والجوع أكثر، وساد الفزع وتباين الإبداع فقط فى طرق التعذيب..

فمــن أذنب من الرجال يلقى بــه للذئاب الجائعة بعد أن يكتفى جســده جراحا من آثار الجلــد.. يبتر أطراف مــن يعصى الأوامر وتُــترك لتتعفن بين طرقــات المدينة، ومن تذنب من النســاء تعلق عارية بين العامة بعد أن يقتلع ثديها ويتركها فى نزف حتى آخر نقطة حياة، واكتســب الملك (ســت) لقبًا جديدًا فــى المدينة.. وهو *إله الظلام* ولم يقدر أحد على عصيان أوامره.

أما هذا الأعرابى الذى فشــل فى قتل حورس فبعد أن جلده الملك بنفسه حتى نال كفايته فقد تم إلقائه فى قدر يغلى من الزيت حتى أذابته النار كليًا بداية من جلده وحتى العظام.

وكانت نفتيس عندما تشــاهد هذه المظاهر من نافذتها تتقيأ فى تقزز ونفور، ولكن لم يقدر أحد قط على إيقافه عند حده.

أليس الغضب كالنــار؟.. كلما طاوعته أكثر كلما ازداد ســعيره أكثر، كلما استعصى إخماده أكثر.

«يا حارس مركب الأسرار
احضرلى مركبا
لكى أخرج من هذا البلد
البلد الذى تتساقط فيه الأبخم مكفية على وجهها
ولا تعرف كيفية معاودة الصعود

يا صاحب الدرب الضيق
الشجن يخيم على مصر»

* * *

على بعد أميال باتجاه الشمال تناثرت آثار أقدام زمرة المرتحلين الأربعة فوق أحقاف الرمال تأتى الرياح وتمحوها بين الحين والآخر.. تغفل الشمس تارة، ويطل القمر تارة وسط رفاقه من النجوم، القمر هدوء وحكمة، والشمس دفء ورحمة، والنيل رفق ورهف.. براقة الوجه ترسل شعيرات من ذهب إذا ما أتى أتى صارما مستقيما وإذا ما لمس نهر مصر تراقص متمايلا على سطحه كلؤلؤ فضى ثمين، هل لأنهم يقدسونها ويدركون قيمتها تبدو لهم أجمل من شمسنا، أم أنها فقدت شبابها ونضرها مع الوقت فكهلت وهرمت، أم أنها الطبيعة الفطرية يومها تضفى عليها تناسقا أخاذاً كالكحل فى عين الفتاة الصبوح... أما القمر.. فهو إشارة للراحة والتسامر والتواد ليلة ليلاء باردة ترامت فيها الخضرة شرقا وغربا، لا ندرك إن كانت ترتجف الأعشاب رعشا من البرد أم من تلاعب النسيم. ارتحل الأربعة من بين غابات البوص الكثيفة والمهجورة للنوم لسويعات قليلة، تتفاوت نوبات الحراسة أثناء النوم بين آلكيدر وسرقت حتى يستيقظ الجميع فى أواخر الليل مقتربين من مياه النهر لسد الظمأ وصيد بعض الأسماك على ضوء النيران لإخماد بعضا من جوع الرحلة الشاق.

أحضـــرت إيزيس بعض الحطب لتغذيـــة النيران المفعمة لتدفئة الحيز المســـتدير الذى اجتثته من بين الـــزرع، بينما جلس آلكيدر وســـرقت للصيد من بينهم حورس الذى كان يشـــرب من ماء النيل بواسطة قرن الأرخص الكبير.

أخـــرج آلكيـــدر سمكة من النهـــر بمهارة فالتقطها فى ســـعادة وهو يردف:

– هه هكذا يكون الصيد.

ولم يكد ينهيها حتى مر بجواره (سرقت) وهو يحمل ثلاث سمكات بين يديه وينظر إليه فى سخرية وعلى وجهه ابتسامة الانتصار.

تبســـمت إيزيـــس التى أبصرتهمـــا من مكانهـــا وكذلك حورس متعجبًا قائلًا:

– إنه ماهر فى حياة الخلاء!

وعقب آلكيدر وكأنه لا يعتنى:

– تكفينـــى مهارة ضئيلة تجعلنى أنجو بينما أســـتغل عقلى فى أشياء أخرى أكثر أهمية.. لا تملأ طبقك بصنف واحد فقط بينما هو يتسع لأكثر من ذلك.

– أريدك أن تعلمنى كل شىء مما علمت يا آلكيدر.

نظـــر آلكيدر بعد كلمة حورس إلى هذا العصفور الذى وقف على حافة النهر فنقر فى الماء نقرة واحدة ليشـــرب ثم ذهب محلقًا فقال له آلكيدر:

– ما علمى وعلمك يا حورس فى علم الخالق إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا النهر.

ثم تمايل الدخان مبعثرًا أريج الشواء الذى يتراقص وسط غابات البوص حين ذهــب حورس وآلكيدر حيث جلــس الأربعة يأكلون بتضور، هذا عندما تساءلت إيزيس:

– كم تبقى من الوقت حتى نصل إلى أقرب قرية آمنة؟

فأجاب ســرقت مشــيرًا إلى نجوم الســماء اللامعة، هذا بعد أن أخرج قنينة النبيذ التى لا تفارقه كثيرًا بعد كل وجبة:

– وفقًــا إلى كوكبة الثور واتجاه أجرام هذا التمســاح النجمى، وبالنظــر إلى شــكل النهر هنا ولونه، أعتقد أننــا على ظهيرة الغد ســنصل إلى مفترق الإترو.. سينقسم النهر إلى ســبعة فروع وهناك ترتكــز عليهم المدن الكبرى لبلاد الشــمال، انظروا إلى تلك الزهرة الحمراء التى تطفو بكثرة على ســطح النهر.. إنها زهرة اللوتس، هم يتخذونها رمزا لبلاد الشــمال لأنها تنمو بوفرة هنا.. كما أنها تشبه فى شكلها رمز النهر عندما يتفرع.

– ومن هو الحاكم على تلك البلاد؟

تســاءل حورس الذى أجابه ســرقت بعد أن اجترع رشــفة من نبيذه الأحمر:

– هنــا نظام الحكم مختلف قليلًا.. فكل قرية مختصة بحدودها وكل حــدود ولها حاكمها.. ولكنهم يتبادلون التجارة والســلع مع بعضهم بعضا ولا يوجد بينهم عداوة تذكر.

عقبت إيزيس: وإلى أى قرية نحن متجهون؟

– عند مفترق الإترو ســنأخذ فرع النهر الأول عند أقصى الغرب فى مســيرة يوم حتى نصل إلى مدينــة (بوتو).. إنها المدينة الأقوى والأكثر أمانا وطمأنينة عن سائر بلاد الشمال.

عقب آلكيدر على كلام سرقت متسائلًا:

– وماذا عن حاكمها.. هل تثق أنه لن يبيعنا إلى الملك ست؟

– الحاكم آمتى!! إنه من أكبر المبغضين للحاكم ست.. ثم إنه بطل شــعبى، لقد كانت مدينة بوتو مقسمة قديمًا إلى مدينتين متجاورتين (بى، ودب) ولكنه قام بثورة شعبية على الحكام وقام بتوحيدها إلى مدينة واحدة.. وقد اختاره المستوطنون ليكون هو الحاكم للأرضين.

فجأة اســتقام (سرقت) من جلســته ونهض واقفًا وبيده قنينة النبيــذ ثم اســتدار فجعلهــم عقبه وقد بدأ يظهر فــى صوته نبرة السكير، رافعًا ذراعيه إلى أعلى وبيمينه نبيذه، وينظر إلى أسراب النــورس المحلقة فى الســماء عندما بدأ وهج الصباح فى التســلل ســاطعًا.. وقد اســتطرد (ســرقت) كالعاشــق الضال بينما نظر له الجميع فى تعجب:

– أتدرون بماذا أحلم.. أتوق دائما إلى أن أكون بطلًا شعبيًا عظيمًا هكذا مثل الحاكم آمتى.. لا.. أتمنى أن أكون أعظم من الحاكم آمتى، فــإذا كان هو قد قام بتوحيد مدينتى بى ودب.. ســأقوم أنا بتوحيد أرض الشــمال وأرض الجنوب.. سأجعل الجبت كلها مملكة واحدة

وســأنهض باقتصادها ولن أجعل فيها ظلمًا ولا استبدادًا.. سيحبنى الشعب ويجعلنى خالدًا.. وإن لم أكمل مسيرتى.. فسأوصى أحفادى أن يكملوها من أجلى.. سوف يحكم نسلى أعظم مملكة فى التاريخ.. هنا على أرض الجبت، وأنت أيها الصغير.. بماذا تحلم؟

ثم اســتدار مرة أخرى مشــيرًا بزجاجة النبيذ التى قد انتهت إلى حورس، ثم جلس القرفصاء ووضع كلتا يديه على خديه كالأطفال ناظرًا إلى حورس الذى كان يتفكر بتأن قبل أن يجيب:

– أحلم بأن أغدو بطلًا يعيد الأمل والطمأنينة لكل المســتضعفين فــى الأرض.. بأن أجعل المتقزمين مثلنا لا يهابون العمالقة الطغاة، ويعلمون جيدًا أنهم هم الأكثر عددًا وأنهم هم ملاك الغد.. ســأكون مقاتلًا يطوف البلاد لنصرة المســتضعفين.. ســينام الأطفال ليلًا فى ســكينة وأمان لأنهم يشــعرون بأننى موجود، ســأدافع عنهم عند الخطر.. عندها يشــعر الطفل مثلى بالأمل، ســوف لا يشــغل باله ســوى كيف يفيد البشرية ويجعلها أفضل وأرقى.. هذا الأمل الذى زرعتــه أمى بداخلــى عندما قالت لى إن والدى ســيعود يومًا ليعيد النظام والحق مرة أخرى.. وأنتِ يا أمى.. ماذا تتمنين؟

– نظــر الجميــع إلى إيزيس التى بدورها كانــت تنظر إلى القمر الذى لم يختف بعد برغم سطوع النهار:

– أحلم بأن أقابل الموت لأســأله هل استأثر أوزير.. فإن لم يكن لديه فســألتمس منه بأن يبقينى حية حتى أرمقه للحظة، ثم إليه

روحى ليستحوذها كما يشاء.. وإن كان يمتلكه فليجعلنى أبصره قليلًا ثم إليه كلانا لا أكترث ماذا سيصنع بما سيمتلك.

ساد الصمت قليلًا فأراد أن يمحيه سرقت بأن يسأل آلكيدر أيضًا بما يحلم:

– وأنت أيها الأعرابى.. ماذا تتمنى من دنياك؟

أجاب ألكيدر سريعًا:

– يجب أن نتحرك الآن حتى نستطيع أن ندرك مبلغنا قبل حلول الظلام.. أتمنى فقط ألا يعثر علينا رجال الملك.

همّ الجميع بالرحيل عبر شبورة بُخار الصباح التى جعلت الرؤية شبه معدومة عبر الصحراء، يزيدها وهنًا ضباب الريح المحملة بالرمال، ولكن برغم كل هذا قد شاهد الجميع على مرمى أبصارهم تلك البنايات الضخمة التى كانت شامخة مشيدة عبر الصحراء:

– ما هذا الشىء؟!

– ياللهول!!

تساءل حورس وتبعه آلكيدر متعجبًا فأجاب سرقت:

– إنها أبيات الخلود.

عقبت إيزيس موضحة:

– منذ سنوات عدّة قبل عهد الكارثة الكبرى كانت تثوى هنا حضارة فى غاية التقدم.. لا تقل روعة عن حضارة هرمس العظيم.. ولكن فى يوم وليلة أطاحت بهم الريح ولم يبق من أثرهم شىء قط

إلا مساكنهم تلك.. كان مفترق النهر إترو ينقسم أيضًا إلى اثنى عشر فرعـــا وليس إلى ســـبعة فقط.. ولكن الكارثة قد أبـــادت فى طريقها تلك التفرعات كما أضعفت السبعة الآخرين، ولم تترك منهم سوى فرعـــين هـــم الدائمون طوال العـــام.. وقد لاحظ البشـــر أن بعد تلك الكارثة بدأت أشـــياء غريبة فى الظهور وتقلص حجم البشـــر وقد أصبحت أعمارهم أقصر، وتشوه معظم نسل الحيوانات فأحيانًا نجد حمارا بستة أرجل أو قطة برأس كلب والعديد من الأشياء الغريبة.. حتى بعض النباتات قد تأثرت بفعل تلك الطفرة العجيبة.

أضاف سرقت:

– عندمـــا أحكم الأرض ســـأعيد ترميـــم تلك البنايـــات الرائعة وأجعلها خلابة مرة أخرى وســـأنقش عليها اسمى شرفًا لكى يبقى خالـــدًا ومذكـــورًا أننى قد شـــاركت فى إعادة ترميم تلـــك البنايات الهائلة.. سوف أعيد المدينة جميلة مرة أخرى و..

فجأة أشـــار ســـرقت بيده ليقف الجميع فى ثبات وتعجب وهو يتســـلل متقدمًا عنهـــم فى خطوات متأنية ثابتـــة وتظهر عليه آثار الثمل وهو يهمس فى هدوء:

– شششششش..

وفى حركة مفاجئة قد انقض على الرمال وكأنه يحوز على شىء بيده ثم يضحك بطريقة بلهاء:

– هاهاها.. لقد أمسكت بك يا صغيرى.. لا تقلق لا تقلق.

ثم فتح قبضته ليظهر بها عقرب كبير وهو يقبض عليه من ذيله ثم صار يقبّله بشفتيه وعينه يملأها السعادة فتساءل حورس:

– ماذا تفعل؟

أجاب: انظروا إلى هذا المخلوق الصغير الوسيم.. إنه وبرغم صغر حجمه يعتبر أخطر مخلوق فى تلك الصحراء.. لا يقدر شـــىء على مهاجمته وإلا تعرض للدغته الســـامة القاتلة سريعة المفعول.. إنه ملك الصحراء، عندما أحكم البلاد ســـأتخذه رمزا لنفســـى.. لأننى وبرغم ضآلة حجمى لن يســـتطيع أحد أن يتغلب على.. سوف أجعل اسمى الملك العقرب، وســـأسمى أبنائى بهذا الاسم لكى يتعلموا من العقرب القوة والمباغتة.

ثم تقدم آلكيدر وهو لا يعبأ بكلام سرقت متمتمًا: «إنه مجنون».

ســـارت إيزيس وخلفها حورس الذى كانت تدهشـــه كثيرًا فكرة اتخـــاذ أحد المخلوقات كرمز لـــه ليبرزه، ويميل الصغير إلى أن يجد لنفسه هو أيضًا كائنا آخر ليتخذه كرمز لنفسه يشبهه ويميزه.. ومن خلفهم كان يسير سرقت مترنحًا وهو يقوم بتدليل عقربه فى سرور.

***

فى اليوم الثانى عبر أراضى الشمال بدأت تظهر علامات الحضر خلال الطريق على ضفتى النهر، بعض الأكواخ الصغيرة من البوص وبعض النســـاء يغســـلن أوانيهن الفخارية التى يظهر عليها براعة التصنيـــع ودقة الزخرفـــة، وتناقلت بعض القـــوارب المصنوعة من

البردى تحمل الصيادين يرتدون الزى الجبتى المعروف، ثوب يطول إلى ما فوق الركبة ورباط فى الوسط، تميزهم الصلعة على رؤوسهم والكحل العريض على عيونهم، يلقون شباكهم فى المياه فى انتظار الفرج، وبعضهم يجلس على الضفة يحمل أوعية صفراء صنعت من ورق النخيل وبها بعض الأسماك المعروضة كسلعة للبيع، ينادون على مسامع المارة فى الطريق لجلب الرزق:

– «البورى الطازج.. لا تضيع فرصة اغتنام بعض البورى الطازج».

– ماذا تعنى كلمة البورى؟؟

تساءل حورس فأجابه سرقت الذى توقع السؤال:

– البورى هو اسم أسماك النهر فى تلك البلاد.

قليل من التوغل داخل البلدة حتى بدأت بعض التجمعات السكنية فى الظهور على شكل قرى صغيرة، بيوت وأكواخ من الحجر الطينى المغطى بالبوص فى أسلوب معمارى يتميز بالفنون والأفكار التى تظهر فيها الاختلاف عن بيوت أرض الجنوب.. الأمر الذى جعل إيزيس تحمل حورس ليقف على كتفها فيشاهد المنظر من مسقط أفضل وهو يتمسك بغطاء رأسها القماشى بكلتا يديه وينظر فى ذهول إلى مظاهر الحضر ممن يرتحلون فى الشوارع ذهابًا وإيابًا، وأحيانًا يظهر من يركب حصانا أو حمارا ينقل عليه بعض الأحمال وهو يسير برفق وسط المارة الذين كانوا ينظرون إلى حورس ورفقته الغريبة المكونة من سيدة متعملقة وطفل جبتى صغير وشاب أعرابى وآخر آكدى وعقرب!

ثم تقدمهم ســـرقت قليلًا ونظر إلى الأعلى حيث حورس وإيزيس وهو ينادى:

- أسرعوا.. لقد اقتربنا من حدود مدينة بوتو.

وبعد مــدة لم تطل كثــيرًا... بدأت على مرمــى الأبصار تتضح بوابــة (بوتو) التى كانــت تتجلى بين برجى رصــد مرتفعين من الخشــب المســتحكم بواســطة الحبال الغليظة وبأعلى التبة خوان خشــبى يقف عليه حارســان يحملان النبال والسهام، وعلى يسار البرج الأول كانت هناك أشــجار كثيفة تحيــط بالمدينة وترتبط كل شجرة بالأخرى بواســطة الحبال والأخشاب تشكل سياجا منيعا، وعلــى يمين البرج الآخــر يقع النهر وبه بعض مراكب الحراســة حتــى الضفة المقابلة مــن النهر حيث تظهر بوابــة أخرى تماثلها تمامًــا على حد مــا يفترض البصر. ثم تجلجل صــوت نفخ فى بوق لا تعلم مصدره فور أن أزف وفد حورس ورفقته مقتربين من البوابة واســتمر لوهلات قليلة بعدها وفجأة انطلقت بضعة أسهم مترابطة بحبال فــى نهايتها تتطاير فى اتجاه عرضى عــبر البوابة العالية لتصبح البوابة مغلقة محصنة بواســطة حبال غليظة تتناثر بشــكل عشوائى بين البرجين تعوق المدخل، وجاءهم فارس يمتطى حصانا مشــيرًا إليهم بسيف نحاســى لامع ويقف بزاوية وهو يصيح: «إلى أين تظنون أنفسكم متجهين؟».

وتقدمهم سرقت:

– نحــن ذاهبــون إلى الحاكــم آمتــى.. قــل لــه إن بحوزتى الأمير حورس مــن بلاد الجنوب وإيزيس زوجــة أوزير العظيم ونريد لقائه.

– انتظروا هنا..

ثم أشــار الحارس إلى أحد الجنود من الناحية الأخرى فارتحل الآخر ســريعًا بحصان أبيض وغاب للحظات لم يتحدث فيها سوى الملــل، حتى عاد الجندى فنظر إلى الحارس وهو يهز رأســه برفق إلى الأســفل فى موافقة أشــار بعدها الحارس بســيفه إلى البرج فتم سحب جميع الحبال قاطعة الطريق، وتمهد المنفذ إلى المارة يتوقهم الحــراس المتقزمون بأحصنتهم وظل حورس يشــاهد مظاهر المدينة وهو ما زال واقفا على كتف إيزيس:

بيوت خلابة تبدو عليها ملامح الفنون واختيار الألوان الساحرة فى نقوش رائعة، وبعض البيوت ذات الحدائق التى تظهر عبقرية فى فنون التنســيق.. تصطــف البنايات الصغــيرة بنظام بين أبراج الحمام وأعشــاش الدواجن، والأسوار الخشــبية المستطيلة تحتجز بداخلها المواشــى والأغنام، وعبر الممرات يشــاهد الصغير أســواق المدينــة التــى قد لاحظ أنهــا لا تحتوى على أيــة متعملقين إلا من إيزيــس التى تحمله، وعبر الأســواق يفوح أريــج البخور ورائحة حبــوب العطارة المنبعثة من الفخار المزخرف. ويبدو أن هناك تقدم فى صناعة الســلع النحاســية حيث يعتبر النحاس اكتشاف ثورى

جديـد حديـث العهد فى هذا الحـين وقد صنعت منه السـكاكين والمقاشط والسهام والفئوس بطريقة احترافية.

* * *

على جزيرة صغيرة وسط النهر ظهر بيت يشبه القلعة الحصينة صنـع من الطوب اللـبن ومطعم بالأعمدة الحجرية ومدخل شـاهق الارتفاع مغلق ببوابة خشبية ضخمة، وعندما أشار الحارس بسيفه تحركت البوابة وكأنها ستنهار ساقطة فوقهم حتى توجس حورس مغمضًـا عينيه للحظة وعندما فتحها ظهـرت الحبال المكبلة بقمة البوابـة التى قد هوت متدنية أمامهم لتشـكل جسـرًا بين الضفة والجزيرة يوضح عبقرية فى الفكرة والتصميم.

أشـار الحارس إليهم وهـو يتقدمهم لاجتياز الجسـر فوضعت إيزيس حورس أرضًا ليسـير بجوارها وصولًا إلى ممر مرتفع داخل القصر وعبره إلى ردهة واسعة متعددة الأبواب التى خرج من أوسعها صوت الحاكم قبل أن يخرج جسـده أمامهم: «إنه لشـرف أن أقابل فى حياتى سيدة الجبت وأميرها حورس من نسل أوزير العظيم».

خـرج من البوابـة المقابلة إليهم الحاكم المتقـزم صاحب الرأس الصلعـاء والأعـين المكحلة، تظهـر على ملامحه وسـامة لا تُظهر سـنه وأشـار إلى الحراس بيده فخرجوا، ثم قال بلهجته الغريبة التـى تختلف بدرجة قليلة عن أراضى الجنـوب برغم أنها تحمل اللغة نفسها:

– آســف على تلك المعاملة الجافة ســيدتى.. لقد أخبرتهم أننا لا نسمح للعمالقة بدخول المدينة، ولكن يبدوا أنهم لم يفهموا أننى أقصد ضخامة الحجم.. وليس ضخامة المكانة.

– أشكرك أيها الحاكم.. لقد جئناك إلى..

– اعذرينى ســيدتى.. ولكن يجب أن نتناول وجبة سويًا أولًا ثم نتحدث فى أى شــىء، تلك تقاليدنا المعهودة، ويبدو أنكم متعبون من الرحلة.. هذا إن لم تمانع أيها الأمير.

ابتســم إليه حورس دون كلام ثم تقدمهم بعد أن أشار إليه الملك للدخول عبر أحد الأبواب إلى قاعة واسعة.

على يمــين القاعة كانت توجد طبلية ضخمــة مجهزة بالأطباق النحاســية والفواكه وكؤوس من حجر البازلت، وعلى الأرض حول الطبليــة كان فرش مبطــن جلس عليه الجميع، على يســار القاعة كانــت هناك حفرة خندقية تعمل كموقد لإعداد الطعام، تفوح منها رائحة طيبة استوضحت عنها إيزيس متسائلة:

– ما هذه الرائحة الطيبة؟

– إنه اختراع يدعى الخبز.. لقد اســتخلص شعبنا حبوب القمح من القمح البرى بواســطة نوع من التهجين كما كان يعلمنا أوزير، وقمنــا بابتداع الطحانة لطحن تلك الحبوب وصنع عجين نخبز منه هذا الخبيز طيب الرائحة.

ثم فاح عبق الشــواء عبر المكان قبل أن يدخل الخدم يحملون من

اللحـــوم أشـــكالًا وألوانًا من بر وبحر، ويدور ســـاكب النبيذ المعتق حول الحضور بينما لم يخفض سرقت عينه من عليه حتى جاء دوره فابتسم قبل أن يشير إليه أن يملأ الكأس بالمزيد.. وقال آلكيدر:

– نشكرك على تلك الضيافة الكريمة أيها الملك.. يبدو أنك رجل جليل كريم، ولكن أولًا يجب أن نخبرك بما لدينا.

وعقب الملك:

– لقد سمعت عنك أيها الأعرابى الشـــاب.. إنـــك آلكيدر العالم الحصيف.. وأجل أنا أرحب بكم للعيش فى مدينة بوتو حتى تشتد عظام حورس ويعود ليسلب ملك أبيه من عمه المتجبر.. مرحبًا بكم فى بوتو.

– أشكرك أيها الحاكم.. إنه لإطراء كبير منك.

قالتها إيزيس وعقب حورس:

– شكرًا لك أيها الحاكم آمتى.

– أنا من وجب عليه الشـــكر على ما قدمه إلينا والدك من فضائل يـــا حور.. ولكن اسمح لى أن أعرفك على ابنى الصغير، الأمير (كا) إنه فى مثل عمرك تقريبًا.. يمكنكم أن تكونوا أصدقاء من الآن.

وذهب الحاكم ولم يغب حتى خرج بصبى صغير يشبه أبيه الذى وقف خلفه ثم دفعه قليلًا ناحية حورس:

– فلتســـلم علـــى أمير بلاد الجنوب يـــا كا.. ويمكنك أن تعتبره صديقك من الآن.

اقــترب الصبى من حــورس فصافحه مبتســمًا دون كلام وأكمل الحاكم آمتى:

– إنه خجول قليلًا.. والآن لنكمل طعامنا سويًا.

وجلــس حول الطاولة الأفراد الســتة يأكلون ولم يتردد أحد من الضيــوف الأربعة فى أن يبدى إطرائه بطعامهم الشــهى والمتميز، وفــور أن انتهى الجميع من المأكل والمشــرب جاءهم الخدم بدوارق نحاسية ذات فوهة رقبتها طويلة ورفيعة ينسكب منها الماء المعطر لغسل الأيدى فوق أطباق واسعة لتسع الفائض من ماء الغسل، وبينما ينظف الجميع أيديهم من آثار الطعام قال لهم الحاكم:

– ســتمكثون فى الضفة الغربية مــن المدينة.. ولكم هناك جيرة طيبــة وأرض خصبة لتزرعونها حتــى لا يمن عليكم أحد.. فالعمل هنا شرط المعيشة.. وسأرسل لكم (كا) من وقت لآخر ليقضى الصبيان وقتا ممتعا سويًا حتى لا يشعرا بالوحدة كلاهما.

* * *

هــب الليل فى المدينة، ولم يســتطع حورس النوم فى بيته الجديد برغــم هدوءه وطرازه الأنيق.. صاحــب الأبواب المرتفعة دائرية القمة والحديقة الواسعة. ولكن هناك شىء مختلف قد حاز أكثر على اهتمام الصغير، وهو أن هذا المنزل يطل على مجرى النهر السائر الذى وقف أمامه ينظر إلى مائه المتدفق، لعله قد مر يومًا من أبيدوس.. ولا صوت يُسمع وسط ظلام الليل إلا من صرصور الغيط وخرير مياه النهر العذبة.

حتى سلب إبصار حورس واهتمامه هذا الصقر مفرود الجناحين الـذى كان يحلـق ثابتًا فى السـماء.. وعلى حين غرة شـهد النهر اضطرابـا مفاجئا نتيجة هجوم الصقر بسـرعة فائقة ليخطف منه سمكة كبيرة ويطير بعيدًا..

اندهـش حورس من تلك الحركة السـريعة والحكيمة فى نفس الوقت.. كم من التأهب والتحضير احتاج هذا الصقر لكى يلتقط تلك السمكة التى لم يلحظها حورس ألبتة برغم أنه الأقرب منها.. ياله من مخلوق عجيب.

وتذكر حورس القاعدة (ريخ – حيكا – سبا – سيا)...

هل يطبق هذا الصقر تلك الكلمات حقًا ليكون بهذه الدقة والمهارة؟؟

ريخ: الدراية والمعرفة، هى الخبرة التى تكتسبها من تجاربك السابقة، معرفة مكان السمكة وكيف يلتقطها بنجاح دون أن تشعر به وكيف يراقبها بثبات برغم عدم وقوفه على أرض ثابتة وكل هذا دون أن يخطئ التقدير.

حيكا: الاتزان والرصانة فى اتخـاذ القرارات واختيار اللحظة المناسبة متى يهجم وإلى أين سيذهب بها بعد الهجوم.

سـبا: العلم، والخبرة بحركة الفريسة ونوعها وسرعتها نسبة إلى سرعته ووزنها نسبة إلى قدرته على الخلب والإقلاع.

وسـيا: تلك الأعين التى ترى كل شـىء بدقة.. تراقب السمكة والسمكة لا تدرى أنه يراقبها.. يتفهم تصرفاتها بعين صائبة حتى

وإن اختفت تحــت المياه، فلديه البصيرة ليتوقع أين ســتذهب فى حيزها الضيق.. فالســمكة لا تعلم على أى حال بهذا العالم الواسع الــذى يراه الصقر من الخارج.. ومع ذلك تعتقد الســمكة أنها تعلم كل شىء، ولا تتخيل بأن هناك عالم آخر لا تراه.. ولكن عين الصقر ترى من مسقطها كل شىء.

انطلق الصغير بســرعة نحو المنزل ثم ارتجل الدرج حتى سقف البيــت واقفًا على حافة الصور فاردًا ذراعيه كالصقر ونســيم النهر يضرب وجهه بقوة وهو لا يغلق عينيه حتى أدمعت من شدة الهواء.

ينظر حوله.. هذا سرقت يفعل بعض الحركات البهلوانية، لابد أنه يتدرب على فنون القتال.. وهذه!!!

ما هذا الجمال؟؟

إنها بيضاء بشعر مجعد وأعين حادة برغم سواد لونها، تداعب ضــوء القمر فتظهر لمعانًا ينم عن براءة الأطفال.. جميلة برغم صغر سنها ولكن.. هل يدق القلب فى هذا الوقت المبكر؟؟

كانــت الفتــاة الصغيرة تقف بعيدًا فى وســط الطريــق تنظر إلى حورس.. هذا الصبى الغريب الذى يحلق فى السماء، ووقف حورس متصلبًا ولا يعرف إن كانت هذه حقيقة أم ضباب وسط الظلام.

فريســة الصقر الذى قد قرر أن يتخذ قــرارًا متهورًا بالهجوم، ونــزل يعدو على الدرج حتى خرج وســط الطريــق يركض ليجدها ولكــن لا يوجد صورة ســوى ظلام الطريق، ولا يوجد صوت ســوى

صرصور الغيط المزعج.. ربما كان يحاول أن يخبره عن مكانها ولكن حـــورس لم يفهم، دخل الصبى ليبحث عنها وســط أشــجار الذرة الكثيفة والطويلة حتى تلطخت ساقه من الطين ولكن لا أثر.

وبعد أن توقف الصغير وسط العشب قليلاً صامتًا فاقدًا للأمل غائرة قدماه فى الوحل.. اســتعاد تركيزه على صــوت مألوف.. يبدو أنه سرقت الذى لازال ساهرا وحده يؤدى تدريباته القتالية الشاقة. ثم اتجه إليه الصغير لعله يؤانسه فى هذا الليل الذى لا يعرف النوم.

- مرحبًا سرقت.

- ما الذى أيقظك يا صغير.. هل تخاف هذا البيت الواسع؟

- إنـــه فقط أرق الفــراش الجديد، ســوف يزول مــع الوقت.. ماذا تفعل؟

- أنا أتــدرب على القتال.. لقد تركت هذه التدريبات منذ فترة قصيرة وكان يجب أن أعود.

ثم اقترب الصغير من سرقت قليلاً وقد التقط عصا من الأرض مثل تلك التى كان يحملها سرقت وهو يقول:

- هل لك أن تعلمنى؟

ودون كلام اقترب ســرقت من الصغير ثم عدل له كتفه، وبعصاه ضرب برفق قدمه اليمنى ليبعدها قليلاً عن اليســرى، فرد له ظهره بيده ورفع رقبته لأعلى، ثم أمسك بكلتا يديه حتى ضبط له مسكته للعصــا فى وضع الاســتعداد.. ومن ثم وقف ســرقت بجواره نفس وقفته وبعدها تقدم خطوة ســريعة بيمينـــه وهو يضرب بعصاه فى

الهواء مع صيحة قتاليـــة.. وهذا بالضبط ما فعله الفتى فى رد فعل ســـريع بعده فنظر سرقت للصغير وهو مندهش من سرعة استيعابه ودقـــة تنفيذه للحركة، ثم أكمل ســـرقت قتاله متقدمًا والفتى يقلده بدقة بينما كان آلكيدر يجلس بعيدًا ويتابعهم فى سرور، وظل هذا الحال حتى حل الصباح.

* * *

– حورس.

– أبى!!

– حورس.

– أبى أين أنت؟

السـماء خضراء مفعمة بـالأزرق وتلك الأكاسـيا العملاقة ذات الأوراق البنفسـجية الغريبـة كان لها ظلين متقابلـين فوق الرمال الباهتـة نتيجة ظهور شمسـين بالأعلى الأولى صفـراء على اليمين والأخرى ضخمة حمراء على اليسـار، وبين رائحة التفاح مجهولة المصدر يظهـر صوت متعاظم لرجل عجوز حتـى ظهر صاحبه بين الضباب اعتقد حورس بأن أوزير والده وهو يحدثه من بعيد:

– حورس.. لقد كبرت يا بنى.

– أبى.. هل أحلم بك؟

– لا.. ربما أنا الذى يحلم بك.

– وما هذا المكان الغريب؟!

– جميل؟؟

– بل مرعب.

– اثنى عشـــر عالما.. وسبع سماوات.. وسبع أراضين.. ربما تلك هى أحد الأراضين السبعة.

– أراضين ســـبعة!! هل هناك عوالم غير عالمنا وأراضٍ غير تلك التى نقطنها؟؟

– لا أعلـــم.. تلك فقط نظريـــة يطرحها القدماء.. ولكنى لســـت متأكدا بعد.

ثم شعر الصبى فجأة بقدمه تنغرس فى الأرض فنظر أدناه ليجد دائرة سوداء سرمدية غير منتظمة تتسع رويدًا رويدًا، وينغمر فيها الصغير شيئًا فشيئًا ويناديه الأب من بعيد وكأنه يحاول أن يقترب ولكن هناك ما يعوقه فيصرخ مناجيًا ابنه:

– حـــورس.. حـــورس.. إنهـــا بوابـــة التارتاروس.. تماســـك يا صغيرى.. حورس...

***

– حورس.. استيقظ يا صغيرى.

ضوء الشمس يتسلل عبر النافذة إلى أعين الصبى فيغمضها ليلمع فى أبصاره مشهد الحلم الأخير مرة أخرى وتغلق الأم النافذة قليلًا فيتقلص الضوء.

– استيقظ يا بنى فهناك ضيف ينتظرك بالخارج.

اضطربت المياه بداخل القــدر التى تعكس وجه حورس الصغير وهو يصفعه بالماء لعله يستفيق من هذا الحلم المزعج الذى رآه برغم أنه قد شــاهد فيه والده لأول مرة، ثم ارتدى فوق رقبته هذا الدرع المنقش المســتدير الذى يغطى جــزءا نصف دائرى من صدره وظهره يليــق لونه مــع التنورة التى كان يرتديها، ووضع يده على شــعره الذى يبدو أنه قد نمى قليلًا ثم هندمه وهو يبصر انعكاسه فوق مياه القدر وخرج ليقابل هذا الضيف الذى ينتظره.

– كا.. مرحبًا بك أيها الأمير.

– صباح الخير يا صديقى.. هل ستشارك معنا الليلة؟

– أشارك فى ماذا؟!

– لقــد اقترب فصل الفيضان وقد طلبت من أبى اليوم أن أشــارك معكم فى مراســم التحضير للفيضان.. يقوم النســاء والأطفال ببذر البــذور فى الأرض ويقوم الرجال بتخزيــن الغلة فى صوامع بعيدة عن مياه الفيضان.

– ولكنى لا أعرف كيف يتم ذلك.

– سوف أعلمك.. والآن هل أنت معنا يا صديقى؟

مد (كا) يده منتظرًا حتى اقترب حورس منه فصافحه وهو يبتسم ويحرك رأسه موافقًا ثم نظر إلى والدته التى أشارت لتسمح له بالخروج وتبعهم حراس الملك الذين كانوا ينتظرونهم عند مدخل البيت.

اكتظت المدينة بالفلاحين يسيرون فى الشوارع محتفلين باقتراب

الفيضان وتزينت البيوت بالورد وخرج المستوطنون فى الشوارع فى مواكــب احتفالية حاملين الأعلام الحمراء مرســوم عليها بالأبيض زهــرة الــبردى، ولكن ما يلفت الأنظار حقًا هو أن هذا الشــعب لم تقتصــر مظاهر احتفاله على المرح فقــط.. بل كان مرحهم هو العمل نفســه.. يحتفل الجميع بأداء واجبهم فى بهجة وسعادة.. ما هذا الشعب العظيم!!

يحملون الأوعيــة الممتلئة بالخزائن لوضعها فــى المطامير التى كانت عبارة عن صوامــع حفرت فى باطن الأرض مغلفة من الداخل بعضها بالخوص وبعضها بالقش وينقل البعض خزائنهم بواســطة البهائم يسحبونها خلفهم بواسطة حبل مربوط فى رأسها ويعلقون عليهــا الزهور وأعلام الــبردى، وكان النســاء والأطفال فى الحقل يقومون ببذر البذور وكان الحراس يتبعون كا وحورس فى أى مكان يذهبون إليه.. ثم اتجه الصبيان لأخذ حقيبة جلدية صغيرة تحتوى على بعض البذور وبدأ كا يعلم حورس كيف يفعل ذلك بعد أن أعطاه عصا صغيرة ذات رأس حجرية.

- انظــر يا حــور.. عليك فقط أن تضع حفنــة صغيرة من البذور على الأرض هكذا.. ثم تقوم بدفنها فى الأرض باستخدام تلك العصا وتستمر على هذا المنوال.

- يمكننى فعل هذا.. إنه أمر سهل.

- إذًا هيا لنبدأ يا حور.

وعقب حورس وهو ينفذ تلك العملية البسيطة.

– لماذا تنادينى حور.. اسمى حورس.

– حور.

– لا.. حورس.. لهجتكم غريبة جدًا فى تلك البلاد.. تتحدثون بسرعة وتخطفون الحرف الأخير دائمًا.

– كنت أعتقد أنك أنت صاحب اللهجة الغريبة يا صديقى.

ضحك الصديقان ثم تصلب حـــورس فجأة عندما أدركها.. أجل إنها هى يا حورس، ملاك الليل الصغير.. تمرح هناك وسط البنات كالعصافير اليافعة وهن يبذرن البـــذور ويغمرنها بالعصى، وتبدو هى أرقهن فى هذا الزى القصير الأبيض.

– حور.. هل أنت هنا؟؟

وأجاب حورس ولم يرفع عينه:

– هل تعرف تلك الفتاة يا كا.. صاحبة الشـــعر المجعد والأعين الواسعة الكحيلة؟

– بالطبـــع.. اسمها (واجيـــت) وهى ابنة أحد أعيـــان القرية.. جميلة أليس كذلك؟

وفجأة انكســـرت تلك العصا التـــى كان يتكئ عليها حورس وهو يحاول غرسها بزاوية خاطئة مما أدى إلى سقوط الصبى على الأرض وتلطخـــت ثيابـــه بالطين مما لفت نظـــر الفتيات اللاتى تهامســـن الضحكات سويًا..

مــن أهم علامات الإعجاب الشــديد هو أن نظهــر كالحمقى فى البداية، أما العشق فهو ليس إلا تأكيد لتلك الحماقات.

تركت الفتاة صحبتها لتقترب مــن صقر ليلة الأمس الذى يبدو أنه لم يتقــن التحليق بعد، ومدت يمينها لتســاعده على النهوض فأمسك بيدها وظل ساكنا حتى نبهته:

– يمكنك النهوض الآن.

أضاف كا: مرحبًا واجيت.

– مرحبًا كا.. من هو صديقك الغريب.

أجاب حورس عاجلًا: اسمى حورس.

– مرحبًا يا حور.

– لا.. بل حورس.. لماذا تنطقونها حور.

– لهجتك مضحكة.

قاطعهــا كا: إنه وافد من أراضى الجنوب.. والدى يقول إنه كان أميرا لتلك البلاد.

واجيت: أمير إذًا ولا يستطيع وضع البذور.. يبدو أنه أمير مدلل.

حورس: لا أنا فقط لم أفعل هذا من قبل.

كا: أنــا أحاول أن أعلمه.. يمكننــى أن أخبر الحراس ليتركوك تنضمين إلينا يا واجيت لتساعدينى فى تعليمه.

واجيت: إذًا يمكنك أن تأخذ تلك العصا لتعمل بها أما أنا فسوف أذهب لآخذ واحدة جديدة من إحدى صديقاتى.

كا: لا انتظـرى سـوف أذهـب لأخـبر الحـراس فـى جلب واحدة أخرى.

واجيـت: لا تقلـق.. مـع صاحبتـى واحـدة إضافيـة.. عـن إذنك يا حور.

ذهبـت الفتاة ولم يتحدث الصبيان بل كان كل منهم ينظر إليها بابتسـامة حمقـاء حتى عـادت.. وهكذا مضى اليـوم بين الثلاثة يلاحقـون بعضهم البعـض وتتعالى الضحـكات البريئة وتتراقص الأرواح فى كأس المرح حتى انتهى النهار ولم ينتهى اليوم، بل قد ابتدأ من هذه اللحظة، يسـير الثلاثة بين طرقات المدينة يشاهدون مظاهر الاحتفال.. تحتشـد المدينة بالزينة ويمارس بعض الرجال لعبة التحطيب وتشجعهم النساء ويلتف الأطفال حول هذا الرجل الذى يعزف المزمار فتتراقص أمامه الحيات على الأنغام العذبة.

ولكن كا قد بدأ يشـعر بالضيق والغيرة عندما شـعر بأن واجيت تهتم بأمر حورس أكثر بينما هو خلفهم يضطر أن يسرع قليلًا حتى يلحق بهم.

ومضت الأيام فى شـكل اعتيادى، اشتهر آلكيدر بطبيب المدينة وحكيمهـا بينما يمضى حورس ليله فى التدريب مع سـرقت على أساليب القتال المختلفة وركوب الخيل والمبارزة، وكان يقضى أوقات فراغه فوق سـطح المنزل منتظرًا أن يراها مرة أخرى، حتى إذا جاء يوم الفيضان السنوى ليغمر الأراضى بالخير وجاءه (كا) مرة أخرى

ومعه واجيت ليقضون اليوم سويًا والمرح فى مياه الفيضان وسط الأراضى الزراعية، ينثر كل منهم الماء فى وجه الآخر وينغمر جسدهم فيها حتى الوسط.

وإذا انتهى فصل الفيضان جاء عيد آخر يقابلون بعضهم فيه مثل عيد (توت) الذى تبدأ عنده السنة الجديدة ويمارسون سويًا طقوس كسر الأوانى الفخارية كرمز يذكرهم بأن ما فات قد مات ويمكنهم اليوم البدء من جديد، ويشاهدون لعبة التحطيب التى تزداد بكثرة فى هذا اليوم حيث يجلس الرجل على حصان ممسكًا بعصا النبوت ويبدأ فى مبارزة ودّية مع منافسه والفائز هو من يطيح بنبوت الآخر أرضًا. وهنا ارتبط شهر (توت) الجبتى بتلك المبارزة حتى خرجت المقولة الشعبية (التوت والنبوت)، وتمر الأيام على الصغار الثلاثة أحيانًا يتقابلون فى قصر الحاكم آمتى للعب، وقد شعر كا بالغيرة من حورس الذى كان يحبه الحاكم آمتى كثيرًا كما كانت واجيت تفضله عنه وتقترب منه شيئًا فشيئًا، فينظر له كا نظرة الذى جاء ليسلب منه والده والفتاة الوحيدة التى أعجبته فى تلك القرية، حتى إذا جاء عيد الربيع (شمو) صاحب النسيم الطيب.. ولكن هذا اليوم قد قرر فيه (كا) أن لا يشاركهم الاحتفال وقد اختار أن يقضيه وحيدًا كما كان يفعل مسبقًا قبل مجىء حورس.. وبدأت تنقطع العلاقة بين حورس وكا رويدًا رويدًا ويتقرب حورس من واجيت أكثر فأكثر.

ومن منا لم يحب فى طفولته.. ومن منا لم ينس حبه الأول.

ما أجمل الأيـــام عند الصغر.. طويلة نســـبة إلى عمرنا القصير، ومرضية نسبة إلى قناعتنا المتواضعة، وخالدة برغم ذاكرتنا اليافعة.

مـــا أجملهـــا واجيت عندما تضحـــك وعندما تكبر أمـــام عينيه وعندما تنطق اسمه.. لقد بـــدأ الصغير يحب اسمه الجديد (حور) أكثر من حورس.

وهكـــذا تمضى الأيام بيننـــا تحاول بطبيعتها تغيير كل شـــىء دون أن تدرك أنها إذا تركت الوضع كما هو عليه ســـتكون الأحوال أفضل بكثير!

* * *

قبل تلك الأحداث بأعوام طويلة، وبعد سنوات من طوفان نوح العظيم.. عندما اســـتقرت الأرض وبلعت ماءهـــا وأصبح الكوكب أكثـــر خضرة وأفضـــل مناخًـــا. وأنجب أبنـــاء نوح نســـلا كثيرا وانتشـــروا فى الأرض، امتزجوا بمن نجا من الطوفان من القبائل فى بقاع شتى فأصبح ينسب إلى نسل نوح كل من بقى على الأرض بعد الطوفان.

ولكننـــا الآن ســـنتبع قصة مملكة صغيرة من بعض نســـل ســـام ابن نوح.

المكان قبيلة فى غرب الأردن شرقى فلسطين، والوقت تمامًا بعد بضعة سنوات من موت هذا الملك القوى المدعو «إرم بن سام».

كان الليــل داكن والنجــوم لامعة والهدوء يملأ المــكان فى تلك الحقبــة العتيقة، حــين انعكس ضوء القمر علــى أرض هذا الجبل الصغير حيث نشــب خلاف بين عاد وثمود على تلك الخلافة التى احتقرها عاد بعد موت جدهم.

كان عــاد وثمــود أولاد عم، عاد بن عوص بــن إرم.. و ثمود بن جاسر بن إرم

الذيــن كانوا خلفاء من بعد قوم نوح وازدادوا فى الخلق بســطة وكانوا أقوياء أشداء.

وفى لحظة كشف ثمود عن طيات جبينه غاضبًا قائلًا:

– ومن الذى جعلك الأحق بالخلافة يا عاد؟

– لأن قومــى يفوقــون قومك قوة وعــددًا فإخوتى ضعف إخوتك وأبنائى أكثر من أبنائك وأحفادى أكثر عددًا.

– ولكنى الأكبر سنًا والأحق بالخلافة يا عاد.

فأدار عاد ظهره عنه حيث نظر إلى أسفل الجبل.

– انظــر يا ثمــود إلى تلك الأراضى الخضــراء، نحن من زرعها بينما أنتم كنتم رعاة للأغنام، فهل استطاعت بهائمكم العيش دون زراعتنا.. نحن أقوياء أشداء وفوق ذلك أذكى منكم وأكثر علمًا، لقد ولدنا لنكون ملوكًا.

– أنت وقومك تخليتم عن عبادة ما عبده آبائنا ياعاد وعبدتم إله الجبت والطاغوت ولا تستحقون خلافة تلك الأرض.

– وأنتم يا ثمود تعبدون أصنام لا حول لها ولا قوة كانت هى السبب فى موت أجدادنا.. بينما أنا وإخوتى سـافرنا إلى بلاد الجبت أرض إدريس العظيم وتعلمنا أصول الزراعة، إن الجبتيين يقولون إن الإله الحـق موجود بالأعلى، والآن انظر بالأعلى، هل ترى تلك النجوم، إنها أعـين الإله ترقبنا، انظر إلى نجم الشـعرى المتوهج، انظر إلى هذا الجبار العظيم، إن آلهتنا هى تلك النجوم، وإننا نحن من شـيد تلك الأرض الخضراء بفضلهم، ونحن من سيحكمها باللين أو بالقوة.

* * *

أمـا فى جنوب مصـر فى نفس هذا الوقت، تغـير الحال كثيرًا بعد سـنوات قليلة من موت إدريس، فتراهم الآن يبنون له تماثيل تقديرًا له ويشيدون المعابد الهائلة، ولأن الله رفع إدريس إلى السماء فاعتقد البعض بأنه يسـكن تلك النجوم اللامعـة، فقاموا بتقديس النجـوم كثيرًا ونقلوا تلـك الثقافة إلى العديد مـن الأمم، ولكن من الناحيـة العلمية.. فلم تنحدر مصر بعد إدريـس بل ازدادوا علمًا خاصـة أنهم لم يتأثروا كثيرًا بالطوفـان، فأصبحت أرض الحضارة الشـهيرة وتعلموا أكثر عن الطبيعة والهندسـة والنسبة والتناسب والطـب والكيمياء، وحتـى الحيل والخدع السـحرية الترفيهية. بـل كان فيهم عـالم عظيم من أحفـاد هرمس يدعـى «عزير». إنه الشخصية الأهم فى تاريخ مصر، ولكن سنعود له بعد قليل..

* * *

والآن إلى الأردن مــرة أخــرى حيــث حكــم عــاد الأرض غصبًا مســتكبرين وقائلين من أشد منا قوة، وبالتالى قد تكاثرت المؤامرات علــى أبناء عاد من قِبل أبناء ثمود وازدادت الكراهية بين القبيلتين عبر الأجيال، إلى أن وصلت إلى حرب بين قبيلتين كانوا الأقوى فى هذا التاريخ، حتى كاد عاد وقومه أن يخسروها برغم قوتهم وكثرة عددهم ولكن أهل ثمود كانوا الجنود الأذكياء.

يفهمون فى أصول الحرب وخدع الكر والفر، ويحفظون مخابئ الأرض وتضاريســها لكثــرة ترحالهم أثناء رعــى الأغنام، وكانت النتيجة أن انهزم عاد وقومه شر هزيمة وتركوا البلاد تمامًا هاربين إلى أرض أخرى، وأصبح قوم ثمود هم الخلفاء من بعد عاد فشــيدوا حضارة بــتراء الرائعة وتبــوأوا فى الأرض يتخذون من ســهولها قصورًا ويتخذون الجبال بيوتًا فينحتونها ويجملونها ويشــكلونها أشكالاً رائعة ويتكاثرون فيصبحون بالآلاف، مشيدين مملكة ثمود الحصينــة فكانوا كلما ينحتون من الجبــال يجتلبون الصخر بالواد ليشــكلوا به ســورا عظيما حول المدينة فى تكهن أن يعود أعدائهم مرة أخرى فيســتطيعون الدفاع المدبر، وابتكــروا القواعد الحربية والسهام والفخاخ والمخابئ وأصبحت ثمود القلعة الأقوى حربيًا عبر العصــور، وكانت تلك الحضارة العربية اللســان بالأردن هى المثال الأول للقاعدة الحربية فى التاريخ.

* * *

بينما ارتحل عاد وقومه يتنقلون عبر البلاد حتى استقر معظمهم على ضفاف نهر تحيط به من الجانبين أحقاف الصحراء المشمسة، فكانوا هم أول قاطنى هذه المنطقة يشيدون بها مدينة خلابة وسموها مدينة آرام، نسبة إلى جدهم الأكبر إرم.

وبرغم قوة هــؤلاء القوم فإنهم قد كانــوا ذوى خبرة فى علوم الزراعة والطب والهندســة والفنون، فشــيدوا حضارة مدينة إرم ذات بنايات تحمل طابع هندســى رائــع الجمال، عماد لم يخلق مثلها فى البلاد. التى قد شــيدت للعبادة غــرب هذا النهر، أما فى الضفة الشرقية المقابلة لها، فقد شيدوا مدينة عاد ثم امتهنوا فيها الزراعة وعاشوا حياتهم اليومية.

والآن دعنــى أحكى لك عن تلك الحقبة التاريخية الرائعة ولكن أولًا عليك أن تترك ما تظن أنك تعرفه من تاريخ ثم تنصت جيدًا...

* * *

لا أحــد يعرف ماهية الطاقة.. لكنــك تعرف أنها تتواجد بعدة أشــكال، ربما لديك معادلات تتنبأ بتصرفاتها بمختلف أشكالها.. ربمــا تعرف أيضًــا كيف تتحكــم فيها، تجمعهــا أو تحولها من صــورة إلى أخرى، لكن لا أحد يعرف ماهية الطاقة حقًا.. مثل تلك الجاذبية أو حركة الرياح أو العواصف.

ولكــن هرمس قد عرف ذلك جيدًا. كيف تتجلى الطاقة، وكيف تســير، وكيف يتم التأثير عليها وترسيخها، وكيف يتم قياسها،

فكانــت أحد تلك النظريات هو الشــكل الهرمــى، وعلاقته بحفظ اللحوم والبيض واللبن والمواد سريعة الفساد، وسبب ذلك أن الشكل الهرمى يقــوم بتضليل وتلاعب بالموجات حولهــا، وربما موجات لطاقات أخــرى لا تعرفها. مثلما يتلاعب المثلث الهرمى الشــفاف بطبيعــة الضــوء، وهكــذا يغير نفس الشــكل فى الطبيعــة فيمنع الأعاصير ويحفظ الأشياء ويعطى الإحساس بالقوة والرخاء.

وبالنســبة إلى عزير.. هذا العالم المصرى الشــاب الذى قد درس جيدًا تلك النســبة العجيبة التى تتجلى فــى كل عناصر الطبيعة، خلال تأملات ودراســة أبحاث هرمس وتطويرها. اكتشف النسبة الذهبية التى تقوم عليها هندســة الكون وجســد الإنسان وترددات الطاقة وكل شىء.

وأنــت إن علمت أن هناك نســبة توجد فى كل شــىء تم خلقه، فعليك فقط أن تجدها فى هذا الشىء حتى تتعلم كيف خُلق.

* * *

وذات يوم فى ثمود كانوا فيه يحتفلون بالعيد الســنوى لخروج عــاد من أرضهم وخلافتهم للمنطقة، وبينما هم يتعبدون لأصنامهم فى شــكر وامتنان.. دخل رجل منهــم مقاطعًا لاحتفالهم ومعترضًا علــى ما يفعلون، ولم تكن تلــك أول مرة لهذا الرجل المدعو «صالح» بأن يقول مثل هذا الكلام.

– يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، هو أنشــأكم من الأرض واستعمركم فيها واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد.

فأجابه رجل من كبرائهم يدعى «قدار بن سالف» مستنكرًا:

– أنــت تريدنا أن نترك آلهة آبائنا فتأتينا لعنتهم ويخرجوننا من أرضنا مثلما حدث مع قوم عاد يا صالح؟

– الأصنــام التى عبدها آبائكم تشــبه تلك التــى عبدها قوم نوح أجدادكم فأخذهم الطوفان الكبير، والله قادر على أى شىء.

وتدخل سيد القوم وكبيرهم «جندع بن عمرو» الذى أراد أن ينهى هذا النقاش فأضاف:

– انظر يا صــالح.. لا تجادلنا فى عادات قد ورثناها، وإن كنت علــى حق فآتنا بآية أمــام أعيننا من إلهك الحق هذا الذى تزعم أنه يقدر على أى شىء، وإن أثبت ذلك فسنتبعك ونكون من الصالحين.

وعندها أردف رجل من القوم اسمه أبو رغال:

– أجل، نريد آية، آتنا معجزة مثل السماء.

– آية! ماذا تريدون كآية؟

وأضاف رجل يدعى مصدع بن مهرج:

– انظر إلى تلــك الصخرة البعيدة أمامنا، فلتخرج لنا منها ناقة على سبيل المثال.

وأضاف قدار بن سالف فى سخرية:

– نعم.. نريد ناقة ويشترط أن تكون حاملا فى شهرها العاشر، جوفــاء وفير لبنها وبراء خالية من الأمراض، وعندما تأتى لنا بها من عند ربك، وترينا مقدرته على فعل ذلك، ســوف نطيعك ونترك ما عبده آبائنا.

ثــم تركوه عاجزًا عــن التلبية وذهبوا ليســتكملوا احتفالهم فى سخرية منه ومن ادعاءاته.

* * *

انظر إلى الســماء ليلًا فى يوم تخلوا منه الســحب ويسود الظلام حولــك، أترى تلك المجموعة النجمية هناك؟ تلك التى تشــبه فى تكوينها رجل جبار ذو سيف يضعه بحزام يلتف حول وسطه.

ســتدرك أهمية تلك المجموعة إن عشت حياتك فى الخلاء، هكــذا أدرك أهميتهــا القدمــاء عندما كانوا يرتحلون بســفنهم عبر البحار أو سـيرا على الأقدام، فلا يضلون الطريق، لأن هذا الجبار ذو الســيف وحزامه المكون مــن ثلاثة نجوم كانت دائمًا تشير لهم على الطريق ولا تضللهم فيعلمون من أين أتوا وإلى أين هم ذاهبون.

أمــا قوم عاد، فقد عبدوا تلك المجموعة النجمية، نجم الجبار، أو نجم الشــعرى الذى ظنوا أنه يمثل هرمس العظيم فى الســماء، وكان عــاد مشــهورين بقوتهــم البالغــة وذكاءهــم. فجاءهم الملك (شداد ابن عاد) وأمر بأمهر مهندســى القوم لبناء المدينة الجديدة علــى طراز يليق بعظمتهم، وبناء بنايات ثلاث عملاقة تشــابه فى توزيعها حزام الجبار فى السماء.

فمن اعتقادات علماء هذا الوقت أن الشكل الهرمى وتصميمه كما يقوم بحفظ اللحوم فإنه يطيل عمر الإنســان أو ربما يعطيه الخلود،

فكانوا يتخذونهـــا بمثابة مصانع لعلهم يخلـــدون، وهكذا انتقلت للعديد من الثقافات بعد ذلك.

برغم أن البشـــر فى ذلك الوقت كانوا عظـــام الحجم، فإن هؤلاء القوم قد كانوا أشد وأقوى جسدًا..

انظر إليهم أسفل تلك الشمس الحارقة.. آلاف من البشر يحملون الحجارات الضخمة الثقيلة على عاتقهم يصعدون درجات وينظرون إلى هذا المهندس الذى يقف بعيدًا يشـــير إليهم أين توضع الحجارة تمامًا وبأى اتجاه.

كان عملا شاقا مستمرا حتى يخيم الليل فتضاء الشعلات ويتفحم الوقود الخشـــبى يمتزج صوت شـــوائه بصوت حشـــرات الليل التى تشـــاهد الهول بأعينها، جيوش عملاقة تسير صفًا فتبنى وتنحت وجهًا للملك بجسد مفترس كآية على شدته وبطشه وإخافة أعدائه.

* * *

فى مدينة ثمود كان صالح يصلى ليلًا ونهارًا داعيًا ربه بأن يفعل لقومه ما طلبوه كى يتأكدوا من أن هناك خالق قادر عليهم..

ومع الأيام ظلت تنقسم خلايا من الصخرة وتتشكل وكأنها جنين ينمو ســـريعًا حتى جاء يـــوم تمخضت فيه تلك الصخرة ثم تحركت الهضبة فانخضعت عن ناقة عشراء جوفاء تمامًا كما سألوا!!

وعندها شـــاهد بعض القوم وهم فى ذهول ساكنين على رءوسهم الطير متفتحة أفواههم من غرابة المنظر:

– انظروا إلى تلك الناقة، حمراء اللون طويلة عشراء جوفاء..!

– إنه وعد صالح لنا!!

فخرج من خلفهم (صالح) جاهرًا صوته من بعيد:

– هــذه ناقــة الله لكم كما طلبتــم، والآن حان دورنــا فى وضع الشــروط.. هذه ناقة الله فلا تقربوها، ولا تمســوها بسوء، وذروها تأكل فى أرض الله مما شــاءت، وإن جاءت إلى البئر فتشرب هى فى يوم وأنتم تشــربون فى يوم، فلا تقربون البئر يوم مشربها ولا هى تقرب البئر يوم شربكم.

وبعــد لحظــات قاطــع اندهاش القــوم وتعجبهم صــوت مصدع ابن مهرج:

– وهل هذا عدل ربك؟! أن تأخذ تلك الناقة العجيبة البئر ليوم كامل واليوم الآخر يأخذها سكان القرية العديدون بغنمهم وأولادهم.

– هذه شروط الله يا ابن مهرج، لقد اشترطم عليه فأجابكم والآن جاءتكم الآية فإن خالفتم أوامره أو نحرتم الناقة حلت عليكم طاغية بأمر ربكم فجعلتكم جاثمين.

وتدخّل كبيرهم جندع بن عمرو:

– لقــد آمنا بإلهك يا صالح وتركنا مــا عبده آباؤنا فهم غافلون، وسننفذ شروط ربك كاملة.

فقاطعه قدار بن سالف:

– لتتحــدث عن نفســك يــا رجل، هل ســتترك هذا الشــاب

يتحكـــم فى قرية بأكملها بســـبب خدعة الناقـــة التى خرجت من خلف الحجر؟؟!

وانقســـمت القرية إلى فريقين يختصمون حـــول أمر الناقة ولكن كبير القرية أعطى أوامـــره بتنفيذ ما طلبه صالح وكان على الجميع أن ينفذ الأمر رغمًا عنه.. وتلك كانت القواعد فى ثمود.

* * *

ظهـــرت مظاهر الترف والرقى فى نســـاء قوم عـــاد ورجالهم، فأصبحوا يســـتخرجون الذهب ويتزينون بملابـــس الملوك ويزينون التماثيل بالدر والياقوت.

حتى إذا جاء يوم انخفض منسوب النهر على غير العادة وذهب المطـــر وظهرت بوادر مجاعة، فظن القـــوم أن آلهتهم أحلت عليهم العذاب بسبب بعدهم عن عبادتها وشرعوا بالتعبد لها ليلًا ونهارًا..

وفى ليلة أضاءها القمر والنجوم الســـاطعة ظهر فيهم شاب منهم يدعى «هود».

صعـــد هود على ربع مرتفع فوق الرمال ثـــم نادى فى قومه وهم يتوسلون إلى نجومهم.

- ياقـــوم اعبـــدوا الله مالكم من إله غيره، إنه هو رب الشـــعرى وما تعبدون، وقد أحل عليكم الجفاف لعلكم تتقونه.

(فنظـــر القوم لـــه واقتربوا منـــه يتابعونـــه وكأنهـــم يتابعون عرضا مسرحيا)

– يـا قـوم.. مـاذا تفعلـون، أتبنون بـكل ريع آيـة تعبثون؟ وتتخذونها مصانع لعلكم تخلدون؟؟ لن يأتيكم الماء حتى تعبدونه، وإننى معكم من المنتظرين.

وساد الصمت قليلًا فى المكان حتى ضحك كبيرهم مشيرًا إلى هود بسـخرية.. وسـرعان ما تضاحك من بعده كل المجتمعين وتعالت كلماتهم إلى آذان هود.

– انظروا إلى هذا السفيه..

– ياله من مسكين، لقد أصابته آلهتنا بالجنون.

– من يظن نفسه هذا السفيه الكاذب.

حتى قاطعهم هود:

– يا قوم، لست بسفيه، ولكنى رسول من رب العالمين. واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة وقوة.

– أجئتنا لنعبد إله لا نراه ونترك ما عبده عاد وآباؤنا، انظر إلى تلك الحضارة التى وصلنا إليها، ماذا سيفعل ربك أمام قوتنا وبطشنا؟

– سـيوقع عليكـم رجـس وغضـب، أتجادلونى فـى خرافات سميتموها أنتم وآباؤكم وما لها من سلطان.

وأجاب أحد أعيان القوم:

– يا هود ما جئتنا ببينة من ربك هذا، وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك، وما نحن لك بمؤمنين.

وهكذا ازدادوا عنادًا وتجبرًا..

* * *

وفى أراضى الجنوب حيث شهدوا هذا الجفاف أيضًا الذى ربما قد جاب معظم بقاع هذا العالم القديم، بدأ الجبتيون بالضلال وعبادة آلهة متعددة.. حيث امتهنوا السحر بعد هرمس وأطلق عليهم لقب جبتيين.

والبعض الآخر كان يؤمن بآلهة أخرى وأهمها الشمس التى تنطق بلسانهم (رع) والتى أوضح هرمس أنها من أساسيات الحياة.. وكان «عزير» أو فى نطقهم «أوزير» معترضًا تمامًا على عبادة تلك الشمس ولديه يقين يخبره بأن تلك الشمس ليست إلهًا وأراد أن يثبت لهم ذلك. كان يوقن جيدًا أن لكل سبب مسبب وأن لكل شىء سببًا، وكان دائمًا يتبع هذا السبب الذى خلق من أجله كل شىء.

وقد قرر أن يترك قومه متتبعًا حركة الشمس حتى المكان الذى تغرب فيه بحثًا عن هذا السبب!!

واتخذ مركبًا صنعه من البابيروس، وهو اسم لنبات البردى، ليسير بها شمالًا عبر النيل أملًا فى الوصول إلى بلاد مغرب الشمس، وأن يعلم سرها ويجيئهم به.

كان الجبتيون يودعونه على ضفاف النيل وسط النباتات التى أوشكت على الذبول، ويرشون عليه العطور التى برعوا فى صناعتها من الزهور التى جفت معظمها بسبب نقص المياه، وهو يشير لهم من مركبه التى أطلقوا عليها بعد ذلك مركب الشمس.

كانت عينه لا تترك تلك الفتاة الجميلة التى تترقرق عيناها ألما على فراقه، وكان أخيه (ست) يقف بعيدًا يراقبه فى غيظ عندما ترك قاربه ذاهبًا إليها ليمسح بدموعها ويهمس فى أذنها قليلًا هذا

قبل أن يفتح حقيبته الكبيرة ليعطيها بعض البذور ثم يهم ذاهبًا.

لقد ارتحل ليتمم تلك المهمة التى يظن أنها مقدسة بعد أن وعدها وعدًا خالصًا بأنه سوف يعود إليها يومًا.

ومـــر أوزير فى رحلتـــه بالعديد من الأراضـــى الجديدة والقرى الرائعة ومدن عريقة ضخمة لم يشهد مثلها من قبل.

واســـتكمل رحلته لأســـابيع عبر النهر فى مركبه الكبير ليكمل طريقه حتى يبلغ مغرب الشمس. إلى أن وصل إلى نقطة حدود البحر الأبيض فتوقف حائرًا فى أمره أمام تلك المســـاحة الهائلة من المياه معتقدًا أنه قد وصل إلى نهاية الطريق.

«أنت تولى وجهك شطر مملكة الغرب الجميل وتأتى أنت يا صاحب الهيئة الذهبية فى حدود قرص الشمس ترتعد السماء بقوة عند مرورك فيها متجددًا يوما بعد يوم والفرح يعم الأفق وحبالك مشدودة»

* * *

مرت الشهور فى ثمود على هذا الحال..

كان البئـــر إذا جاء يوم الناقة وضعت رأســـها فيـــه فيرتفع الماء إليها فلا تتركه إلا وقد شربت كل ما فيه ثم تذهب إليهم فيحلبون من لبنها ما يشاءون.. وإذا جاء يوم شربهم انخفض منسوب الماء.

وكانت الناقة إذا هبط الحر تطلع إلى الوادى حيث الهواء فيهرب منها أغنامهم إلى أســـفل الوادى فى الحر، وإذا حل الشـــتاء جاءت الناقة أسفل الوادى حيث الدفء فيهرب منها أغنامهم إلى الأعلى.

وهكـذا اجتمع بعـض المتآمرين علـى عقر الناقـة وقتل صالح والتخلص منهم للأبد..

كان هناك سيدتان، واحدة ذات جمال شديد وكانت زوجة رجل ممن آمنوا بـرب صالح ففارقته وأحضرت ابن عمها وكان هو مصدَع ابن مهرج فدعت إليه نفسـها فى مقابل عقر الناقة فتحمس مصدع إلى ذلك لشدة جمالها.

وكان هناك سيدة عجوز عندها أربع فتيات فاتنات فدعت بناتها الأربع على قدار بن سالف إن هو عقر الناقة فله ما شاء من بناتها.

فانتدب هذان الشـابان لعقرها وسـعوا فى قومهـم بذلك فانضم إليهم سبعة آخرون.

وانطلق التسـعة يرصـدون الناقة ليـلاً فلما ذهبـت للبئر وهم يتربصون بها، رماها مصدع بسـهم فسـقطت خائرة على الأرض، ثم اقترب منها قدار بن سـالف فتقـدم بالطعنة الأولى وهى عاجزة تليها طعنات متعددة منهم يملأها الثأر والانتقام، وتبعثرت الدماء وتحشرجت الناقة حتى هدأت فأخرجت آخر أنفاسها.

ثم شـاهدهم بعض المارة فى الطريق فسـبوهم وحدث تناوش بينهم أيقظ أهل القرية وتهجم التسـعة على منـزل صالح وحاولوا قتله ولكن بعض سكان المدينة وقفوا ضدهم ومنعوهم، ذلك حين خرج صالح بهدوء لهم وهو يحمل أحمالا ثقيلة وكأنه سوف يسافر ثم قالو له فى احتدام:

– لقد عقرنا ناقتك يا صالح فأين هذا العذاب الذى وعدتنا؟

فقال صالح وهو يضع أحماله على حصانه ثم يمتطيه:
تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ثم تأتيكم الطاغية.
وأشـــار بأصابعه إلى ثلاثة لزيادة التأكيد، ومنذ ذلك الحين أخذ العرب تلك الإشارة إلى ثلاثة كعلامة على الويل والتوعد والتهديد.
ثم نظر إلى قومه قائلًا:
- لقـــد اقـــترب يوم الحج، وأنـــا متجه إلى الكعبـــة الآن لتأدية فريضة الله، فمن آمن منكم ســـيأتى معى، ومن لم يؤمن فليمكث هنا وينتظر عذابه.
وســـرعان ما هم بالرحيل الذين آمنوا مع صالح ومكث الكافرون فى بتراء متكبرين، إلا رجل اسمه أبو رغال كان كافرًا ولكنه اندس وسط من آمن خوفًا من عذاب صالح.
بينمـــا من بقى فى القرية قد بقى فى رعب وتأهب طوال الثلاثة أيام.. وجوههم مصفرة ومحمرة ويدهم على قلوبهم من الخوف فإن اهتزت شـــجرة فزعـــوا وإن مر ظل ارتاعو وإن حـــدث صوت تلفتوا حولهم متوجسين وذاعرين حتى اليوم الموعود.

* * *

وقبل ذلك بثلاثة أشـــهر وحيث اشـــتدت المجاعـــة التى دامت لثلاث ســـنوات فى عاد كان هود يجمع أشـــياءه ليرتحل إلى الأرض المضيئـــة لتأدية فريضة الحج، وقد ذهب معه من آمن من قومه وقد بقى من كفر ساخرين منهم ومن أفعالهم.

أما على حدود البحر الأبيض شمال مصر فقد كان النخيل متناثرا والبحر هادئ، والشـمس تكرر غروبها الخـلاب حيث تذوب فى عين البحر إلى الشفق الأحمر، والماء الذى يظهر احمراره تغرق فيه الشـمس عندما قرر عزير أن يتبع سـبيله فى البحر بمركبه حتى يصل إلى بلاد مغرب الشمس.. تلك التى تدعى بلاد الإغريق.

فـى هذا الوقت كان هود وصالح فـى طريقهم إلى الكعبة.. وكان نهر النيل يشـهد انخفاضًا لم يشهده من قبل.. وكانت ثمود ترتعد أضلاعهم خوفًا من عذاب قد اقترب كثيرًا.

«اذهـب خلف شمسـك وتظهـر لأن عظامك هى عظـام الصقور المقدسة التى فى السماء لعلك تكون بجانب الإله لعلك ترحل وتأتى لابنك اذهب الآن» .

* * *

وفى زمن آخر فى مدينة بوتو بعد أن مرت ثمان سنوات على مكوث حورس فيها، وتغيرت العديد من الأشياء فى تلك السنوات القصيرة.

أصبح حورس أكثر طولًا وكبرت عضلاته واشتدت قوته من كثرة التدريب مع سرقت وقد أصبح يعمل بزراعة الحقل.

أما واجيت فقد اشـتد عودها وأصبحت فى ريعان شـبابها وقد ازداد جسدها جمالًا يضطرب له السائرون كما يضطرب سطح البحر من فعل الرياح، ولكن بالنسـبة إلى تلك العلاقة بينها وبين حورس عند الصغر.. فلا شىء يبقى كما كان على أية حال.

لقد اعتقد الصديقان أن ما كان بينهما فى الصغر هو مجرد طيش أطفال ما كانا يعلمان أن تلك العلاقة ستبقى لهم ذكرى أبدية مهما طال الزمان.

ولكننا لن نعرف أبدًا ما هو صحيح.. إلا عندما نجرب الخطأ.

لم يؤلم حورس شىء مؤخرًا سوى هذا الخبر الذى سمعه بأن خطبتها ستتم إلى ابن أحد أعيان القوم الأثرياء فى المدينة.

شعور غريب عندما يكون هناك بعض الأشياء التى تزعم أنك لا تريدها.. ولكنك أيضًا لا تريدها لشخص سواك!!

هذا المزيج بين الألم، الغيرة، وحب التملك، والعجز عن التعبير.

ونحو منزل واجيت تثاقلت خطوات حورس ليبارك لها على خطبتها بحكم الصداقة التى استمرت لأعوام.

- مرحبًا واجيت.

- مرحبًا حور.

كبرياء مرير يتملك الإنسان عند لحظة الاعتراف بالحقيقة فيخبره بأن لا يفعل ذلك.. وكم من قصص عبر التاريخ قد أتلفها الكبرياء.

- مبروك على خطبتك.. أنا سعيد من أجلك يا صديقة العمر.

تبسمت واجيت التى قد نضجت ونضج معها جمالها أكثر؛ ففى سن الثامنة عشرة تصبح الفتاة كالوردة فى يوم الربيع.. ثم عقبت الفتاة فى نبرة منخفضة:

- حقًا.

- بالطبع.. أعنى هل هو جيد بالنسبة إليك أم ماذا؟

(مـــا بال الإنســـان عندما يرخـــى أحد الطرفـــين حبله قليلًا لتهدئة الوضع يشـــده الآخر وكأنه يحافظ على تلك المسافة وهو يعتقـــد أنه هكـــذا يعاقب الثانى على فعلته متناســـيًا أنه بذلك يعاقب نفســـه أيضًا.. لماذا نتخذ قرارات قد تضر الطرفين بدافع الكرامة فقط) .

- أجل.. إنه جيد كثيرًا.. هو ثرى ويعمل بالتجارة وأهله أيضًا من شرفاء القوم.

(اتركيه.. كانت هذه هى الكلمة التى تقف على لســـان حورس ولكنه إن أطلقها حرة فلن يســـتطيع أن يجد لها مبرر الآن.. ولذلك قد أخرجها على منوال مختلف) .

- ســـأتركك الآن يا واجيت.. ولكنى أتمنى لك الســـعادة دائمًا.. وإن احتجتنى فى شىء ستجدِنى فى أى وقت.

(تلـــك الجملة التى قد تترك الباب مفتوحا دائمًا.. ولكنها قليلًا ما كفى بالغرض).

لم تعد المدينة أيضًا بنفس رونقها القديم، وقد شـــهدت فى آخر أيامها مرض الحاكم آمتى الشـــديد الذى جعله لا يجيد إدارة البلاد مثلمـــا مضـــى.. وهكذا ازدادت أيدى الســـارقين ولصـــوص المناصب ومستثمريها ليسرقوا خيراتها بلا ضمير.

مـــا أغرب الجشـــع.. يجعل الخـــير الذى يكفى آلاف الشـــعوب منهوبا من قبل فئة قليلة يختزنوه بجوارهم حتى فنائهم، فلا يكفى جشعهم أملاك الشعب ولا يكفى الشعب الانتفاع من بقاياهم.

كان (كا) لا يخـــرج من القصر كثيرًا ويســـاعد والده المريض فى إدارة البلاد، حتى جاء يوم ســـقط فيه الحاكم أرضًا وهو ينهض من فراشـــه ولم يمض كثيرًا حتى انتقل خـــبر وفاته بين أرجاء المدينة بأكملها، فحزن الشـــعب وبكى عليه كما بكى بجواره (كا) الذى قد أصبح من اليوم وريثًا للحكم.

أظهرت مراسم عزاء الحاكم آمتى كم كان يحتشد الشعب المحب لهـــذا الرجل العادل.. وقد أصبـــح (كا) – الحاكم الجديد – يزوره عامة الشـــعب ليواســـونه بالعزاء، وها هو حورس يدخل إليه وسط طابور العامة ليواسيه فى حزنه فيجيبه (كا) كما يجيب على سائر الشعب وكأنه لم يكن هناك ماضٍ قد بقى للذكرى بينهما.

مرت أيام قليلة ألقى فيها (كا) أكثر من خطاب عن التطوير وإعادة التجديد وإقامة بعض المشـــاريع القومية، وتم رفع الضريبة مما أثار ضجر الشـــعب، وزاده بلاء انخفاض منسوب النهر قليلًا لهذا العام مما أضر بالمحصول، وبدأت الهمسات تتداول بين أفراد الشعب على أن هذا الحاكم الشاب الجديد ليس جديرًا بإدارة البلاد مثل والده.

وعندما تشـــعر الأمم الفقيرة بأن حقها مسلوب، يكتسبون طاقة مـــن الكبت والغضـــب تنعكس على بعضهم فى صـــور من الهمجية واللامبالاة والجهل الحضرى..

وعندما تجد تلك السمات على شعب ما، فعليك أن تلقى اللوم على الأثرياء وليس على الفقراء.

اختفى القمر فاغتنمت النجوم فرصة الظهور، فى ليلة كانت باردة ومظلمة، وكان حورس وسط حقله يجلس أمام شجرة من أشجار السنط يتحدث إليها لأن إيزيس قد أخبرته يومًا أن تلك الشجرة تسكنها روح والده «أوزير».

- لا أعلم إن كنت هنا أم لا..

سئمت التحدث إليك..

ولكنى لا أحب أن أظهر ضعفى لأحد..

فإن كنت هناك فربما عندما تعلم كم أتألم تعود سريعًا..

وإن لم تكن فلا فارق إذًا..

وإن سألنى أحدهم ماذا بك؟..

فسوف أجيبه «لا شىء»..

و أحيانًا الإجابة «لا شىء» نقصد بها «كل شىء»..

ولكن ربما لا نعلم السبب بالفعل..

هل السبب هو خطبة واجيت أم ظروف البلدة أم مرض إيزيس بضعف النظر الذى زادنى وهنًا..

أم كونك لا تسمعنى..

أو كونك تسمعنى ولكنك لا تعتنى..

بكت روحه وإن لم تبك عيناه، فقرر أن يذهب قبل أن يحدث

ذلك وسار هائمًا وسط حقله يغطيه الظلام فلا يرى أعين الذئاب التى تتربص به حتى تهلهلت ثياب السماء السوداء وتسلل عبر شقوقها ضياء الكون وجـاء الضوء الخافت ليعكس لحـورس تلك الحورية التى تنام فى حقله.

فتـاة من أجمل الخلق ترتدى ثيابـا مرقعة ومهترئة وتنام فوق الطين وسط أرض حورس ويبدو على نومتها الشعور بالبرد، حيث تحتضن ذراعيها ببعضهمـا تضيف إليهما آثار البرد احمرارًا فوق بياضها وتظهر سـاقها وهى تنام على يمينها ويلمع شعرها الأسود القصـير الناعم برغـم تلطخه بالطين، ولا يفهم مـا الذى أحضرها إلى هنا، أو ربما هذا هو تفسـير عدم وجود القمر فى السـماء تلك الليلة.. لقد كان هنا طوال الوقت.

اقتطف حورس ورقـة طويلة من إحدى نبتات الذرة حوله وقام بدغدغتها فـى خدها برفق حتى اسـتيقظت مفزوعة تعدل ثيابها فى خجل لتدارى ما ظهر من جسـدها فـأدار حورس وجهه قليلًا وهو يضيف:

– أنت تنامين خارج ديارك يا فتاة، وأخشى أن أخبرك بأن لهذه الأرض ملكية خاصة.

– أرجوك لا تبلغ عنى.. سوف أعطيك أى شىء.

ظهـر التعجب على وجه حورس مـن صوتها المذعور وكأنها قد ارتكبت جريمة فادحة.

– هل أنت هاربة؟

– أرجوك.. أنا فقط أريد أن أخرج من تلك البلدة وأعود إلى أهلى.

– وما الذى يمنعك.. أين يقطن أهلك؟

أجابته وهى تنهض واقفة:

– واحتنا فى الصحراء جفت مياهها الجوفية وقد جئت إلى هنا مع أخى الصغير لجلب بعض الغــذاء لوالدى العاجز، ولكن رجال الحاكــم كانوا يطاردوننا، وكاد أحدهم أن يقبض على أخى وإن علم والدى بشــىء كهذا ســوف يموت فزعًا.. ولذلك قد قمت بتخليصه ولكنى لم أكن أقصد أى شىء.

– هل يتبعونكم لأنكم كنتم تسرقون؟

– ليس هذا فقط.

– وماذا إذًا!!

– لقد قتلت أحد الحراس.

–...!!! قتلتِ..

– أرجوك.. أنا فقط أريد أن أهرب، أنا لم..

لم تكمــل جملتها حتى تفاجأ حــورس بأنها نظرت بتركيز إلى ناحية اليســار ثــم فرت هاربة منه فجــأة إلى الجهة الأخرى عبر أعشــاب الذرة الطويلة، وبعد أن استفاق حورس من دهشته تبعها للبحث عنها فاكتشــف أن معهم بالحقل بعــض من رجال الحاكم ربما يبحثون عنها وسط الحقول..

هــدّأ حورس من روعه قليلًا ثم أغمض عيناه وظل يتخيل شــكل الحقــل وكأنه يتخلله ببصيرته فتتلاشــى كل الأعشــاب الخضراء وتظهر فــى خياله الصورة صافيــة، فيتوقع مكان الفتــاة وإلى أين يتجه الحراس.. كان الحراس يقطعون العشب بسكاكينهم وتتسلل الفتاة بهدوء وســط جزء كثيف من العشــب حتى خرجت يد فجأة مــن خلفها فــكادت أن تصرخ فازعة فغطى حــورس صرختها وهو يكتم أنفاســها من الخلف ويشــير إليها أن تصمت ثم يسير بظهره وهو يسحبها، ويمر بجوارهم رجال الحاكم وكأنهم لا يبصرون.

* * *

– سأســلمه إليك أيها الملك فى مقابــل أن تعطينا القوت والخير الكافى لينهض بمدينة بوتو مرة أخرى.

ثم نهض الملك (ســت) مقتربًا من (كا) بداخل البيت الكبير فى مدينة طيبة وجواره (نفتيس):

– إذًا لقد كان مختبئًا لديكم طوال الثمانى ســنوات الماضية.. لقد صدق الأعرابى يومها وأنا الذى لم أصدقه.

– ســأعقد معكم هذا الاتفاق.. أريد الأمان لمدينة بوتو والســلام بيننا وأريد بعض الدعم لأن قوتنا قد ضمرت هذا العام بعد انخفاض النيل وأنا أريد لبلدى الرخاء.. سأســلمه إليك فى واحة فارغة فى الصحراء الغربية.

وأردف (ست) مستهزئًا:

– يبدو أن الصغير لا يجيد إدارة البلاد مثل أبيه.

وأضاف كا:

– يبدو أنك لم تستطع أن تعرف مكان ابن عزير طوال الثمان سنوات، والآن جاءتك الفرصة كالذى يصطاد فريسته مطهوة، فهل ستتركها.

* * *

وفى بيت سرقت اجتمع حورس مع آلكيدر وسرقت؛ ليسرد لهم قصة تلك التى كانت نائمة بجوارهم وكأنها فى غيبوبة إلا من ساقيها الساحرتين وكأنهما يشعّا نورًا عبر المكان. يجلس مرتعبا فى زاوية الغرفة، سرقت الذى قد تغير شكله كثيرًا عندما أطال ذقنه مع شعره الخشن الجاف، على عكس آلكيدر الذى كان لا يظهر عليه الكبر يقف أمام حورس بجوار الفتاة وهو يصيح فى وجه حورس ولا يعتنى إن كانت تسمعه:

– أنت لا تعرفها.. كيف تثق فيمن لا تعرفه لتذهب معها هكذا.. هل فتنتك بجسدها أيها الساذج الصغير.

– هى لم تطلب منى أن أذهب معها.. أنا من أراد فعل ذلك لمساندتها، ألا تعرف أخلاق مساندة الضعفاء يا آلكيدر؟

– إن لم أكن أعرفها لما ساعدتك أنت ووالدتك عندما كنت صغيرًا.

فقال حورس رافعًا صوته:

– وهل هذا يجعل منك آمرًا ناهيًا علىّ.. من تظن نفسك؟؟

حتى استيقظت الفتاة بعدما نهض سرقت سريعًا وصاح فى وجه حورس ليسكته:

- «حورس» .

وعقب آلكيدر فى ألم:

- يكفى هذا.. سأذهب الآن.

وذهب آلكيدر وتبعه حورس بخطوة مترددة حتى أعادته الفتاة عندما قالت:

-يبــدو أننى الســبب فى هذا الســقم، أظن أنه مــن الأفضل أن أذهب الآن.

- لا عليــك.. ســوف نأتــى معكِ أنا وســرقت حيــث تقطنين لحمايتك.. إننا نعرف بعض الطرق المختصرة للخروج.

وأكمل سرقت:

- ولكن ما هو اسمك يا فتاة؟؟

- اسمى هاتور.. أشــكركم كثيرًا على مســاندتكم لى.. ســيكون معروفًا لن أنساه طوال حياتى.

فى ظلال منزل حورس الذى كان يقف خافضًا رأســه متكئًا على ركبته اليســرى أمام إيزيس التى قد بدأ بصرها بالوهن، وأصبحت بالكاد تراه طشاشًا وهو يلقى عليها السلام:

- سوف أذهب إلى واحة بالجوار يا أمى.. سوف أعود سريعًا.

وضعت إيزيس إصبعها على وجه الصغير فى رقة فقبله حورس ثم احتضنه بكفه قبل أن يهم ذاهبًا.

قبــل أن يغادرهم النهــار بقليل أخفت الفتاة ملامحها بوشــاح يغطى رأســها وشعرها القصير ويحميها من الشمس، وسار الثلاثة عبر الأشــجار مقتربــين من حدود المدينة حيــث يقومون باختراق الحبال خلسة.

وفى منطقة شــبه متصحرة داخل المدينة الكبيرة شاهد حورس آلكيدر مــرة أخرى يقوم بعمله حيث يقطع بعــض الأفرع لنباتات صحراوية طويلة الأشــواك ويضعها فــى وعاء صلد معلق على حمار كان يقف بالجوار.. ثم أراد حورس أن يداعبه بمثابة اعتذار لإعادة العلاقات كما كانت فاقترب منه وهو ينصحه:

– يمكنك على الأقل أن تختار بعض الأفرع قصيرة الأشواك حتى لا تجرح يداك.

و عقب آلكيدر:

– أفضّل أن ألتقط شوكة أراها بعينى عن أخرى توخزنى دون حذر.

– ولماذا تلتقط تلك الأشواك على أى حال؟

ثم نظر آلكيدر إلى حورس بعد أن كان لا يعيره اهتمام:

– اذهب حيث تقصد يا حورس.. ألســت كبيرًا بما يكفى لتتولى مسئولية نفسك اليافعة.. اذهب وإن عدت من هناك فسأتحدث إليك وأخبرك.. أما الآن فلا تسألنى عن شىء حتى أذكره لك.

وفى أســى وجم حورس بفمــه وأدار ظهره واتجه حيث يترقبه سرقت وهاتور وذهب الثلاثة مبتعدين.

أســدل الليل ســتاره واتخذت الأمطار قرارها بملامســة تراب تلك الأرض برفــق بينما اخترق الثلاثة الحبال التى وضعت لتعيق العمالقة من دخول المدينــة، والتى قد وهنت وتهلهلت عبر الزمن يغطيهــا الغبار وخيــوط العنكبوت، ولحســن الحــظ لم يلحظهم الحــراس الذين كانــوا يناوبون حول المــكان لأن الأمطار قد أطفأت نيرانهم وجعلتهم يمكثون فى ظلال الأشجار بينما يرتحل الثلاثة بعيدًا عن المدينة ناحية الواحة المقصودة.

وبنهار اليوم التالى هدأ الغيث، ولكن لون السحب كان ينم عن نية مسبقة لسيول تنتظر أمر الإفراج، واشتدت الريح المعاكسة والتصقت ثياب هاتور الرطبة بجسدها المثالى وتطاير وشاحها الذى كانت تضعه على رأسها وانســدل من تحته شعرها المبتل الأسود فى دلال يداعب الكحل الســائل من عينيها الواسعتين العســليتين وشفاهها الحمراء المنتفخة قليلًا وأنفها الصغير، نظر إليها حورس وشــعر كأنه برفقة ملاك ســقط بالخطأ من الســماء وســط الأمطار.. ذهب سرقت كعادته متقدمًا ليتعقب أحد العقارب ومعه نبيذه وتساءل حورس:

– ما هى قصتك يا فتاة؟

– ولماذا تهتم؟

– ولماذا لا أهتم؟

نظــرت هاتور إلى عينا حورس التى امتــلأت بالصدق وكأن أول مرة يســألها أى شــخص عن قصتها.. اقتربت هاتــور من حورس

أكثر وأغمضت عيناها وكأنها تهديه شـفتيها الحمراوتين ليمتص عسـلهما فى قبلة تجد نفسـها فيها ملقاة بين أحضانه مسترخية بين عضلاته.. ولكن لم توشـج شـفاه شـفاهها ولم يلين صدرها فى أحضانه ولم ترتخ سـاقها متكئة عليه.. بـل فتحت عيناها لتجده مازال منتظرًا إجابة لا يبغى منها أى عائد جسـدى فتكتشف لأول مـرة أن الفتاة ليسـت مجرد غلاف خارجى فـارغ من الداخل، بل هناك قيمة أسمى، وهنا قد شرعت الفتاة بسرد قصتها بكل صدق.

– كانـت عائلتى تعيش فى أبيدوس، وكان أبى من أثرياء القوم، ولكـن مع زيادة الضرائـب وتفاقم الظلم فقد والـدى ثروته الكاملة ولم يعد يسـتطيع دفع ضرائبـه.. وكان الجنود يعذبونه فى كل مرة يحضـرون فيها حتى أصبح جسـده واهنا من كثـرة الجروح.. وفى السنوات الأخيرة التى قد نضج جسدى فيها أصبح الحراس يتعرضون إلّى فى مقابل السماح.. كانت تتم مضاجعتى أمام والدى وأسرتى وكان عليهم فقط أن يغمضوا أعينهم، لم أكن أحدث صوتًا كى لا يتألمون ولم أكن أشـعر بأى نشـوة.. فقط أتمنى أن أرى هذا الحارس الحقير كى أقطع جسده إلى شـرائح وأتركه وجبة للذئاب، ولكننا قد هربنا من القريـة فى عامنا الأخير وذهبنا لنعيش فى واحة بالصحراء.. حتى وجدنى الملك (كا).. أتعلـم يا حورس.. أنا لم أكذب عليك فى قتلى لأحد الحراس، ولم أكذب عليك فى شـىء عنـى، ولكن من تعرض لهذا الظلم يمكنه أن يفعل أى شىء ليستعيد كرامته.

– ماذا تقصدين؟

– لقــد اقتربنا كثيرًا من دخول الواحــة.. ولذلك يجب أن تعلم أنك رجل من أنبل من قابلت، ليتنى رأيتك فى حياة أخرى، ولكن الملك كا سيسامحنى ويوفر الأمان لى ولأسرتى فى مقابل هذا.

– سرقت.. انتبه!!

لاحظ حورس رامى الســهام الذى يقف فوق شجرة قليلة الورق كثيفة الفروع انطلق منها الســهم مباشــرة ناحية ســرقت وركض حورس ناحية الشجرة سريعًا، فلم يكد الرامى يخرج سهمه الآخر حتــى كان بجواره حورس الذى اقترب وســط وميض البرق المتردد الذى انبعث فجأة من الســماء فأبرز حــورس وكأنه ظهر فجأة مع الوميض.. يصرخ ســرقت ويخر ساقطًا على الأرض تتدفق دماؤه من فخذه اليســرى التى قد اخترقها الســهم ثم اســتقر فيها، ركضت هاتور هاربة وأمسك حورس برامى السهام فسقط كلاهما فى الهواء من فوق الشجرة بينما يدوى الرعد صارخًا.

* * *

اخترق خمســة من العمالقة الجدار الحبلــى الحاجز لمدينة بوتو وســاروا يدهســون البيوت ويهدمونها ويتســاءلون بصــوت صارخ «أين إيزيــس؟» فيغضب فى قصره الحاكم (كا) عندما يشــاهدهم من نافذته وسط الأمطار التى بدأت فى الهطول «لابد أن الملك (ست) هو من أحضرهم إلى هنا.. لقد خان العهد وأعلن الدمار على بوتو.. يارجال فلتبــدأوا بجمع الجنود وإخراج المجانيق ســريعًا».. بينما يتداعب

العمالقة الأربعـــة بتخريب المدينة، يخلع أحدهم مروحة الطاحونة الكبيرة ويرميها للآخر وكأنهم يلعبون لعبة الطبق الطائر، فيركض الآخر لالتقاطها ولا يعبأ بما يدهسه من قوم وأطفال.. ثم بدأ العمالقة بإلقاء الطواحن والســواقى وكل ما يقابلهم مما يستطيعون حمله على القلعة التى فى منتصف النهر، فتنهار أجزاء منها وتسقط فى النهر الــذى قد اضطرب فعليًا من رذاذ المطــر الغزير، وتحطمت المجانيق التى يجهزها الجنود، ويتساءل المتعملقون عن مكان إيزيس ويركض القاطنون خارجين من بوابة المدينة فى ذعر من الهجوم المفاجئ.

* * *

وبعد أن ســقط حورس على الأرض فوق رامى السهام وتساقطت فوقهم الأمطار هجم عليهم بعض جنود الملك ست المتقزمين وحاول أحدهــم ربط حــورس بالحبال وهو خائر، ولكن ســرعان ما نهض حورس ليبــدأ فى القتــال فيُظهر مهارة غير عاديــة برغم الحبل الذى كان يقيد أحد كفيه فيســتغله الجنود بسحبه منه حتى يعيق حركتــه، وبرغم توقعــه بالضربات القادمة وقوتــه الظاهرة برغم هبوطه للتو من فوق شــجرة فإنه قد تساقط سريعًا ليقع فريسة بين ضرباتهم بينما هو مستسلم خائر ينظر إلى سرقت الذى قد فقد وعيه وسط دمائه السائلة وينظر إلى هذا المكان الفارغ الذى كانت تقف فيه هاتور منذ قليل ثم تلاشت الرؤية شيئا فشيئا.

* * *

بدأت حرب بين جنود بوتو والعمالقة تحت الأمطار أصيب فيها أحد العمالقة وسقط فى النهر بينما أصيب عشرات الجنود ومئات من المواطنين كان من بينهم (واجيت) التى كانت ملقاة فى وسط الطريق يملأ جسدها دماءها الغضة ويخطى من فوقها المذعورون. ثم لمح أحد المتعملقين إيزيس وهى تركض بعيدًا فى الضفة المقابلة من النهر، وعن كثب منه كانت توجد مركب كبيرة من البابيروس قد يستخدمها فى العبور إلى الضفة الأخرى.

* * *

فتح حورس عينه فى وهن ليجد نفسه معلقا بالحبال عاليًا بين نخلتين متصلتين من الأسفل تتدفق الدماء على كفيه من شدة قبضة الحبال برسغه، ولا يوجد أحد بالواحة إلا هذا المتعملق الجبار الذى يقترب منه ببطء.. الملك (ست) الذى كان مبتسمًا يحمل وجهه ملامح تجاعيد تدل على الحقد ولذة الانتصار.

- أخيرًا يا بن أخى لنا أن نلتقى مرة أخرى.. سأجلس معك جلسة القاتل الذى يعترف بجريمته لقاتله قبل أن يقتله.. سأخبرك بإجابة التساؤلات التى تدور فى رأسك لسنوات، لماذا أفعل ذلك؟!

(نظر حورس خلف الملك ست حيث كان يزحف سرقت ومعه سيفه مقترب من الملك، ولا يزال البرق يتضارب برغم تضاؤل المطر بينما يكمل الملك وفى عينيه شىء من الشر وكأن شيطان يتحدث نيابة عنه)

– أنا من وضع السم لوالدك لأقتله.

(فانتبه حورس منزعجًا)

– ماذا.. والدى لم يمت.. اصمت أيها المحتال.

(وبلا مبالاة نظر الملك ســت إلى سرقت الذى اقترب منه كثيرًا.. ثم أمسكه بيده وألقاه بعيدًا بعض الشىء وهو يكمل) ..

– لا تقلق لن يأتى أحد لإنقاذك فجنودى يحرسون المكان جيدًا، وسأقتلك أنت أيضًا مثل أبيك، وسأبيد كل من يحاول الحصول على مملكتى..(ثم تغيرت ملامح الملك إلى الشــفقة والاستياء وقال متألمًا) أتعلم يا حورس أنا أحزن لذلك حقًا.. قلبى يتمزق عليك يا بن أخى، فأنا لست ســيئًا لهذه الدرجة، فلا يوجد هناك شر خالص فى هذا العــالم الصغير، ولكن هناك رجال لديهم أولويات، والســلطة هى أولى اهتماماتى. ولو لم يكن لدى الإنســان شغف لأن يصبح حاكمًا.. لما استطاع يومًا أن يصبح سيد الأرض، متزعمًا فوق سائر المخلوقات، ألا تفتخر بكونك إنســيًا.. إنها الغريزة التى نمتلكها يا بن أخى، وأنــا غريزتى تفــوق الجميع. وما الحياة إلا طريــق للموت.. ولكن دعنى أعجّل لك بذلك.

(وبينمــا يقول الملك جملتــه الأخيرة ويخرج ســيفا ضخما من جانبــه حتى تعالى على الأسماع نهيــق لا ينقطع لحمار مزعج كان يقف بالجوار) .

– متى أتى هذا الشىء؟

قالها الملك ست ثم اقترب من الحمار الصغير فقتله بسيفه الضخم سـريعًا بينما جُرحت قدمه جراء دهسـه لبعض الأغصان الشوكية التى كانت متناثرة حول الحمار.

أخرج الملك سـت بيده تلك الشوكة التى علقت فى قدمه وألقاها بعيدًا فسـقطت بجوار قنينة فارغة كانت تشـبه تلك التى يحملها آلكيدر ودائمًا ما تحتوى على العقار الذى قد صنعه..

وسـرعان ما تذكر حورس آخر مرة رأى فيها آلكيدر وهو يقطع تلك الأفرع طويلة الأشواك ويضعها فى وعاء على هذا الحمار.

وبينمـا يقترب الملك سـت من حـورس بدأت تتأنـى خطواته شيئا فشـيئا وتتغير ملامح وجهه فبدأ ينهج وتعلو أصوات أنفاسه متسارعة ثم قام بكسـر غصن من شجرة وجلس على الأرض سريعًا يحك به قدمه مكان الوخزة فتنحره قدمه أكثر وتسـيل منها الدماء مـن تهتك احتكاكها بغصنه، ويزمجر سـت ويتعرق وجهه بينما يشـد حورس يده بقوة حتى قام بقطع أحد طرفى الحبل ثم بقدميه دفـع النخلة ليقطـع الآخر وهو يكتف كلتا يـداه ببعضهما وخلفه البرق يضرب والرعد حتى انقطع الحبل الآخر وسـقط حورس أرضًا بجوار الملك الذى هدأ رويدًا ثم سقط فى سبات.

تألم حورس جراء سـقوطه على ظهره وحاول كتم سـعاله وهو ينهـض نافضًا ثيابه من الرمـال الملتصقة بماء المطر ثم ذهب ناحية سرقت الذى كان محتفظًا بوعيه برغم فقدانه بعض الدماء.

وقام حورس بكســر أحد طرفى الســهم الــذى كان ينغرس فى قدمه فجعله أقصر ثم بدأ بخلعه برفق، ويحاول سرقت أن يتماسك ولا يصرخ فيظهر الألم على احمرار وجهه ودموعه المتكاســلة، ثم قام حورس بقطع نســيج من القماش من ملابس الملك ست الذى كان فى غشــية بجوارهم وربط جرحه، ثم انتشل السيف الذى كان مع سرقت ووقف أمام عمه الراقد مترددًا..

ليس هناك قرار أصعب من قتل الإنســان لإنسان، حتى وإن كان هنــاك بعض الناس الواجــب قتلهم.. ربما هى غريــزة أحفاد آدم فى الجفاظ على الســلالة، أو ربما هى صفة وراثية اكتســبها قابيل عندما شــعر بالندم على قتل هابيل، ثم توارث تلك الرهبة السلف البشــرى. ليس ســهل كما تتخيل اختراق هــذا الخط الأحمر الذى تمنعك مبادئك من عبوره، وماذا إن اخترقنا تلك الحدود فيســلبنا الخوف ولا نســتطيع العودة مرة أخرى.. تقتل للمرة الأولى انتقامًا فتصبــح همجيًا مرتدا عن ملة الإنســانية تقتل إرضــاء لمطامع دون ندم.. فيصبح القتل عادة سخيفة لابد منها.

* * *

قتــال لا بأس به بين جنود بوتو ســقط فيــه عملاق فالآخر برغم الخســائر الناكبة، وتكاثف الشعب حول ثالثهم الأضخم فيطيــح ببعضهم ويتدفق حولــه البعض الآخر وهو فى جائحة من أمره.

ولكـــن قد بقى هـــذا العملاق الذى وطأت قدمـــه للتو على الضفة الأخرى من النهر ثم ذهب ليبحث عن إيزيس.

* * *

– حورس.. حورس.

جـــاءت هاتور صارخـــة ناحية حورس ويركـــض خلفها اثنين من الحراس واحد يتبع الآخر، فكانت ردة فعل سريعة من حورس الذى ضرب بســـيفه على ركبة أحد الحراس فأســـقطه ثـــم بقدمه على وجه الآخر فخر ساقطًا هو الآخر، وسدد ركلة على وجه الأول ولكمة قوية فى صدر الآخر، هذا عندما جلست هاتور على ركبتيها تبكى وتتنهد:

– حـــورس أرجـــوك.. إن إيزيس فـــى خطر.. بعـــض العمالقة يهاجمـــون مدينة بوتـــو ويقومون بتخريبها ســـعيًا لقتل إيزيس.. يجب أن تذهب هناك الآن.

– ولماذا أصدقك هذه المرة؟

– إنها تقول الحقيقة!

قالهـــا آلكيدر الذى جاء من الناحية الأخرى ســـاحبًا خلفه أحد الحراس الذى يبدو عليه أنه قد مات.. أو ربما يلفظ أنفاسه الأخيرة.

سعد حورس بظهور آلكيدر الذى جاء فجأة ونظرت إليه هاتور ثـــم إلى هذا الحارس الذى كان بحوزته ثم ســـحبت هاتور الســـيف فجأة من حورس وانقضت به ناحية آلكيدر..

* * *

– كـم أنت جميلة يا فتاة.. يمكننـا أن نعفيك أيها العجوز من ضريبة هذا العام فى مقابل حفنة من جمال ابنتك.

– أرجوك.. افعل بى أى شىء ولكن أترك أسرتى.

– لا.. هذه المرة ابنتك سوف تدفع الضريبة عنك، يبدو أنها قد بلغت من الرشد ما يكفى وأن لديها ما تقدمه.

ثـم أغلق الحـارس باب منزل الأسـرة ووقف أمامـه اثنان من الحـراس يتضاحكون ويتابعون فى نشـوة بينما ينقض الثالث على هاتور أمام أسـرتها فيشـج ثيابها لتعريتها وهى تحاول المقاومة، يضربها حتـى تمكن منها فصرخت صرخة ثـم لم يتبعها صوت، يـكاد يخنقها من رقبتها ويحمر جسـدها من شـدة المقاومة ولكن بلا جدوى.. فيملأ الغرفة صوت نشوته مع بكاء أفراد الأسرة حتى أنهـى الحارس مهمته فأعاد ثيابه كما كانـت وتقدمه التالى لينال فريسة أضعف قليلًا من ذى قبل.

* * *

تذكرت هاتور هذا المشـهد المؤلم الذى أيقظه وجه هذا الحارس فانقضت عليه فاخترقه السيف مرة تلو الأخرى ولم يتمكن أحد من منعها حتى سـحب منها آلكيدر السيف بصعوبة فوهنت وسقطت على الأرض تبكى فى ألم.. وجلس بجوارها حورس ليواسيها:

– قتله لن يريحك أبدًا.. بل يريحه هو.

– أحيانًا يكون القتل هو الحل الأمثل.

أجابتـــه هى، واتجه آلكيدر ناحية الملك ســت الذى لا يزال فى إغمائته ثم ذهب وجلس بجوار سرقت المتوهن وحل الرباط من عليه وهو يطمئنه ثم قال لحورس:

- اذهب أنت إلى المدينة ســريعًا يا حورس.. ستجد حصان هذا الجنــدى فى الناحية التى جئتكــم منها، خذه واذهب الآن قبل أن يستفيق ست.. ولا تقلق نحن سنتولى أمر سرقت، اذهب الآن.

فأخذ سيفه ومضى.

* * *

تهوى أقدام الفرس المتســارعة فتثير اضطــراب بقاع المياه الصغيرة الناشبة عن الأمطار المســتمرة، ويقترب حورس كثيرًا من مدينة بوتو ويبدو عليه الثقة والغضب، يستأثر لجام فرسه بمهارة كما علمه سرقت ذات يوم وإن شاهده أحد اليوم فسيطلق عليه لقب أعتى فرسان التاريخ.

عــبر الفرس بوابة المدينة المدمرة ولم يســتوقف حورس مظاهر الخــراب من حولــه باحثًا عن أمــه حتى لمح تلك الجثــة الهامدة علــى الأرض تتناثــر الدمــاء فوقهــا، فأوقــف حصانــه وجلــس بجوارها.. واجيت، صديقة الطفولة المخلصة.

متى يدرك الإنســان قيمة الشــىء قبل أن يفقده.. لماذا يجب أن نتعرض لهذا الألم القاتل حتى نتفهم الأمر؟

كالأطفال نحن نترك ممتلين تلك اللعبة التى تنازعنا عليها يومًا، حتى ينالها أحدهم فتصبح تلك هى الأفضل فى الكون، ولكن ماذا إن

كان هذا الشيء الثمين قد فقدناه بلا رجعة.. أنت لم تترك شيء بلا مقابل، فلا يوجد هناك ما هو بلا مقابل فى هذه الحياة، ولكنك قد ابتعتها مجبرا فى مقابل الألم.

بكى حورس ولا يذكر متى كانت آخر مرة بكى فيها.

ولكن البطل الذى يصنع التاريــخ لابد أن يمر بالصعاب مرارًا.. فالصعوبات ليســت إلا درجات عالية نحــو القمة.. إما أن تخطيها أو تسقط من فوقها.

ظل يبكى حتى شــاهد بعيدًا إيزيس تركض على الضفة الأخرى من النهر وســط الأراضــى الزراعية ويتبعها مســرعًا هذا العملاق المتبقى، فركض حورس ســريعًا ناحية النهر فقفز فيه قفزة طويلة غاص فيها لثوان تحت الماء حتى هدأت ثم خرج مرة أخرى مبتعدًا كثيرًا عن مكانه حتى كاد يصل إلى منتصف عرض النهر وأخذ يسبح ســريعًا حتى وصل إلى الضفة الأخرى فخرج مبتلًا وظل يعدو حتى وصل إلى نقطة شاهد فيها هذا العملاق بعيدًا يتجه نحوه وهو يقف بين الشــجيرات عاجزًا.. «تذكر الصقر».. «انظر حولك».. «ادرس الموقف».. «هذا ما سأفعله»..

وجد حورس فرع شجرة ضخم مقطوع وملقى على الأرض بجواره وله حافة مدببة.. يصل طول هذا الفرع الســميك إلى أكثر من ثلاثة أضعاف طــول حورس، ثم رفعه حورس برغــم ثقله ووضعه مائلًا يستند على فرع شجرة ضخمة بجانبه وقام بتسلقه حتى وقف على فرع الشــجرة المرتفع، ثــم حمل بصعوبة هذا الفــرع الضخم الحاد

النصل حتى كادت تنكسر من ثقله تلك الشجرة التى يقف عليها برغم جسامتها، ثم صوب حورس هذا الفرع الضخم الحاد النصل ناحية العملاق الذى اقترب كثيرًا.. وفى بغتة ضرب حورس مقدمة الفرع الطويل بقوة فينغرس بزاوية فى معدة العملاق ثم يخرج من منتصف ظهره حتى صرخ صرخة دوى ترددها فى الفراغ، يحاول ضرب حورس الذى كان متعلقًا بالأعلى فى هذا الفرع الغائر، ولكن كلما يضرب يلوذ حورس بنفسه فتكون لكمته على الفرع الذى ينغرس فى أحشائه فيشقه أكثر ويكون الألم متضاعفًا وتراق الدماء من جانبه مندفعة حتى تلطخ منها حورس الذى يتشبث جيدًا بالفرع برغم الاضطراب، وكلما يحرك العملاق فرع الشجرة أكثر كلما خرجت أحشاؤه منه حتى تساقط على ركبتيه، ترك حورس الفرع ليهبط فوق الأرض كالصقر هبوط احترافى بينما يهوى العملاق على جانبه متناثرة حوله أحشائه ولا شك فى أنه قد فارق الحياة تمامًا.

كان المشهد المقزز يثير انقباض حورس، خاصة وأن تلك هى المرة الأولى التى يخترق فيها حدود القتل.. إنه هو من تعمد افتعال تلك الجريمة البغضاء، ولكن ماذا لو تركه، ربما كان هذا يتسبب فى مقتل إيزيس وربما فى مقتله هو أيضًا.. لقد تعالت فى مسامعه للتو جملة هاتور الأخيرة «أحيانًا يكون القتل هو الحل الأمثل» .. ربما الفتاة كانت محقة هذه المرة.

تحركت يد العملاق فجأة حتى كادت تسـقط على رأس حورس ولكن لحسـن الحظ هوت بجواره فأخرج حورس سـيفه بعد ذعره واعتلـى ذراعه حتى وصـل إلى صدره ثم رقبته فأوغل سـيفه بقوة إلى نهايتهـا حتى أخرج العملاق صوت حشـرجة قوى برزت منه رائحة فمه الكريهة، ثم هدأ جسده تمامًا، وتأكد حورس من موته فتراجـع إلى الخلف وقفـز على الأرض ونظر ناحيـة إيزيس التى تقترب تجاهه فأزف نحوها وجلس أمامها وجلست بجواره.

– لقد فقدت العديد من الأشـياء اليوم، ولكنك يا أمى كل شىء، كدت أن أفقدك، ولكنى قد تعلمت اليوم أن أدرك قيمة الشـىء قبل ضياعه، شكرًا يا أمى على كل شىء قد تحملتِه من أجلى.

– وأنا لن أشـكرك اليوم يا حـورس على أنك حفظت حياتى من المـوت، فأنت من البداية سـببى فى الحياة، ولكنى سـأطلب منك اليوم شيئًا وعليك أن تعاهدنى أنك ستنفذه.

– إليك أى شىء تطلبينه..

– تعاهدنى؟

– أعاهدك.

– أريدك أن تسـافر عبر البحر الكبير إلى بلاد مغرب الشـمس حيث ذهب والدك يومًا، فتهرب من بطش عمك وتبحث عن والدك هنـاك، ولكن لا تعود إلا عندما يعود والدك، وإن لم تسـمع بخبره أبدًا.. فلا تعد أبدًا.

– هل تريدينني أن أبتعد عنك للأبد؟

– هكــذا يا حورس ســأكون مطمئنة أكثر، لقــد انتظرت كثيرًا هــذا اليوم الذى أراك فيه رجلًا شــديدًا تتحمل عناء هذا الســفر، ومــا رأيته منك اليوم كان جديرا بذلك أيها الصقر.. ولا تقلق علىّ، ســأذهب للعيش فى بلدة أخرى ولن يسعى خلفى ست مادمت أنت لســت معى، ولكن عليك أن تذهب اليوم قبل أن يعود ست بجيوشه مرة أخرى، وأنا متأكدة أنك ستعود إلى يومًا وبحوزتك أوزير.

– حسنًا أمى، إليك ما تريدين.. سأعد عدتى من الآن.

* * *

«كُن طاهرًا فى مقاطعة الغرب،

وتلق مجدك فى مقاطعة الشمس

تعال إلى الوجود واصعد عاليًا،

فسوف يكون كل شىء طيب معك»

الفصل الثالث

بلاد مغرب الشمس

وسط ظلام الليل الممتزج بأمواج الشاطئ الوقور غرست تلك القدم العملاقة المتهالكة فى مياه البحر، بعد أن تركت أثرها فى القارب الشراعى العملاق الذى وطأته لأسابيع.

وبخطوات منهكة ومترنحة ظلت الأقدام تضجر المياه الساكنة حتى خرجت إلى الشاطئ الرملى متناثر الصخور.

وبعد أن تركت بين الرمال بضعة علامات لعصا التوكؤ وقدمين كبيرتين سقط «أوزيريس» أرضًا ولم يشعر بشىء.. كانت تلك الأراضى هى بلاد مغرب الشمس التى كان أوزير أول الواطئين إليها منذ زمن بعيد (بلاد الإغريق).

«التحيات لك يا سيد الغرب، الكائن الجميل سيد الأرض الخفية العلى المشرق مثل رع»

* * *

وبتاريخ مختلف عن هذا اليوم، وبالعودة إلى ضفاف مدينة بوتو العظيمة حين اجتمع آلكيدر وإيزيس وسرقت الذى كان متكئًا على عصا ومضمدة ساقه يلطخ رباطها الدماء تقف خلفهم هاتور باكية وهم يودعون حورس الذى يجمع عدته على قارب

البابـيروس المصنوع من سـيقان نبات البردى التـى ربطت معا فى حـزم من العيدان، ومؤخرة (المركب) مقوسـة إلى أعلى بينما تبرز المقدمة إلى الأمام. وعلى سـطح السـفينة صارى طويل من الخيزران وربط فيه شـراع السـفينة الأحمر وثبت فى القـارب بحبل طويل. ويضع فوقه المؤن التى سـيحتاجها وأكثر لا ينسى قوت الرحلة من فاكهة وماء وحبوب مخزنة فى صناديق.

– سأودعكم الليلة متجهًا إلى بلاد مغرب الشمس.. سوف أبحث عن والدى هناك.. ولكنى أستودعكم أمى فاستوصوا بها الأمان حتى أعود قريبًا.

وأجاب آلكيدر:

– ولكـن يـا حورس، مهمـا كان فتلك السـفينة الصغيرة ربما لـن تتحمل عناء هذا السـفر، وكذلـك أنت لن تسـتطيع أبدًا فعل ذلك وحدك، إن الإبحار مهمة لا يقدر عليها أعتى الرجال وحدهم، خاصة فى هذا الطقس البارد.

ثم أردف سرقت:

– اسمع يا حورس.. قليلًا إلى الشـمال فى أرض البرزخ سـتصل إلى مدينة البحارة التى تعتمد على صناعة السـفن، وهناك سـتجد العديد من رُبّان السـفن المخضرمين من خبراء البحار، ستجد فيهم من هو متوجه إلى نفس المقصد، فهم يذهبون هناك لاستيراد المعادن التى اشتهرت بها تلك البلاد، سيساعدونك فإن البحارة بطبيعتهم رجال جوّادون ونبلاء.

– حسنًا سأفعل ذلك..

ثم هم ســرقت إلى حورس فجأة ليحتضنــه وكأنه قد أدرك للتو بأنه سيفارق تلميذه النجيب..

وهكذا سيودعه آلكيدر وهكذا ستحتضنه هاتور باكية دون كلام.

بالطبع.. فما أصعب الكلام مع إنســان قــد أحببته للتو، عندما تعرف جيدًا أن الظروف ســوف تكون حائلا بينكم.. فالحديث فى هذا الحال ليس إلا مضيعة للوقت.

ثــم ذهب حورس باكيا مقبلا يد إيزيس التى قد أخفت دمعها.. ثم اعتزم صاعدًا على متن مركبه.

وماذا تعــرف عن الفراق؟؟ إن كنت تعرف القليل عنه فســوف تدرك أن لحظة ما قبل الفراق تكون مؤلمة دائمًا أكثر من الفراق نفسه.

إنه التصميم الغريب لتلك النفس البشــرية التى تكره أن تفتقد أحد.. لقد نشأ الإنسان إلى أن يعيش مرافقًا، حتى وإن ظن أنه يريد غير ذلك، تذكر كم مرة يســلم الصديق علــى صديقه قبل أن يفارقه برغم علمه بأنه ســيراه قريبًا.. إنه هذا الدافع النفسى الذى يبتدع الأسباب لإطالة اللقاء.

وماذا إن كان الفراق سيطول كثيرًا..

ما أصعب الإحســاس الذى يجعلك تكتم هذا الحزن بداخلك كى لا تصيب به الآخرين.. لأننا ندرك جيدًا فى نفوسنا أن آلام المشاعر هى تلك العدوى الأسرع انتشارًا بين سائر الأمراض.

«إلى اللقـــاء»... لعلها تكـــون الكذبة التى قد قالها الجميع.. لأن اللقاء فى بعض الأحوال ربما غير مؤكد.

نظـــر الجميع إلى المركب التى كانت تبتعد شـــيئًا فشـــيئًا.. لعله يتخذ قرار العودة مرة أخرى..

ولكنه سيمضى قدمًا.

«– إلى أين تعبر

– أعبر إلى السماء لعلنى أرى أبى

– إلى التلال العالية أم إلى ثلال ست

– إلى شجرة الجميز العالية تلك فى شرق السماء

لأننى صقر حى يستكشف قبة السماء

لأننى المجداف العظيم الذى يضارب السماء

لأننى عظيم السرعة واسع الخطوة».

* * *

لم يمـــض كثيرًا علـــى «أوزير» النائم بين صوت ورائحة شـــاطئ البحر الواسع حتى خرج على جسده بعض أشعة الشمس، ثم أظلها خيال لبعض الأشـــخاص الغرباء الذين قد وقفوا حوله يتسائلون عن هذا الرجل الدخيل الذى جاءهم بقاربه الغريب من بحرهم الواسع.

إلى أن فتح «أوزير» عينيه فى ضيق من أشـــعة الشمس حتى وجد حوله ســـراب أشـــخاص متعملقين يحدثونه بلغـــة غريبة لا يكاد يفهمهـــا!!.. يبدو أن هـــؤلاء القوم الجدد الذيـــن وجدهم فى بلاد

مغرب الشمس، لم يســمعوا بهرمس ولا يفقهون لغته ولا يعرفون أى حضارة أبدًا.

ثم نظر أوزير إلى الشمس التى تبدو وكأنها تخرج من المكان الذى قد أتى منه، فتفهم سريعًا سببه الذى تبعه، وأيقن أن تلك الشمس لــن تقترب أبدًا وأن هذه الأرض ليســت إلا دائرة مغلقة ربما تدور حولها الشــمس أو العكس.. ولكن بلاد مغرب الشمس تلك التى قد سعى إليها طوال الطريق، ليست إلا أرض مثلها مثل تلك التى جاء منها، مجرد أرض يســكنها قوم بدائيون تحكمهم شــريعة الغاب التى تقول إن البقاء للأقوى وللضعفاء الموت والفناء.

ولكن ســرعان ما أظل تلك الشمس ضباب أسود يظهر عند المشرق يبدو واضحًا برغم أنه يبتعد عنهم عدة أميال..

كان يظنــه فوق البحر ولكن لم يتوقــع عزير أبدًا أن مصدر هذا الضباب الكثيف كان عند تلك الأراضى التى قد جاء منها!!

* * *

وهناك.. وقبل ذلك بقليل..

تســللت بعض أشعة الضوء معلنة عن شــروق يوم جديد، ولكن اليــوم لم تزقزق العصافير، ولم يتناثر الندى عبر البيوت. ولم يكن شىء إلا الصمت الرهيب..

خرجت سيدة عجوز من بيتها كأول المستيقظين من قوم عاد وكانت حادة النظر حيث أبصرت فى السماء نجم كبير لامع فى وضح النهار..

ولم تمض لحظات حتى خرج من بيته كل من اســتيقظ من القوم ليقف ثابتًا أمام بابه فى صمت وتعجب من غرابة منظر النجم الذى يقترب شــيئًا فشــيئًا، ولكن ســرعان ما فقدت تلك العجوز وعيها لسبب مجهول.

* * *

كانت القافلتان المتجهتــان إلى مكة قد أتمتا رحلتهما إلى البيت منذ بضعة ســاعات، ولكنهم لم يتلاقوا بعد، هم الآن قريبون جدًا من الكعبة وكل قافلة منهم تأخذ قســطًا مــن الراحة لم تأخذه منذ ساعات طويلة.

* * *

وفى ثمود لم ينم الليل منهم أحد ولكن لم يخرج أحدهم من بيته خشــية العذاب الــذى وعدهم به صــالح.. وكأن الهدوء يملأ أنحاء كوكب الأرض، أما خارج الأرض فقد كان الاضطراب يعم كل شىء.

اقــترب هذا الحطام الضخم الملتهــب منها كثيرًا.. حتى اخترق حدود الهواء قريبًا من الشمال الغربى لبلدة الأردن.

هربت الطيور واختبأت الحشرات، حتى الجان والشياطين فرّوا هاربين.. فقد كان حدثا هائلا يحذر فيه الاقتراب.

وكانــت عــاد تقف لتشــاهد هذا الشــهاب العملاق الــذى أتى من اللاشــىء، تلك الصيحة الرعدية التى سمعها قوم عاد كالزئير

من اختراقه الثائر الذى نشـب من علـى بعد مئات الأميال، جراء انفجار عملاق لم تشهده الأرض منذ عقود.

قـوة حرارية وموجات ضغط ارتجاجية وإشـعاع نووى فى كرة ناريـة أتت من السـماء يعكرها الضباب تعمى الناظرين وتسـخن الأرض الواقعـة تحـت بؤرتهـا لآلاف الدرجـات فتجعل جميع الكائنات الحية فى تلك المنطقة تتحول إلى بخار أو حروق سائلة.

ربما لم تشـهد ثمود أبدًا هذا الهـول.. فقد كانت الصيحة التى نشـبت عن انفجار هذا الشـىء كافية لتوقـف قلوبهم ذعرًا خاصة بعد تلك الحالة من الفزع التى قد شـهدوها فى آخر أيامهم، حتى أخذتهم الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين.

كان حريـق عاصف يسـتهلك كل هواء التنفس، حيث نشـبت الحرائق الملتهبة الساخنة. تبخرت معظم مياه هذا البحر الذى كان أسفلها، فانخفض منسـوبه كثيرًا وارتفعت ملوحته كثيرًا وماتت فيه كل الكائنات ومن حينها وقد اكتسب لقب البحر الميت.

توسـعت دائـرة النـيران جائعة تدمر كل شـىء فـى طريقها فارتفعت ملوحة النصف الشمالى من بحر القلزم والنصف الجنوبى من المتوسـط وزاد الذوبان فيهم الذى سرعان ما تم تعويضه من قبل المحيطـات المتصلة بهم على عكس البحـر الميت الذى لم يذق طعم الحياة حتى اليوم.

* * *

أمــا عاد الذين عاشــوا المجاعة لســنوات يدعــون نجومهم بلا جدوى فقد ســقط لهم هذا النجم من السماء ليشاهدوا بعده السحاب المظلــم عارضًا مســتقبل أوديتهم فهللوا وقالوا هــذا عارض ممطرنا واعتقدوا أنها ســحابة الرحمة التى أرســلتها لهم النجوم وأخيرًا ستنتهى المجاعة.

وعندما وعت تلك الســيدة حادة النظر وشاهدت العاصفة أخذت تولــول وتصرخ مكــررة «هذا ليس مطركم بل هو ما اســتعجلتم به نبيكم هود.. ريح فيها عذاب أليم».

ولم يوشــك أحدهم علــى الهروب حتى أخذتهم الريح بســرعة الصــوت وهم ينظــرون فأذابتهم برغــم قوتهم وأصبحوا هشاشــة كأعجاز خاوية.

تدمر كل شــىء جــراء تلك الريح فلم تترك منهم إلا مســاكنهم عبرة للناظرين.

بلغ قطــر الانفجار مئات الأميال وكان لــه توابع وضربت بلاد كثــيرة، ونجــت منه بعض البــلاد مثل بلاد الإغريق فى الشــمال وحدود أرض مكة من الجنوب.

* * *

تقابلــت القافلتان فى يوم الحــج ورأى وسمع كل منهم ما حدث من حيث أتوا..

دامت الريح لسبعة ليالٍ وثمانية أيام.

حتى إنه كان فى الحرم رجل كافر بينهم وهو أبو رغال من ثمود فمنعه الحرم من العذاب ولكنه لم يتمم الفريضة بل خرج من حدود الحرم فأصابه سريعًا ما أصاب قومه.

* * *

وبرغم ندرة المعلومات الصادرة عن تلك الكارثة بسبب الهول والتدمير وقلة الخلق، فإنه علينا أن ننتقل إلى بعض الحضارات البعيدة التى لم يصيبها من العذاب إلا القليل حيث كتبوا عنها كلٌ بطريقته مثل بابل والتبت ونصوص المايا القديمة ثم الهند.

.. «كانت عبارة عن قذيفة واحدة مشحونة بكل ما يحويه هذا الكون من قوة. صاعقة حديدية شملت قوة الكون. عمود متوهج من الدخان واللهب. مضىء بقدر عشرة آلاف شمس. مشرقة بعظمة وبهاء. الغيوم زمجرت إلى الأعلى. الغيوم كلون الدم هبطت فوق الأرض. الرياح الشديدة بدأت بالهبوب. الفيلة على بعد أميال سقطت بفعل الرياح. رجّت الأرض واحترقت بفعل الحرارة العنيفة المريعة لهذا السلاح. كانت الجثث محروقة إلى درجة أنه لم يعد بالاستطاعة تمييزها. وميض الانفجار. عمود من الدخان والنار. الغبار الذرى المتساقط. موجات الصدمة والحرارة الشديدين. مظهر الضحايا وتأثيرات التسمم الناتج عن الإشعاع».

تلك كانت كتابات فى المخطوط السنسكريتى القديم (المهابهارتا) تظهر الرعب الكامن فى وعى الأشخاص الذين نجوا من هذه المحرقة

النووية وظنوا أنها قذيفة مضروبة عليهم من قبائل معادية.

وقد نجى منها بأعجوبة أقصى جنوب مصر، فعاش منهم القليل ولكنهم قد شاهدوها عن كثب بأم أعينهم، أما من يقطنون شمالاً فلم يبق منهم أحد قط، وقد سميت فى الجبتية باسم (الحاقة)، وهى تعنى الساحقة الكبرى وهى كلمة تتكون من مقطعين..

حا: وتفيد التصحر والإبادة ومنها أيضًا خرجت كلمة (حابى) الذى يعتبر إله الصحراء.

و قا: وتفيد الكبر والضخامة.

وهو ما حدث بسبب سقوط هذا الشهاب العملاق الذى شاهدوه يومًا فى السماء.

أما المصطلح المستخدم «شهب» فهو أيضًا كلمة مصرية قديمة لاسم ريح حارة.. وتعنى حرفيًا «حارق».

ولعلك تتساءل ما هو التسمم الناتج عن الإشعاع المذكور فى نهاية المخطوطة السنسكريتية!

وهنا سوف يصعب الحكى..

ربما لم يصل الانفجار إلى كل مكان فى العالم، ولكن هذا الإشعاع الناتج منه قد لوث هواء الكوكب بأكمله بالفعل، وكانت له أعراض ظهرت على البشر فى ذلك الوقت مثل الغثيان والنزيف المستمر بشكل قاتل، من الأنف والفم والأحشاء الداخلية بسبب عدم تجلط الدم.. وهذا أدى إلى زيادة الوفيات.

ولكن هذا لم يكن شـــىء من الأضرار الجسيمة التى ظهرت على الأجيال المتوالدة.

لــذا.. يجب أن ننتقل هذه المــرة إلى حضارات أخرى أكثر تقدمًا لتفهم الأمر..

يتجلى تأثير الإشــعاع النووى فى الخلايا الحية بأشكال شتى.. ونوع منه يتعلق بعوامل الوراثة.

تعتبر جزيئة الحامض النووى الذى يحمل الصفات المتوارثة هى أكبر جزيئة فى عضوية الإنسان، وبالتالى الأكثر عرضة للإشعاعات، وباعتبارهــا قطعًــا وظيفية تمثل المورثات المســئولة عــن الصفات الوراثيــة، فإن إصابته أو إصابة جزء منه يعنى طفرة وراثية تؤدى إلى صفة جديدة تنتقل وراثيا عبر الأجيال.

ونتيجة لتفاعل الإشعاع الغريب مع تلك الجزيئة تولد الطفرات والأضرار الجســدية التــى لا تظهر إلا فى الأجيــال القادمة والتى لا يمكن تمييزها مع تلك التى تحدث طبيعيا.

ومن هنا قد تســبب تقلصا ونقصا رهيبا فى أحجام النسل المتوالد فى تلك الفترة.

وساعد عليه التدهور فى عمليات الآيض مع قلة نسبة الأكسيجين فى الغلاف الجوى مما سبب فيٍ تقلص الحجم بنسبة كبيرة وامتلاك جســد أصغر حجمًا وأقل تحملاً ونشاطًا وبالتالى أقصر عمرًا.. ولكن بعض التأثيرات تظهر بالتدريج، فيكون كل جيل عمره أقصر بقليل مما يسبقه.

ربمـــا كان آدم وحواء أكبر حجمًا مـــن أبنائهم وأحفادهم، ولكن هذه الظاهرة قد خســـفت بحجم وعمر الإنســـان معًا فأصبح الضخم منهم لا يصل أبدًا إلى العشـــرة أقدام والمعمر منهم لا يتجاوز المائتى عام، بل هو فى نقصان إلى الوقت الحالى.

تلك كانت نهاية القرون الأولى ذات الحجم المتعملق، ثم بدأ بعد هذا تاريخ جديد..

أما ما ســـبق ذلك من قوم آدم ونوح وعاد وثمود فقد سمى بالقرون الأولى.. هؤلاء الذين ذهبوا مع الريح.. تلك الريح التى أذابت أجسادهم وعظامهم وجعلتهـــم كالرميم، ولكن ماذا حدث فى الحقبة التى بين القرنين.. تلك التى شهدت نهاية العمالقة وبداية البشر المتقلصين.

وكيف عاش هؤلاء الضعفاء الجدد وسط أواخر العمالقة الجبارين.

لقد بدأ للتو قرن جديد..

* * *

دخل للتو إلى قصر الملك (ســـت) رســـول من بلاد الشمال فقابلته (نفتيـــس) وكان الملك غير حاضر.. ربما منشـــغل بتعذيب بعضهم كطقس اعتيادى لا يدل إلا على إخفاقه، ولا يزيده إلا وهنًا.. قالت نفتيس لهذا الرسول:

– ماذا تريد؟

– لقد علمت يا مولاتى أن حورس سوف ينتقل إلى بلاد الإغريق كما فعل أبيه يومًا، ولن تذهب معه إيزيس بل ســـتبقى وحدها فى أراضى الشمال هاربة من بوتو وسوف تقطن أراض جديدة.

– أحسنت أيها الرجل المثابر.

قالتهـــا نفتيس ثم ذهبت إلى منضدة الطعام فأخذت تفاحة نضرة لتكافئه بها، والتقطت ســـكين حاد فأخذت تقطع بها تلك التفاحة مقتربة منه.. ثم قتلته فى قلبه بتلك السكين وهى تأكل من التفاحة ثم أردفت:

– أتعلم.. ســـئمت مقت وبغض ست لهذا الولد المحظوظ، ربما من الأفضل للملك ألا يسمع بخبر هذا الفتى لفترة قصيرة، لقد بدأت بالإشفاق عليه.

ثـــم صاحـــت إلى الحـــراس فأمرتهـــم بتنظيـــف دمائـــه وحمل جســـده بعيدًا، وألا يزعج أحد تفكير الملك بخبر هذا الخائن الذى يتزعم أخبار مضللة.

* * *

كانت ســـفينة كالعروس تقف شامخة قريبة من شاطئ المتوسط وتســـتعد للإقلاع، مركب جبار ذى صـــوارى طويلة متعددة يظهر عليهـــا مهارة وعظمة فى التصميم.. حتى قارب حورس الذى كان يبـــدو كبيرًا منـــذ قليل أصبح متخاذلا بجوارهـــا، ثم قفز حورس مـــن قاربـــه متعلقًا بحبل يتدلى منها متســـلقًا أعالى تلك الســـفينة حتى وصل إلى الحافة ودخل أرض الســـفينة ثـــم نظر أمامه ليجد عشـــرات السيوف مصوبة نحوه يتوســـطهم ويتقدم تلك الجحافل رجل كثيفة لحيته عريضة وغير منتظمة وشعر رأسه مجعد طويل

بعض الشـــىء ويبدو من عراقة ســـيفه وثيابه ونظرته الواثقة أنه ربّان تلك السفينة

– كيف تجرؤ على اعتلاء سفينة «بوسايدون» ملك البحار السبعة، هل فقدت عقلك؟؟

– اسمى حورس.. ولقد أخبرونى فى مدينة البحارة أن وجهتك نفس وجهتى.. إننى ذاهب إلى بلاد مغرب الشمس.

– حورس!!.. لم أسمع به قط.. وما الذى يدفعك إلى الذهاب إلى بلاد الإغريق.. من يذهب إلى الجحيم بإرادته.

– أنا ذاهب إلى هناك بحثًا عن والدى.

(ثم ابتسم البحار بوســايدون ناظرًا لطاقمه الذى تبعه بالضحك حتى أكمل)

– ألا يســتطيع الصغــير العيــش دون والده؟.. اسمــع يا هذا.. إذا كان أبــوك قد ذهب إلى أراضى الإغريــق يومًا فاعلم أنه قد مات لا محالة.. وإن لم يكن من صعوبة الرحلة فسيكون من بطش التايتانز والجيجانت عمالقة الإغريق.. وإن ذهبت أنت فســيقتلونك أيضًا.. ألم تسمع بأنهم يأكلون الأطفال الصغار.

(ثم ضحك الطاقم نفس الضحكات بينما يتحدث حورس)

– أرجوك أيها الربان.. لدى بسفينتى الصغيرة الوفير من المؤن والغذاء والمياه.. وسوف أكون خادمًا لك على متن تلك السفينة.. ساعدنى على الذهاب إلى هناك ثم فلتخل عاتقك من مسئوليتى.

– حسـنًا إليك مـا تريد، ولكن إن قمـت بإزعاجى.. فلن أتردد للحظـة فـى أن ألقى بـك من هذا الجرف فى وسـط البحـر طعامًا للوحوش البحرية.

– وحوش بحرية!!

(ثم صاح بوسايدون)

– يا رجال.. فلتحملوا كل ما يحلو لكم من تلك المركب بالأسفل لتجلبوه على تلك السفينة.

(ثم نظر إلى حورس الذى كان يضع سيفه خلف ظهره.. فأخذ منه السيف وأعطاه مقشة عوضًا عنه مشيرًا له إلى أن يبدأ العمل الآن) .

كان يوما طويلا ولم يكن حورس فقط هو من أرهقه العمل، ولكنه قد اكتشـف كم هى مهمة صعبة مهنة الإبحار يزيدها وهنًا تمايل السـفينة المستمر والرياح العاتية.. حتى شاهد حورس الليل وكأنه لم يشهد ليلة من قبل.

نجوم بعيدة لامعة ومتناثرة، ظلام وقور ونسـيم محمل برائحة المالح الذى ينم على الاسـترخاء، علاوة على ترنح السفينة السلس مـع صوت المياه الهـادئ.. ينظر حورس إلى الأسـفل حيث تعكس المياه لمعان النجوم وتبختره بين ثناياها بطريقة سـاحرة.. حتى إذا بدأت المياه ترتفع ببطء إلى الأعلى من أسـفله فقط، أو ربما السفينة تميـل على جانبها، أو ربما الكون ينثنـى إلى الداخل.. كاد الدوار يفقده توازنه فنظر إلى الأعلى بعد أن طرفت عيناه برفق حتى ينظر

فلا يميز هذا الفاصل بين البحر والسـماء من شـدة الظلام.. أو ربما هما متصلين بالفعل. هو لا يعرف أين مقصده بعد.. هل ستصعد به السفينة إلى السـماء حيث ينتظره أوزير، ربما لا يوجد مياه حوله بل هو فراغ صامت بالفعل، وكأن هناك غيمة من الماء تقع فقط أدنى السفينة.. سحابة من الماء المتطاير تحملهم داخل الهاوية السوداء إلى عالم آخر، تبلغهم إلى الرمق الأخير حيث تقطن الشمس مع صغارها النجوم، حيث يعيش أوزير فوق سـحابة بيضاء ناعمة يشـاهدهم من الأعلى.. انظر يا حورس إلى تلك السـفينة، إن شراعها بالفعل يشـبه أجنحة الصقر، ربما هى تحلق الآن داخل السماء، ثم اتجه حورس نحو مقدمة السفينة وهو يلاحظ روعتها للمرة الأولى.. هذا الخشب النفيس وهذا الشراع الذى يشبه الأجنحة الواثقة، ومقدمة السفينة التى تتخذ شكل رأس حصان خشبى متقن النحت.

– رائعة تلك السفينة أليس كذلك؟؟

(قالها بوسـايدون الذى كان يبدو ثمـلاً خلف حورس بحوزته قنينة يحتسى منها النبيذ وخلفه تتمايع نيران ذات حطب وضعت بداخل إناء رخامى مفلطح موضوع أمام جالية السـفينة.. هذا عندما أجاب حورس)

– إنها من أجمل ما رأيت.

– لقـد صممتها بنفسـى.. إنها كالصقر فى السـماء وكالحصان فى الأرض، أسـطورة البحار السبع.. (بيغاسوس) هكذا أسميتها،

انظر إلى هذا العلَـم الذى يرفرف بالأعلى.. أتميز تلك الرسمة؟؟..
إنـه حصـان بجناحى صقـر، هذا هـو الرمز الـذى اتخذته لتلك السفينة الجليلة.

وبينما يتحدث الربان شرع ضباب أبيض يشتد فى المكان متزايدًا حتى أصبحت الرؤية فجأة شبه متهالكة، برغم إشعاع ضياء خافت ينم على يوم جديد، اشتد فيه البرد قليلًا.. وتساءل بوسايدون:

– أخبرنى ما اسمك مرة أخرى أيها النزيل؟

– اسمى حورس.. حورس بن أوزير.

– أوزير؟.. أتعنى أوزيريس؟!!

– نعم هو أتعرفه!!

لم يكد يكمل حورس سـؤاله حتى سـقط مباشـرة أمامهم سهم ينغرس على سطح السفينة ويبدو أن مصدره كان من البحر.

– ما هذا!!

– سحقًا.. ليس الآن.. إنهم لصوص السفن.. القراصنة..

أجاب بوسـايدون على تسـاؤل حورس ثم صرخ فى طاقمه بقوة «احتموا».. ووسـط أمطار السهام الصلبة هرع طاقم السفينة محتمين بسورها ويقبع بجوار بوسايدون حورس الذى تساءل – ماذا سنفعل؟؟

وبينهما علق فى سـور السـفينة خطاف موثـق بحبل وفد منه على متن البيغاسوس أحد القراصنة الذى قتله بوسايدون بغتة وهو يجيب حورس:

- ننتظرهم حتى يأتون ثم نقاتلهم.

ثـم باشـر إلى السـفينة عشـرات الخطاطيف المعشـقة حينها أردف حورس:

- ولماذا ننتظر؟

سـحب بيده سـيف القرصان الذى قد قتل للتو وتشـبث وسـط الأسهم بأحد الحبال الموثقة ثم هم بقطعه واثبًا خارج السفينة.

تمتم بوسايدون:

- الأحمق.

اقترب حورس بحبله المتطاير نحو السفينة الأخرى حتى انغمر جسده فى المياه بجوارٍها لطول الحبل وسقط إثره أحد القراصنة الذى يبدو أنه كان متشـبثًا بهذا الحبل. فقتله حورس بالسـيف تحت المياه قبل حتى أن يترك له الفرصة ليدركه. ثم أسـلت سـيف هذا الرجل وأخرج رأسـه وبيده السيفان فوق المياه فأخذ شهيقًا ثم أغمد السـيفين بقوة فى خشب السـفينة بزاوية، وبكلتا قدميه ظل يدفع جسـد السفينة معلقًا نفسه بمقبضى السـيفين حتى خرقها متدفقة الميـاه إلى الداخل تدريجيًا.. ثم ألقى بأحد السـيفين ممسـكًا بهذا الحبل كى لا ينجرف مع المياه المندفعة ثم تسلقه إلى أعالى السفينة.

وعلى السـفينة الأخرى ظل يداهم ويغاور طاقم بوسـايدون مع القراصنة حتى هدأت السـهام بعض الشىء، حين أظهر بوسايدون مهارة قتالية عالية.

بينما تسـلل حورس إلى تلك السـفينة وسـط الضبـاب مختبئًا يسـتهدف رجل تلو الآخر بغتـة دون أن يراوغه أحد.. حتى ظهر أمامـه أحد القراصنة الـذى اضطر أن يبارزه مما لفـت إليه انتباه باقى الطاقم..

مالت السـفينة كثيرًا وانزلق حورس وباقـى الطاقم إلى الحافة فوجد حورس نفسـه وسـط العديد منهم وشـرع متراجعًا يباريهم فيقتـل أحدهم ويفلت من الآخر مسـتغلًا أحد الصناديق الخشـبية الصغيرة ليصد به بعض الضربات.. وخرج منهم رجل عظيم عريض البنية يبدو عليه أنه كبيرهم، ضرب بسيفه الصندوق فرضخه حين جاءت ضربة بالسيف من رجل آخر على ذراع حورس فشجته، ثم قتل حـورس من جرح له ذراعه حتى يجد نفسـه وحيدًا أمام هذا العظيم الذى يقترب منه على متن السفينة المائلة.

– يا لك من شـجاع أيها الفتى.. كيف تجرؤ أن تعتلى سفينتى، ألم تسمع عن أنتايوس العظيم، سوف أسحق عظامك البالية، إلا من جمجمتك الصغيرة فسوف أضيفها قطعة جديدة فى معبدى الصغير فى (طنجة).

وبينمـا يقترب منه الرجل الذى يدعو نفسـه (أنتايوس) حاول حورس ضربه بالسيف فلحقها الآخر بسيفه فى ردة ماهرة أسقطت سـيف حورس أرضًا وتزحلق إلى الأسـفل مع السفينة المائلة ليصبح حورس أجرد أمامه ولا يوجد مفر.

– من أنت أيها المعتوه؟

قالها أنتايوس ساخرًا بينما لا يجد حورس لنفسه مهرب من هذا المأزق. ماذا بعد.. نظر حورس حوله فى تأمل.. سور السفينة بعيد ولا سبيل للقفز فى الماء، وإن حاول الركض فربما يسقط أرضًا لميل السفينة الشديد، يقترب هذا الرجل نحوه ولا يوجد أى سلاح حوله لأن كل شىء بالفعل قد انزلق إلى الزاوية البعيدة، ولا سبيل للمراوغة خاصة مع ذراعه المجروحة وقوة بنيان الرجل الآخر علاوة على سلاحه الذى لم يتجرد منه مثله.. لا يبقى أى عوامل مساعدة سوى ميل السفينة نفسه.. بالطبع.. هكذا إذًا..

أسقط حورس نفسه وهو يضرب بساقه قدم الرجل العريض فأهواه أرضًا بسهولة مستغلًا ميل السفينة وانزلق الاثنان نحو المنحدر حتى اصطدمت رأس الرجل بالجدار.. ثم تناول حورس مقطع من خشبة كانت بجواره وصوبها نحو عين أنتايوس اليسرى فخرقها وقبل أن يقفز إلى المياه قد أجابه على سؤاله الأخير.

– اسمى حورس.

وبينما تغرق السفينة خلفه كان هو عائد يسبح نحو سفينة البيغاسوس الراسخة..

تسلق حورس أحد الحبال المتراخية لأسفل بصعوبة وبيد واحدة تاركًا الأخرى ذات الإصابة متدلية تؤلمه بشدة جراء تآكل الماء المالح لها، وعندما أصبح على متن السفينة لم يجد شيئًا سوى الهدوء التام خلف الضباب..

تقــدم حورس قليلًا ليجد بوســايدون وإلى جواره بعض الرجال وكاد يناديهــم حتى نظر إليه بوســايدون مشــيرًا إليه كى يتوقف مكانه ويهدأ تمامًا.

– ماذا هناك؟!

وأشــار الربان أمامه برفق مجيبًا عن تساؤل حورس حتى جعله ينظر أمامه ليجد عبر الضباب منظرا من أبشع ما شاهد يومًا..

شيئا يشبه الطائر الضخم.. يقترب طوله من طول الإنسان العادى.. أو كما يبدو وســط الضباب، منقاره طويل وسميك يأكل من أمعاء أحد قتلى المعركــة وجناحه الطويل يبدو مثل ذراع الإنســان الذى يخرج منه الريش الطويل إلى الأسفل ويغطى جسده، رمادى اللون.. أو هكذا يظهره الضباب الكثيف.. أعين غاضبة تتوهج، وله عرف قصير رفيع من الأمام يزداد سمكًا وطولًا إلى الخلف مدمج بريشه مثل عجوز رفيع الوجه طويل الشعر أصلع من جانبى الجبهة، ويمتد مثلث العرف إلى منقاره المعقوف الذى يبدو لونه كعظام الجمجمة مع تجويفين للأنف وزاويتــه حمراء اللون من الأمــام، أو ربما ملطخــة بالدماء، وتبدو ســيقانه مثل الإنســان الذى يجلس مقرفصًا ويحفر بمخالبه الطويلة فــى صدر القتيل الهامد. ويحمل بــين منقاريه حصة طويلة من أمعاء الرجل تبدو مثل دودة حمراء تتلاعب بين عظمتى المنقار.

– ما هذا الشىء اللعين؟؟

همس حورس بصوت خفيض لبوسايدون الذى أجابه بهدوء:

– إنـــه شـــيطان الضبـــاب آكل البشـــر.. طائر الســـتيمفالوس.. ابق ساكنًا فهو لا يرى جيدًا.. ولكنه يميز رائحة الدماء.

وأردف حورس:

– ليس جيدًا.. فلدى بعض منه.

أظهر حـــورس ذراعه المجروحة إلى بوســـايدون حين انتبه له الطائر فأخرج رأســـه الكبير من بين الضبـــاب وفتح منقاره صارخًا بصوت صاخب يشبه صوت الغراب.. حاول حورس ضربه بالسيف فالتقط الاســـتيمفالوس ذراعه وكاد يطير به حتى ضربه بوسايدون على وجهه فأثار به جرحًا مما أغضبه فترك حورس ليســـقط وهجم على بوسايدون وطار به قليلًا فارتطمت رأسه بصارى السفينة بينما يرتفـــع به الطائر فـــى الهواء حتى وثب حورس فأمســـك بجناحه ليفقده توازنـــه، فهوى الطائر مرة أخرى وترك بوســـايدون هامدا بينما اســـتحكم حورس على جناحه بقوة فعقف عظامه حتى دوى صوت انكســـارها مما أثار امتعاض ســـتيمفالوس الذى تردد صوته الصارخ المزعج مرة أخرى، وظل ينقر بجسد حورس المستلقى نقرات متكررة فى ســـاقه وذراعه وبطنه ويصرخ حورس عاجزًا لا يستطيع الفرار من تحتـــه برغم عجز الطائر عن التحليـــق وفقدانه لتوازنه الكامل بســـبب انكســـار الجناح.. وفجأة انقطعت رأسه من رقبتها وانتفض جســـده وانبثقت منه الدماء ثم ســـقط جثمان الستيمفالوس أرضًا فظهر من خلفه بوسايدون وهو يقول:

– لقد تدخلت فى الوقت المناسب أليس كذلك؟
وأجاب حورس متهاونًا:
– ربما كان من الممكن أن تأتى مبكرًا قليلًا.

* * *

قبل ذلك بسنوات عديدة..

مضت أيام على أوزير فى دراسة بلاد الإغريق ونباتاتها ومراقبة سكان «آثينا». ذلك كان اسم تلك القرية التى كان بها هؤلاء الغرباء الذين كان يدرسهم ويدرسونه، يحاول فهم كلامهم ويحاولون فهم قوله، كما أنه قد لفتت أبصاره بعض المعادن التى كانت متنائية فى تلك البلاد.. والتى كانت له بمثابة اكتشاف جديد لم ير مثله من قبل، وقد لاحظ عليه بعض الظواهر التى لا يفهمها مثل التجاذب المغناطيسى أو امتصاصه لوميض البرق ثم شحنه بتلك الطاقة الكهربية الغريبة.

وكذلك لم يفهم ما هو سبب تقزم الأطفال الذين يولدون فى هذا المكان.

كان يريد فقط العودة إلى أراضى مشرق الشمس.. ولكن منعته تلك السحابة السوداء التى خيمت فوق البحر لأكثر من أسبوع والتى لم يكن يعرف مصدرها.. فقرر أن ينتظر حتى يهدأ هذا الطقس الغريب.

وفى يوم استيقظ أوزير على جلبة وضجيج من هؤلاء القوم فى صياح تشجيعى متكرر.

حيــث كان مســتوطنى القريــة يقفــون فــى دائــرة يراقبون المعركة الثائرة بين اثنين من أشــد أبطــال القرية على ربح صيد ووليمة كبيرة.

وعندما كاد يقتل أحدهم الآخر، تدخل أوزير الذى عرف ببنيانه القوى وشدته حتى فض القتال وتغلب عليهم بشدة أذهلت المتجمعين.

كان الســائد فى هذا المجتمع أن الأقــوى هو من يحكم ويتحكم فى المكان، ووقف أوزير وســط الحشــد الهائل وقد أيقن سريعًا أنه هكذا أصبح لهم بمثابة الآمر الناهى.

وقــرر أن يحمل هــذا التعهد فيعلمهم أصــول الزراعة والتمدن وأن ينشــر بينهم عبادة الخالق الواحد ويمنعهم من تلك الشــريعة السائدة بينهم وينهاهم عن هذا القتال الدموى.

وقرر أن يتخذ فيهم حسنًا فمكث بينهم شهورا يعلمهم الزراعة والصناعــات اليدويــة الصغيرة وصناعة الفخــار والملابس والنحت والبنايات الهندسية.

أدهش أوزير أن هؤلاء القوم كانوا أذكياء خير مستقبلين لتعاليمه، كانــت بلاد الإغريق خير تربة وكان كل يــوم يمضى يجدون فيه كل جديد من تعاليم أوزير وقوانينه التى وضعها عليهم قائلًا:

«إن من أظلم منكم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فاطر هذا الكون فيعذبــه عذابًا نكرًا، وأما من آمن به وعمــل صالحًا فله جزاء ذلك الجنة وسنقول له من تعاليمنا ما تيسر».

وهكـــذا لم يزرع أوزير تلـــك الأراضى فقط، بل أيضًا زرع الثقافة والحضـــارة والإيمان فى عقـــول جميع المســـتوطنين وأغناهم بعلمه فقدسوه وأحبوه واتخذوه أسوة لهم.

«هذا الملك يأتى حقا روحا خالدة بيده القلوب وله الســـلطة على النفوس من يرغب أن يعيش سيعيش، ومن يرغب أن يموت سيموت لعلك تعبر السماء متحدا مع الظلمة لعلك تشرق فى الأفق فى المكان الذى يطيب لك» .

ولكن أوزيرهم كان دائمًـــا مفتقدًا لحياته فى بلاد الجبت حيث الحضارة والأهل، وإيزيس التى قد افتقدها كثيرًا والتى وعدها أنه سوف يعود إليها يومًا.

حتـــى جاء هذا اليوم الذى اعتزم فيـــه أن يترك تلك البلاد التى مكث فيها لأعـــوام يعلمهم ويدرس أرضهم، واتخذ قرارًا أن يتجه مـــرة أخرى حيث بلاد مطلع الشـــمس، ليخبرهم بما تعلمه ويأتى لهم بأنواع بذور جديدة ويقابل إيزيس مرة أخرى.

ثم اتبع طريقه..

وبرغم صعوبة تلك الرحلة الشـــاقة عليـــه فإنه كان أصعب جزء فيها هو لحظة وصوله.

وما لبث أن وطأت قدمه تلك الأراضى التى كانت عند رحيله غابات خضـــراء.. حتى وجدها أصبحت صحراء جرداء لا يميز ملامحها إلا نهر النيل الذى كان صامدًا برغم كل شىء، وبعض البنايات والمعابد.

كان يســير وســط عاصفة رملية كثيفة تهب على المكان والشمس الحادة تتقاتل مع خلايا جسده حتى وصل إلى قريته ليجد بها قوما لم يجد لهم من الشمس أى ساتر.

لم يعد هناك قصور ولا بيوت ولا أشجار ولا أكنان تسترهم، بل كانوا إذا اشتد عليهم الحر يأوون إلى أسراب قد اتخذوها فى الأرض تشبه القبور.

كادت الصدمــة تقتلــه ألمًــا وأصبح مبتغــاه الوحيــد هو بحثه عن زوجته، فهى كل ما تبقى له من أمل.

بينما كانت إيزيس تجلس إلى جوار شــجرة الســنط التى برغم احتراقها جراء الكارثة فإنها قد اســتعادت اخضرارها من جديد.. كانت متأكدة أن أوزير ســوف يعود مثلما عادت تلك النبتة التى قد أعطاها بذرتها يومًا.

وهكذا علــى ضفة النهر الجبتى فى مدينــة طيبة وتحت ظلال نفس الشجرة كان اللقاء المنتظر.

حيــث عثر أوزوريس أخيرًا علــى حبيبته وتزوجها بعد بحث وغياب طويل حتى اعتقد أنه لن يراها مرة أخرى.

لم تصــدق إيزيس عينيهــا أبدًا.. أحيانًا يضــع عقلنا أوهامًا فى نفوســنا لتلهمنا الصبر وتخبرنا بأكاذيب لتجعل الحياة تســتمر.. يخبرنا بأنه ســوف يعود وأنه لن يقدر على الفراق.. كلها أكاذيب نصدقها برغم إيماننا باستحالة حدوثها.. ولكن ماذا إن صدقت تلك

التنبــؤات.. ماذا إن أصبح هذا حقيقيًا.. لو لم تصدق إيزيس كذبتها لما انتظرته فى نفس المكان حيث وضعت بذرة الحياة.. أحيانا عندما نصدق الحلــم ونحن نعلم بأنه أكذوبة.. تتحــول تلك الأكذوبة إلى حقيقة واقعة، هذا أو سوف نفقد عقولنا.

دخلت الســعادة بيت الزوجين.. ثم انتخب ما بقى من الســكان أوزيــر ليصبــح ملكًا عليهــم فيعيد بعلمه الوفــير الأمجاد إلى تلك الأراضى العظيمة.

ولكن أوزير لم يكن بتلك الســعادة دائمًا، فقد انفطر قلبه كثيرًا على تلك الحضارة التى ذهبــت مع الريح فأصبحت صحراء جرداء لا حياة فيها..

كان يســأل نفســه كل عشــية «كيف يحيى الله هذه الحضارة بعد موتها» حتى جاء يوم أخبر إيزيس فيه أنه سيذهب فى رحلة قصيرة ولــن يغيب.. ثــم أخذ حماره وبعض الطعام والشــراب وبعض التين والعنب متجهًا مرة أخرى ناحية أراضى الشــمال ليتفحص ويدرس كيف اختفت تلك الحضارة وكيف يمكن إحياؤها مرة أخرى.. وذهب عزيــر وأخذت تنظر إيزيس له وهى تضع يدها على بطنها وتشــعر بأن هناك بشــرى سارة له فى الطريق، فقررت أن تنتظره حتى يأتى من رحلته فتخبره بتلك المفاجأة التى انتظرها كثيرًا.. ســوف تبلغه بأنها حامل فى وليد جديد وسوف تسميه (حورس).

وفى نفس هذا الوقت كان يراقبه (ست) من بعيد ليتأكد من أنه قد أخذ معه هذا الطعام الذى قد دس له السم فيه ليقتله.

تســتيقظ إيزيس كل صباح فلا تجده بجانبها، حتى بدأ يشعر قلبها بشــيء مريــب، حتى أنجبــت الطفل حورس فــى ظل تلك الظــروف العصيبــة، ولكن لم يكــن الوالد هنا لســماع هذا الخبر ولا يعــرف طريقه أحد، ولكنها لن تنتظره هذه الليلة.. فقد قررت أن تذهب للبحث عنه فى كل مكان.

مــات أوزيريــس هو وحمــاره فــى مــكان غامض ولم يســمع بخبره أحد، ربما كانت تلك خطة ست الخبيثة فى الاستيلاء على الحكم.. هذا الحلم الذى يترقبه ويعد له منذ الصغر.

وظلت إيزيس تســأل وتبحث عنه حتى طالت على غيابه الأيام فارتحلــت من قريتها وظلت تبحــث عنه فى جميع مقاطعات مصر باكيــة هى ورضيعها.. وكأنه كالحلم الــذى انتظرته كثيرًا وعندما جاءهــا كما وعد، اختفى ســريعًا كالطيف ولم يبق من أثره ســوى بــذرة أخرى تنبت شــجرة جديــدة تنم عن الحيــاة.. (حورَس)، الرضيع اليتيم.

لم تيــأس إيزيــس أبدًا وظلت تبحث فى جميــع مقاطعات مصر الاثنين والأربعين طوال عشــر ســنوات، حتى جاءت ليلة اشتدت فيهــا رائحــة عطــن الرماد المحــترق الــذى بقى لســنوات بعد حدوث الكارثة، فى ليلة قام الملك ست بتدبير مؤامرة لقتل حورس الصغير بســم الأفعى فــى مدينة أبيدوس ليضمن محــاولات بقائه فى السلطة، حينها قررت إيزيس الهرب بابنها وظلت تدعو ربها منتظرة بأن يعود إليها أوزير مرة أخرى، فقد قطع بما لديه خبرًا.

ومرت السنوات...

«ولن تفنى ولن تنتهى سيدوم اسمك بين البشر»

* * *

وفى قمرة سفينة البيغاسوس جلس حورس إلى جوار بوسايدون ومعهم من تبقى حيًا من المعركة يشعلون النار ويضمد أحدهم جراح حورس الغائرة بينما يستمعون إلى ما حكى عن أوزير بصوت بوسايدون نفسه:

- أما فى آثينا وما جاورها من بلاد الإغريق، فقد ازدهروا سريعًا واتبعوا تعاليم «أوزيريس».. الرجل الذى جاءهم من المجهول ثم ذهب إليه مرة أخرى. ولكن الإغريقيين بلغتهم ولكنتهم الغريبة كانوا يختصرونها إلى «زيس».. هذا الرجل الذى علمهم كل شىء رائع، ولفت نظرهم إلى مبادئ الحضارة ثم ذهب مرة أخرى إلى أراضى الجبت.. ومع الجيل الذى نشأ حديثًا من المتقزمين، أصبحت قصة أوزيريس هى الأمل الذى يتشبثون به.. أصبح بمثابة الإله الذى جاءهم لينتشلهم من الضياع.. حتى إنهم أصبحوا يطلقون على بلاد الجبت اسم (أرض الإله).. ولكن لم يرحمهم بطش قبائل الجيجانتز والتايتانز العظام، إنهم ما بقى من العمالقة الطغاة، يحكمون تلك الأراضى مستبدين ويأخذون منهم طعامهم وزراعتهم.. وهم أكثر فى تلك الأراضى النائية لأنها كانت الأبعد عن تأثير تلك الساحقة، ولكن سرعان ما بدأ تأثيرها بالظهور عليهم بطريقة قوية فى الشكل والقوة والنسل المتقزم، ولأن

قبائـــل الجيجانت والتيتـــان أعمارهم قد أصبحـــت أقصر من ذى قبل، وصحتهم أصبحت أكثر وهنًا.. ظن الأغبياء أن الســـبب فى هذا هو تلك الأجيـــال المتقزمة الحديثة، ولذلك أصبحـــوا يأكلون واحدا من أطفالهم الرضع سنويًا اعتقادا منهم بأن ذلك بمثابة علاج لهم من هذا السقم.

يعيـــش أبريـــاء الإغريـــق على أمـــل أن يعود لهـــم «زيس» مرة أخرى ليخلصهم من بطش تلك القبائل، سيســـعدون كثيرًا بقدومك يا حورس.. فما أبرزته اليوم من شـــجاعة باســـلة يثبت أنك فارس باسل وذكى مثل أبيك.

«إن شعبَ الشمس سيهرع إليك لأن النجوم الخالدة رفعتك عاليا مثل الصـــارى لعل أن تكون لـــك الروح بفضله وأن تكـــون لك القوة بفضلها ولعلك تكون فى مقدمة أهل الغرب بها»

* * *

هربت إيزيس قليلًا باتجاه الشـــمال الغربى مع آلكيدر وسرقت وهاتور نحو مدينة كانت شـــبه فارغة يســـتوطنها بعض الفلاحين القلائل، ومرت أســـابيع عليهـــم هناك تتابع إيزيـــس هاتور وهى تبكى يوميًا منتظرة عودة حورس وتتذكر نفسها وهى صغيرة وكيف تتكرر معها نفس المأســـاة هكذا.. تعاملهـــا إيزيس بلطف كابنتها التى لم تلدها، فتواسيها دومًا وتعالجها إن مرضت.. حتى إذا جاء يوم استيقظت فيه فلم تجد لهاتور أى أثر بالمدينة بأكملها!!

* * *

مرت الليالى والأيام فوق سفينة البيغاسوس، وبعد مرور مسافات قليلة من عبورهم منطقة كريت فى المياه المسماة ببحر إيجة، شاهد الطاقم يوما مظلما عصفت فيه الريح ودخلت السفينة فى سحابة سوداء غاضبة يراوغها البرق بين الفينة والأخرى، ويزمجر الرعد بينما تطيح الرياح بالسفينة يمينًا ويسارًا حتى تكاد أن تقذف بها ويجاهد طاقم السفينة مع الحبال والدفة التى توجه السفينة فى محاولة الحفاظ على اتجاهها.. يتشبث حورس بأحد الحبال بقوة كى يبقى الشراع منغلقًا.. فإذا انفتح جراء الريح أطاح بالسفينة بعيدًا.

حتى قام بوسايدون بتغيير اتجاه الدفة بصعوبة وصاح فيهم: «افتحوا الشراع الآن»..

تعجب حورس من هذا الأمر بينما نفذ ما قاله مع الطاقم، فأوامر الربان مجابة دون نقاش فى مثل هذه الأحوال.. وعندما انفتح الشراع ارتفعت السفينة فى الهواء كطائر عملاق ثم تطايرت فاندفعت خارج ريح العاصفة وسقطت مرة أخرى فى الماء بعدما انقلب كل شىء فى السفينة رأسًا على عقب وتكاوم الطاقم متكدسًا فى مكان واحد ثم حاول كل منهم النهوض فوق الآخر ينظرون بعيدًا حيث بدأت تتضح ملامح الأرض الجديدة..

- مرحبًا بكم فى بلاد الإغريق.. سنأخذ قسطًا من الراحة فى تلك الجزيرة القريبة ثم نكمل وجهتنا إلى بلاد الإغريق..

إنها «جزيــرة ثــيرا».. أرض بــركان النار العظيــم، أحد أخطر وأجمل المناطق الطبيعية على الأرض، وهى تابعة لأراضى مينوس ملك كريت.

* * *

تســللت هاتور خارج البلدة إلى أرض صناعة السفن لتعتلى أول ســفينة تحملها إلى حيــث يكون حورس، تتنكر فــى صورة رجل لتحمى نفسها من مطامع الرجال وهى تظن أن لا يراها أحد.. وقبل أن تصعد على متن الســفينة وســط الركاب أبصرت أمامها.. حيث كان آلكيدر الذى قد استبصرها جيدًا:

– إن حاولتِ الذهاب إليه فســوف يكون العناء حليفك.. يعميكِ الشوق فيلوذ بك إلى الهلاك يا ابنتى كما يلوذ الموج بجهلة السباحة، انتظريه هنا على هذا البر فسوف يعود من أجلك عما قريب.

– أســتطيع تحمل مسئولية نفسى جيدًا يا آلكيدر.. ليس أنا من يلوذ بها الموج، وقد تعلمت مؤخرًا كيف تكون السباحة.

ثم تركته يائســا واعتلت السفينة وحدها وسط الحشد.. لا تعلم بأن ما يتوقعه آلكيدر هو دائمًا حدث آيل للسقوط.

* * *

لم يكن يمزح بوسايدون ذلك اليوم عندما قال عن تلك الجزيرة هــى أحد أجمل المناطق فى العالم، رمال الشــاطئ رمادية اللون

والصخور الحمراء والسـوداء اللامعة، تتسـلل عبرها الخضرة والزهور المتناثرة، وبينما يستحم طاقم السفينة فى المياه الحارة على شـاطئ الجزيرة على ألحان غروب الشـمس، الذى يعتبر من أروع المشـاهد فى تلك الجزيرة، كان صقرِنا حورس يتسـلق صخـور جبل أحد أخطـر براكين العالم بحثًا عن عشـق الرؤية مـن الأعلى، وتبـدو الشـمس وكأنها تغوص فى عـين البركان الحمئة الواسـعة، ما أغرب هذه العين، تلـك الطبيعة التى لم يـر حورس مثلها من قبل، هل هنا تُصنع الشـمس، لا يمكن.. هـذا البركان الذى يبدو عليه أنه ينوى أن يثور عما قريب، هل ثوران البركان ينسـب إلى ثـيرا، أم أن اسمها ثيرا لأنها تحوى هذا الثائر العجيب.. يشـعر حورس بروح أبيه فى هذا المكان، ربما كان هنا مـن قبل.. ربما كان يقف فى نفس هذا المكان عند تلك العين الحمئة العظيمة يشـاهد غروب الشمس، هناك حيث توجد أراضى الإغريق، أسـطورة زيس العظيم، سـيمضى قدمًا حتى يجده، أو يغدو بطلًا مثله..

وسـرعان ما مضى الوقـت حتى أظلمت الدنيا مـن حوله وتلألأ القمـر بازغًا حتى بدأ يشـعر حورس بشـىء غريـب يحوم حول المكان.. انتفض وظل يبحث حوله وهو متأكد أنه قد لمح ظلًا.

– بوسايدون.. يا رجال.. هل من أحد هنا؟

احتكـم حـورس على مقبض السـيف مرتقبًا ظهـور هذا الظل الغريب.. حتى رمقه مرة أخرى؟

ما هذا الشيطان اللعين.. يبدو كرجل ضخم البنيان عريض الوجه وله قرون ثور طويلة، كيف يمكن لرجل أن يمتلك قرون ثور؟!

ثم نشب صوت غريب من خلفه جعل حورس يرتعد وينظر عقبه فإذا بوجه هذا الوحش القبيح يتقارب مسـرعًا نحوه فنطحه بقوة وأطاح به من أعلى البركان إلى أسـفل عبر الصخور المتبذرة يتخبط جسده مرة ويتطاير الأخرى حتى قبضت يده على إحدى النتوءات المتناءية بين الصخور، واستقر جسده الخائر ولم يكد يستقيم حتى أغار عليه هذا الشـيء بجسده الثقيل.. وجه مجعد غاضب، وأعين سوداء مسـتديرة وواسعة، وأنفه مرتفعة إلى أعلى واسعة الفوهة، وهـذا الأخدود بين أنفه وفمه مقطوع بشـكل طولى وتنفتح شـفته العليا مـن المنتصف إلى أعلـى يظهر عقبها أسـنان صفراء قبيحة ينساب منها اللعاب على وجه حورس الذى كاد يختنق من ذراعه المتثاقلـة فوق عنقه، حتـى بدأت عضلاته بالتقاعـس وخيم عليه الدوار والغشـيان، فأسلف قرنى هذا الشيء قرنين آخرين يتقلبان فـى دوام، إلى أن بدأ يدرك حـورس أنه يلفظ الأنفاس الأخيرة فى طريقه القصير إلى الموت، وإن كان الموت هو السبيل فلا مانع إلى أن يأخذ هذا القبيح معه إلى نفس المسـلك.. دفع حورس بقدمه صخرة كانت بجواره فانجرف الاثنان سـويًا مـرة أخرى من فوق منحدر البركان.. ظل حورس متمسـكًا بثياب هذا الشـيء البالية يعتليه محتميًا به فيرتطم هذا الشـيء بصخور الجـرف ويرتطم حورس

محتميًا بجسـده حتى اسـتقر الاثنان على حافة أخرى قريبة من سفح البركان بالأسفل، فاسـتقام حورس متألمًا بجسده ومن جواره جلس هذا الوحش الدائخ مستعدًا للنهوض، ولكنه قد اضطجع على الأرض مرة أخرى بعد أن أعطاه حورس فوق رأسـه بصخرة كبيرة قد حملها للتو.

وبعدما أشـعل رجال بوسـايدون بعض الحطب وقد جلسوا فى دائرة حوله يحتمون من البرد جاءهم شـىء ضخم غريب ومبهم من بعيد فارتاب الرجال وشـيئًا فشيئًا بدأت تتضح ملامحه.. حورس الذى كان يحمـل على عاتقه هذا الوحش الهائـم، ثم ألقاه أمامهم بجوار النيران وسقط بجواره واهنا على ركبتيه.

– أى نوع من المخلوقات هذا؟؟

تباينـت عبـارات التعجب بين كل رجل والآخـر، حتى تعالى فوقهم صوت بوسـايدون «كبلوه بالحبال جيدًا.. هذا المسـخ الملعون يجب أن يعود إلى أراضيه».

ونظـر حـورس إلى بوسـايدون حاملًا على وجهه مـا يكفى من التعجب والتساؤل الذى حاول بوسايدون أن يرضيه فاستسرد:

– لا تعتقـد أن تلك الأراضى سـوف تشـبه كثـيرًا بلادك التى قـد أتيت منهـا.. إنها أرض العجائب يا حورس، وستشـاهد هنا العديـد منها.. فى يوم مشـئوم أوردت فيـه إلى جزيرة كريت نوع غريـب وجميل من الثـيران.. كان فيهم ثور أبيض فرائه لامع مثل

زبد البحـــر، أحبته كثيرًا الملكة باســيفاى زوجة العملاق مينوس ملك كريــت، ثم لاطفته الزوجـــة وراعته واهتمت بـــه.. ولم يكد يفرح الشـــعب كثيرًا بحملهـــا حتى وُلد منها هذا الشـــىء القبيح، سماه الشـــعب (المينوتور).. نصفه ينسب إلى الملك مينوس والنصف الآخر ينســـب إلى كلمة ثور، تقول الشائعات إن الملكة أقامت علاقة جنســـية مع الثور الأبيض فولد جرائها هذا المسخ، ويقول البعض إنها مجرد طفرة وراثية مثل طفرة التقزم تلك التى نشبت حديثًا.. ولا يعلم أحد ما أصل تلك القصة..

ولكن الملك مينوس برغم بغضه لهذا المســخ القبيح.. فإنه يرفض ذبحـــه لعله يكـــون ابنه الوحيد.. ولعل هذا ســـبب هروبه إلى تلك الجزيرة النائية ولكن يجب علىّ إعادته مرة أخرى إلى الملك مينوس بجزيرة كريت.

وعقب حورس وتبدو على نبرته النهج والإعياء:

– ألن تذهب إلى أراضى الإغريق كما كان الميثاق؟؟

وأجابه بوسايدون:

– اسمـــع يا حورس.. لم أكن أنوى مـــن البداية الذهاب إلى تلك الأراضـــى.. لقد أضحت تلـــك البلاد مثل الخرابـــة البالية.. فقيرة ومســـلوبة من قبل ملـــوك التيتان وقبائل الجيجانـــت.. لقد أخذتك معى على الســـفينة طمعًا فيما كنت تحملـــه على مركبك من بضائع وفـــيرة.. ولكن لمـــا أظهرته معى من شـــجاعة، ومـــا قدمته إلى من

خدمات جليلة، وبعدما عرفت أنك ابن أوزير العظيم.. أهديك الآن سـفينتى البيغاسوس لتذهب بها أين تشاء.. وسأترك معك أيولاس أحد أهم مسـاعدينى، إنه ابن تلك البلاد ويعرفهـا جيدًا.. أما أنا فسوف أتخذ أحد قوارب الصيادين تلك عائدا بهذا المسخ مرة أخرى إلى جزيرة كريت.. لكل منا وجهة مختلفة.

– لا أصدق.. سوف تتركنى قرب النهاية يا بوسايدون.

– إنهـا نهاية رحلتى يا حورس.. ولكنها بدايتك أنت، فاتخذ سبيل أبيك ولتعلم أنك سوف تغدو يومًا ما بطلًا مثله.

ثـم بزغ فجر جديد على الوجـود، ونهض حورس من نومه وسط البرد ليتذكر ما حدث بالأمس وكأنه حلم مزعج.. لا يذكر متـى قد وقع فى النـوم ولا يوجد دليل على مـا حدث بالأمس سـوى تلك الكدمات على جسـده.. أو ربما لأنـه لا يوجد أحد على تلك الجزيرة سـواه قط وتقبع أمامه تلك السفينة الراسخة مترفرفة الأعلام..

– سيدى هورس.. أرجو أن تكون بحال أفضل اليوم.. صباح مضىء.

ثم اتضـح أنه ليس وحيدًا تمامًا.. كان هـذا أيولاس الذى يقف بجواره، إيولاس شاب بشوش قصير القامة، شعره بنى داكن ناعم، ينطق اسمه (هورس) بسـبب لهجته الغربية إغريقية الأصل برغم إجادته للغة الجبتية، وهو فتى نشيط سريع الحركة.

– أيولاس.. أين باقى الطاقم؟؟

– لقد ذهب بوسـايدون وطاقم السـفينة إلى الضفة الجنوبية من الجزيـرة واتخذ بعـض مراكب الصيادين الذيـن يظعنون الجزيرة بحلـول الظلام.. وها أنا قد بقيت معك كى أرافقك إلى حيث تقصد، فمتى سنتحرك يا سيدى هورس؟

ثم مد حورس الجالس يده إلى أيولاس كى يساعده على النهوض وهو يعقب:

– سنتحرك من الآن.

تطرقت بعض أشـعة من الشـمس فى فضول عبر ستائر السحب تنظر إلى السـفينة الفارغة ولا تدرك ماذا حدث فى غيابها العتيم.. إنـه الإقلاع مرة أخرى، حيث يفتح حورس الشـراع الكبير فيطلق صوتا يشـبه صوت البرق الخفيض، وينقبـض القلب جراء الرجفة الأولى للقارب العظيم، ويدور صارى السـفينة حول نفسه مع الدفة التى يحركها أيولاس حتى انضبطت أعين هذا الحصان الخشبى فى مقدم السفينة مع الوجهة التى يقصدونها.

يتطلع حورس إلى الشمس فتختبئ منه مرة أخرى تحت السحب وكأنها تتوارى خجلًا، أو ربما كانت تداعبه.

نسيم دافئ وأريج طيب وشروق مبدع ليوم مجهول!!

لماذا لا تبدو الشـمس أبعد من تلك التى فى أرض مطلعها.. ولماذا عند الغروب لا تبدو أكبر وأقرب، عالم غريب حقاً، فماذا لو لم تهبط أم الحياة على الأرض قط لتشـاهد العالم الكبير متعجبة من كبره،

فتكتفى بمراقبته وتدفئته، إلى أى مدى تنتمى الشمس، وهل تزداد دفئًا كلما اقتربنا.. أم أنها نفس الشىء.. وربما هى كبيرة مثل هذا العالم.. أو ربما أكبر، ربما تلك الأرض مستديرة مثلها!!.. فهكذا تظهر استدارتها العظيمة فوق هذا الأزرق الفسيح، وربما هناك أراضٍ أخرى تشبهها فى هذا الكون العظيم.. مَن الخالق؟؟ من ذا الذى تركنا كى نتأمل ونستنبط وندرك وحدنا هذا الجمال، من كوّن الكون بهذه الدقة وهذا التباين!!

– سيدى هورس.. لقد اقتربنا من قرية نيميا، سنترك السفينة فى مأمن حيث تقطن قبيلتى هناك قرب الجزء الجنوبى من غابات كيثارون، ومن هناك سوف نجتاز سيرًا على الأقدام حتى مدينة آثينا الكبرى، تلك ليست متنائية عنها.. والآن علينا التقاط بعض الأسلحة من على السفينة لنأخذها معنا فى طريقنا.

– ولماذا سوف نحتاج إلى أسلحة؟؟

– هذه آثينا.. صدقنى سوف نحتاجها.

التقط حورس سيفا وقوسا ذا وتر وبضعة سهام، والتقط أيولاس هراوة خشبية ثقيلة وطويلة يبدو شكلها مضحكا مع قصره الواضح، مقبضها رفيع ومخروطية تزداد سمكاً إلى الأمام وفى آخرها مُكوّرة ضخمة يبرز منها مسامير معدنية غليظة وحادة وهى تشبه المطرقة الخشبية أو الشومة الكبيرة.

– ألم تجد سوى تلك الهراوة الثقيلة أيها الفتى القصير؟

– لا تقلق سـيدى.. إنها فقط تحتاج إلى تسديدة ماهرة.. وسوف تقتل أى شىء.

ثـم ظل حورس يتطلع الأرض وهى تقـترب محدقًا إليها كالذى يرتقب الوصول نحو عالم جديد، استقرت السفينة ودلف الرجلان بين الأشـجار الكثيفة يتطلع حورس يمينًا ويسارًا وإلى الأعلى وإلى الخلف.. أشـجار لا تختلف كثيرًا عـن تلك التى فى أرضه ولكنها هنا تنبت بكثرة ووفرة تجعل منظرها بديعا ورائعا، ثم ينظر بعيدًا حيث تتناثر الجبال ذات الصخور البيضاء السـاطعة.. تلك طبيعة ساحرة لم يزرها من قبل.

– أسرع يا سيدى هورس.. لقد اقتربنا كثيرًا من قريتى، سوف أعرفك على والدى، إنه يحب زيس كثيرًا، وسوف يسعد بوجودك.

وبينمـا الشـمس تميل نحو الغـروب خلف الجبـال، وصل الاثنـان إلى تلك القريـة بنيميا ليجدونها هادئـة تمامًا. خرابة خالية لا ناس فيها ولا حـراك برغم الأعمدة الرخامية الضخمة ذات الطـراز الإغريقى الرائـع، والتماثيل البيضـاء والبنايات الضخمة هرمية السطح.. فإن معظمها كان مهشم ومحطم لا حياة فيه ويبدو أن حرب أو معركة عنيفة قد نشـبت فى هذا المكان..

ثم أسـرع إيولاس بعد أن تغيرت ملامحه من الشـوق إلى الدهشة ثم إلى الفـزع، وتبعه حورس ليجد كل منهمـا الجثث المتناثرة فـى الطريق ورائحة العفن تخيم على المـكان.. لم ينطق أيولاس

بكلمة وســار يخطو متقدمًا نحو ما يتضح أنه بيته القديم.. بابه الخشبى محطم وينبثق من الداخل الظلام الموحش ولا ينم أبدًا عن حياة بالداخل.

وفجأة خرج من بين البيوت مســرعًا أســد ضخم له لبدة طويلة ومنفوشــة ثم قفز على أيولاس وهو يزأر فأطــاح به أرضًا ثم اعتلاه وفزع حورس الذى أخرج قوســه ســريعًا وشــد وتره ثم أطلق سهم على الأســد فخدش الســهم جلده ولم يخترقه.. أطلق الأسد زئيرًا مخيفًا، فرددت الجبال زئيره كهزيم الرعد، واندفع نحوه بوثبات هائلة كالصاعقة، وهرب حورس مســرعًا ولكن الأســد قد لحق به لحظيًا فانقض عليه ليســقطه وقد جرحه بمخلبــه فى ظهره.. أما حورس فقد اعتدل ليســقط ناظرًا إليه وهو يحاول قدر المســتطاع أن يبعد بقدمه وذراعيه وجه وأنياب هذا الفك المفترس الذى كان ثقيلا جدًا.. برغم قوة حورس ولكن يبدو أنها لن تصمد كثيرًا.

ثم ســقطت على رأســه هراوة أيولاس الثقيلة فنظر الأســد إلى أيــولاس مرة أخرى، الذى قد وقف متصلبًا ومرتعبًا، وظل الأســد يقترب منه بتأنى حتى قفز عليه فأسقطه وزأر فى وجهه بقوة، ثم نظر إلى حورس مرة أخرى الذى كان قد نهض وأمســك بيده هراوة أيولاس بعد أن ســقط ســيفه بعيدًا عنه أثناء الهجوم، وظل يرقبه هو ينتظر، ويرمقه الأسد بعينين تتوقدان من شدة الهياج على هذا الذى تجاسر ووقف أمامه متحديًا!!

وتقدم الأسد خطوتين بتأن وابتعد حورس ثلاثة وفى بغتة ركض حورس نحو الأســد واجتاح الأسد نحو حورس قافزًا وأمامه يحلق حــورس فى قفزة أعلى وهو يرفع الهراوة إلى الخلف بكلتا يديه ثم أهواها فى اللحظة المناسبة فسقطت كقصف الرعد على رأس الأسد.

سقط الوحش أرضًا، وقد دوخته الضربة الهائلة. فانقض حورس نحوه، وقبض عليــه بيديه الجبارتين وخنقه حتى تأكد من موته. وكانت الضربة جديرة بفعل ذلك.

* * *

لم تكــد تبتعــد كثيرًا الســفينة التــى قد خرجت مــن أراضى الجبت متجهة نحو الشــمال الغربى، حتى انهالت عليهم السهام والهجمات من تلك الســفينة التى ظهرت من وسط البحر من أقصى الغرب.. يقف فوق مقدمة الســفينة أنتايــوس العظيم، الذى أصبح الآن يغطى عينه اليســرى بجلدة ســوداء بعد أن تــرك له حورس علامــة أزالت نصف بصره وتركت له عوضــا عن ذلك تذكرة دائمة بلون الانتقام الأسود.

وعلى السفينة التى اضطرب سطحها جراء الهجوم المفاجئ اختبأت هاتور التى كانت فى طريقها إلى حورس.. والآن لا تدرى ماذا تفعل وهــى ترى القتلى يتناثــرون حولها فى كل مــكان، حتى اصطدمت ســفينة أنتايوس بالسفينة التى تعتليها هاتور فهشمت جزءًا كبيرًا منها ولم تُخدش سفينة أنتايوس، الذى اعتلى السفينة وتبعه رجاله

سـريعًا وهو يضرب بسـيفه كل من تجرأ على الاقتراب منه ويحمل رجاله البضائع والأحمال ويحولونها إلى السفينة الأخرى.

ثم نظر أنتايوس إلى هاتور التى كانت منزوية فى إحدى الزوايا تبدو عليها أمارات الرعب فظل يحدثها وهو يقترب إليها:

– ماذا بك أيها الرجل الضئيل؟ أتخشى أن تغرق السفينة وأنت على متنها؟ لا تقلق.. فى الغالب سوف أقتلك قبل أن يحدث ذلك.

(ثم أخرج سيفه وهو يردف)

إلا إذا أردت الانضمام إلى رجالى.. فلقد فقدت الكثير مؤخرًا على أى حال.. فماذا تختار؟؟

قال الأخيرة وهو يسحب الوشاح الكبير من فوق رأسها فانسدل شعرها الأسـود الناعم وظهرت هويتها.. مما أثار دهشة أنتايوس وأوقفه قليلاً قبل أن يكمل حديثه:

– يالـك مـن جارية جميلـة!!.. ألا تدركين أن جلب النسـاء الجميلات فى الإبحار يجلب سـوء الحظ.. انظرى ماذا فعلتى بتلك السفينة البالية.. ستكونين أجمل غنيمة يحظى بها أنتايوس.

ثـم حملهـا أنتايوس على كتفـه وهى تصرخ واتجـه بها نحو سفينته مكتفيًا بما أحرزه اليوم من رزق وهو يتمتم:

– إنه قانون الحياة.. يوم سـيىء ويوم جيد.. سـتعجبكِ طنجة كثيرًا يا فتاة.

* * *

وحين خيم الغسق واشتد البرد، كان حورس وأيولاس وقتها يجلسان حول النار وسط أنقاض المدينة، لا يكف أيولاس عن فيض الدمع حزينًا على بلدته وما جرى بها من خراب لا يدرك سببه بعد، لم ينم الليل ويفرغ غضبه فى سلخ جلد هذا الأسد وقشطه بطريقة أتقنها الإغريق المعروفون بمهارتهم فى دباغة الجلود، وأضاف العديد من المواد النباتية عليه لحفظه من التلف وتركه فى الشمس التى قد سطعت للتو، وعندما استفاق حورس نظر له أيولاس فى حزن وظل يستسرد له كى يفرغ بعضا من غضبه وحزنه المنقوش على جبهته.

وكم منا يعثر على من يحاكيه عندما يضيق به الأمر، وكم منا يتمنى ذلك الآن.

- عندما كنت طفلًا اشتد بطش قبائل الجيجانت فى تلك البلاد، وعندما ملك التايتانز الأرض كان لديهم اعتقاد خاطئ بأن النسل المتقزم منهم هو السبب فى الأمراض التى كانت تأتيهم.. وأن العلاج الوحيد لتلك الأمراض هو أكل الأطفال المتقزمين وهم أحياء، فأخفتنى منهم أمى مما أدى إلى قتلها بحثًا عنى وأخذنى أبى إلى سفينة بوسايدون الذى اهتم بأمرى حتى اشتد جسدى ثم أعادنى إلى نيميا لأقطن معه مرة أخرى، ومن حين إلى آخر كنت أترك والدى وأذهب فى بعض الرحلات مع بوسايدون مثل تلك الرحلة.. ولكن كان من الواجب ألا أترك والدى وهو رجل مريض، كان يجب

أن أبقى هنا ولا أغادر.. لقد كنت السـبب فـى موت أمى صغيرًا.. والآن أصبحـت سـببًا فى مـوت أبى، أنا طفل شـؤم سـيئ الحظ ولا يستحق الحياة.

– اسمـع يا أيولاس.. لا يوجد شـىء اسمه الحظ، ولا يوجد من هو سـيئ الحـظ إلا من ادعى ذلـك على نفسـه، ولا يوجد من هو لا يسـتحق الحياة إلا من اعتقد أنه كذلك.. تلك أفكار بالية تأتيك ولا أصل لها.. وما ينال المرء إلا ما يصدقه، ليس لك شأن فى حدوث أى من هذا، ولم تكن سـببًا قط، ولكن انظر إلى حياتى التى أنقذتها أنت اليوم.. لقد كنت سـببًا فى هذا وأنا مدين لك، والآن هيا لنعد عدتنـا ونكمل طريقنـا إلى أثينا، الرياح العاتيـة يمكنها أن تقلب السـفينة، ولكن البحار الماهر سيستغلها ليسرع من حركته. ألست بحارا ماهرا يا أيولاس؟؟

* * *

الطريق إلى أثينا

وبالطبع عاد الاثنان إلى البيغاسـوس الراسـخة فى البحر حيث استغرقت الرحلة حوالى يومين فى الطريق إلى تلك الأراضى، مرورًا بالخليج السـارونى المضطرب فى بحر إيجه وعلى يسارهم الطبيعة الساحرة، حيث أراضى كورنث التى يتضح عبرها خليج كورنث ذو المياه الصافية، وفوق السواحل القريبة على مر الطريق تتباين مظاهر

الطبيعة المختلفة من صخور خلابة وأشجار كبيرة أخّاذة للأبصار، ما أجمل النقاء الرائع، تلك الأراضى الخصبة الطاهرة، إنها عذرية الطبيعـــة التى يجب أن تســتمر دون اغتصــاب أو اختلاس، ولكن للإنســان دائمًا مطامع رخيصة وســوف يحصل عليها بأى ثمن قط، فمن يستطيع إيقاف الإنسان سيد الأرض.. وأى همجى سوف يدمر بيته الذى يقطنه.. أى همجى سواه؟

– لماذا سمى بوسايدون بملك البحار السبع؟

هكذا ســأل حورس أيولاس ليقطع هذا التفكير المزعج والصمت القاتل.. وعقب أيولاس:

– إن سألت بوسايدون نفسه إلى أى أرض تنتمى فهو لن يستطيع أن يجيبك.. ربما ولد بوسايدون أثناء وجود زيس فى بلاد الإغريق، وربما هو ليس من تلك البلاد، لا أحد يعلم.. لقد نشــأ ليجد نفســه على متن أحد السفن وترعرع بين البحار وطاف العالم، يقولون إنه قــد واجه العديد من الوحوش البحرية، يقــول البعض إنه قد ولد علــى جزيرة كريت.. ولكن لم تكن تدعى كذلك وقتها.. ربما كانت جزيــرة كريت والجــزر التى حولها متصلة منذ زمن بعيد تشــكل بلدة كبيرة وســط البحر، كانت تدعى جزيرة أطلانتس، ولكنها قد مرت بكوارث عدة، فبعد الطوفان العظيم بأعوام قد نشب الانفجار الأعظــم الذى ربما أثــار بركان جزيرة ثيرا العظيــم.. ومع انفجار الــبركان قد ذابت واختفت معظم آثار تلــك الحضارة العريقة التى

كانت لا تقل عظمة عن حضـــارة الجبت وقتها.. ولكن لم يبق منها سـوى بوسايدون العظيم.. وقريبًا لن يبقى من تلك الحضارة أى أثر سوى أساطير يصدقها البعض ويكذبها البعض الآخر.

وكان حورس يحتضن نفســه بذراعيه من شــدة الــبرد فى هذا الطقــس الذى يتقلب من شمس دافئة نهــارًا، إلى برد قارس ليلا.. وما لبث أن شــاهد أيولاس ذلك حتى تناول جلد الأســد الذى كان يفرده على متن الســفينة ليفقد رطوبته تحت أشــعة الشــمس، ثم تحسسه بيده ليتأكد أنه قد جف تمامًا، وذهب فألقى به على كتفى حورس القويتين وكأنه معطف، وربط أطرافه على صدره، أما لبدته فقد جعل منها خوذة له.. ثم أردف:

– هــذه اللبدة صُنعت لك يا هورس.. إنها تليق بك أكثر من هذا الأســد البغيض، ســوف تدفئك فى هذا البرد.. أما أنا فقد اعتدت على هذا الطقس.

تحسس حورس هذا الفراء الناعم الذى سرعان ما أزال البرد عنه وأسعده كثيرًا.. وبعد أن شكره عليه أشار أيولاس بعيدًا ثم أخبره

– انظر إلى تلك الأضواء والشعلات النائية.. مرحبًا بك فى أثينا. أثينا.. وتعنى الوردة المتفتحة.

رست الســفينة على شواطئ تلك المدينة رائعة الجمال، محاطة مــن ثلاثة جهات بقمم جبال عالية وتطــل من الجهة الرابعة على خليج ســارونيكوس الواصل إلى البحر الأبيض، تلك المدينة المكتظة

بالســكان، فبنايــات وأروقة نيميــا لم تكن تضاهى شــيئًا بجمال وبنايات تلك المدينة الضخمة الساحرة.. حضارة فى أهبة روعانها، ومعابــد وبنايات وتماثيل ضخمة ومســرح عملاق فــى البلاد التى ابتدعت الفنون والمسرح والتمثيل.

– أسرع يا هورس.. فلدى بعض الأقارب هنا يمكنهم استضافتنا.

ولم يكد ينهى أيولاس جملته حتى وقف ثابتًا ينظر أمامه حيث كان يقف رجل كبير وقصير مثله بل يشبهه كثيرًا فى كل شىء..

– أبى!! أنت على قيد الحياة.

– أيولاس.. ابنى الحبيب.

لم يفهــم الكلمات حورس لاختلاف اللغات ولكنه قد تفهم لغة الجســد.. قد تفهَّم هــذا اللقاء المرتقب بــين أب وابنه برغم أنه لم يجربــه قط، يحتضن الأب ابنه وكأنه يحــاول أن يخرق صدره به فيدخله بين أضلاعه.. تدمع عيناه وهو يتحسســه ويتشمم رائحته وكأنه مدمن يستنشق دواءه المخدر الذى انقطع عنه لسنوات.. ويخفق قلب حورس وكأن قلب الرجل قد قفز بداخله.. شعور لا إرادى من حــورس جعله يرفع يســاره فيقبض بها على كتفــه اليمنى وكأنه يتخيل نفسه فى هذا اللقاء يومًا.. كيف يبدو هذا الشعور.

أتدرى ما هو الأب يا حورس؟

الأب هو الحنان الخافت الذى يتبعك دون أن تدرك، هو الوحيد الذى يريدك أن تتعلم كيف تتصرف عندما تكون وحيدًا.. برغم أنه

لــن يتركك أبدًا وحيدًا ! ! .. هــو الذى يبكى عليك دون أن يراك كى لا يحمّلــك العناء.. لأنه يعرف جيدًا كيف يكون العناء. ربما تتألم الأم لك دائمًا، ولكن عندما يتألم الأب، فإن آلامه لا يضاهيها شىء، إنه الوحيد الذى يريد لك أن تكون أفضل منه، إنه الوحيد الذى إن فقدته فسوف تفقد دعامتك التى تتكئ عليها.

ربما يتركك أباك لتتحمل عنــاء عبور النهر وحيدًا.. ولكنه قد تحمــل عناء تحويل الوحل الدبق المقيت إلى هذا النهر الصافى الذى تعــبره، وأنت لن تعرف أبدًا أنه قد فعل ذلك من أجلك، حتى قبل أن تولد يا حورس.

ثم أشــار أيــولاس لأبيه إلى حورس الذى كان يقــف بعيدًا.. ثم اقــترب الاثنان من حورس الذى كان واقــف لا يتفهم تلك اللغة.. ولكنه قد سمع اسمه «هورس» يليه اسم أبيه أوزيريس الذى اشتهر بــه فى تلــك البلاد «زيــس».. اندهش الرجل مقتربًــا من حورس متحسسًــا تلك اللبدة التى يرتديها ثم خلعها من فوق رأســه وظل يتأمل ملامحه وذراعيه القويتين متمتمًا بكلمات يتوسطها «زيس»، وظل حورس واقفًا لا يجد أى رد فعل فلا حديث ولا حراك.

إلى أن صرخت سيدة سقطت بالقرب منهم فنظر الثلاثة حيث كان يقف عملاق عريض قبيح الوجه أبيض البشــرة يفقد معظم أســنانه وقد ســرق من تلك الســيدة بعض أوعية الغلة وسباطة موز كبيرة، له أذنان طويلتان ولحية خفيفة الشــعر الأحمر ويرتدى ثوبًا باليا واسعا ومرقعا وله حمّالة واحدة.

وما لبث أن استدار هذا الجلف وهمّ ذاهبًا حتى أخرج حورس قوسه وشد سهم أصاب كتف الرجل فأوقفه. أخرج العملاق السهم بسهولة من كتفه ثم استدار متسائلًا عمن يجرؤ على فعل ذلك.. وتقدم حورس خطوتين معلنًا أنه هو من فعل ذلك مما أثار سخرية العملاق من شجاعة هذا الضئيل، ثم باشر بضربه بكف يده القوية وكأنه يضرب حشرة خسيسة، ولكن ذراعى حورس قد صدت الضربة!!

وقف حورس صامدًا تحت كف العملاق متحاملًا بما أوتى من قوة ويضغط العملاق عليه محاولًا سحقه حتى رجع حورس خطوة للخلف أمسك فيها بخنصر العملاق فاستحكمه، ثم ترك كفه تهوى على الأرض وهو يرفع إصبعه لأعلى فكسره وتعالى على مسامعه صوت التهشم حتى صرخ العملاق من الألم بصوت غليظ ورفع يده وحاول ضربه بالأخرى فأفلت حورس الضربة وغرس فى كفه الأخرى سيفه وتألم العملاق للمرة الثانية وتساءل غاضبًا بصوت غليظ ولغة إغريقية لا يفهمها حورس:

– من أنت أيها الشاب الغريب؟

وعندها أجاب أيولاس الذى كان قد صعد فوق أحد تلك الأبنية ليقترب وجهه من وجه العملاق الذى كان منحنيًا فتظهر له جيدًا رائحة فمه الكريهة، ولكنه قد تحامل وهو يقول:

– إنه ابن زيس، لقد أحضرته مع بوسايدون من أرض الإله ليحمينا من بطشكم، ومن اليوم أى رجل من الجيجانت سوف

يهجم على هذه القرية سوف تنزل عليه لعنة زيس، وسوف يقاتله البطل هورس الذى قتل الأســد العظيم بضربــة واحدة.. اذهب إلى أقربائك وقل لهم ذلك الكلام الآن.. قل لهم ألا يقربوا تلك الأراضى وإلا سوف يقتلهم هورس الجبار.

وأومــأ العملاق برأســه ثم ذهب مســرعًا بينما قد احتشــد أهل القرية جميعهم حول الواقعة يشــاهدون هذا البطل الذى كان يشبه زيــس بالفعل.. وقــد هلل ســكان المدينة محتفلين بهــذه الواقعة الغريبة، وســرعان ما انتشرت قصة حورس فى أرجاء المدينة فكان بمثابــة الأمل الذى يجعلهم ينامون لــيــلًا مطمئنين، أصبح حورس بطلًا تروى عنه القصص والأســاطير للأطفــال وذاع صيته فى البلاد المجــاورة «البطل هــورس ابن زيس» ولأن كلمــة بطل لم يكن لها مرادف فــى تلك اللغة بعد، فكانوا يســمونه بحورس الشــهير، أو حورس المجيد.. وكلمة شهير فى اللغة الإغريقية تعنى حرفيًا (كليز) فكان حورس قد اشتهر حرفيًا بكلمة (هورس كليز).. التى ســرعان قد تم تلخيصها إلى (هوركليز).. هركليــز الجبار المتقزم ابن زيــس العظيم، الذى ولد فى مدينة طيبــة، أما مصطلح (بطل) فقد أصبح مستمدًا من اسمه هو (هيرو) وتعنى (بطل) وهى مستمدة من (هورس).. لأنه كان مثال للبطولة والقوة.

وذهب حورس فى رحلة طويلة لعقد هدنة مع العملاق أورانوس ملــك ملوك التيتــان والجيجانت الذين كانوا يقطنــون بعيدًا خلف

جبـــال أوليمبـــس النائية.. مصطلـــح التيتان هو لقـــب عائلة الملوك مـــن العمالقة الجبابرة، أما مصطلـــح الجيجانت فهو يطلق على كل مـــن تبقى من العمالقة، وكانوا غيلان غاضبـــين وأقوياء متجبرين، ولكن ملكهم أورانوس قد وافق على الهدنة خشـــية من غضب زيس العظيم الذى كان يتذكره جيدًا عندما كان صغيرًا.. فقد خشـــى قوته وعظمته الهائلة، ولكن هذا قد أثار امتعاض ابنه الأكبر (كرونوس) الذى كان يحتقر المتقزمـــين ويمقتهم كثيرًا، ولكن كان واجبا عليه إطاعة أبيه وملكه الأعظم أورانوس.

* * *

«جلـــد الفهد علىّ، وصولجانى فى يدى، وهراوتى فى يدى وأنا أقود من أعلى الذين أتوا الذين يقفون فى الجانب الشـــرقى للســـماء يعبر بى للجانب الشـــرقى من الأفق وخليلتى هى الشعرى اليمانية ونسلى هو ضوء الفجر»

ثم مـــرت الأعوام على هذا الحال، وازداد حورس شـــهرة أكثر حول البـــلاد. وقد تعلم لغتهم واســـتقر بينهـــم، يحبهم ويحبونه ويعتبرونـــه واحـــد منهم، بطلهم الذى أرســـلته لهم الســـماء على متن البيغاســـوس.. الحصان ذو الأجنحة الذى صنعه له بوسايدون ملك البحار.

أصبح يخشـــاه العمالقة أكثر، وتتوالى عليـــه الأعمال البطولية، فيطوف البلاد لنشـــر العدل، بينما يبحث عن طرف خيط يدله على

ما حدث لوالده، لا ينسى أبدًا والدته وبلدته وأصحابه القدامى، ولكنه قد عقد ميثاقا بعدم العودة إلا عندما يأتى بخبر موقن عن أوزيريس.. زيس العظيم.

* * *

«ارفعه وخذه فى أحضانك،

لأنه ابنك من صلبك للأبد»

الفصل الأخـيـر

عـهـد جـديـد

مرت بضعة عقود طويلة على هذه الحال.. ولم يكن الزمن بمثابة عائق لهذا الجيل، فقد قُدّر للإنسان فى هذا الوقت أن يعيش طويلًا، ولكن هذا لن يدوم كثيرًا.. وعندما ســاد الضلال، الظلم والخوف فى شــتى أرجاء العــالم.. كان يجب أن يولد رجــل جديد يحمل راية النبــوة والصلاح، ففى الفــترات العصيبة يولد الرجــال العظماء، لم يــأت رجل مثله من قبل، ومن نســله ســوف يولد أعظم الخلق. وســيكون هذا الرجــل هو آخر من قدر لــه أن يعيش طويلًا، رجل بميــلاده ســوف يكون عهد جديد، ســوف يلقب بأبــى الأنبياء.. وســوف يعيش قرابة المائتى عام، مبارك فى عمره ومبارك فى آله ومبارك فى عهده، فبحلول عهده سوف تنتهى القرون الأولى، ومن نسله ســيكون الهدى للبشر أجمعين. إنه صاحب الصحف الأولى.. ولــد فى مدينة أور على الضفــة الجنوبية لنهر الفرات، حيث كان الفساد والضلال يبلغ أشده، ولكننا لن نتحدث عنه الآن، ربما بعد قليل.. فتلك الحقبة بها الكثير من الأحداث المهمة التى يمكننا أن نتحدث عنها.

فلقد مات ملك الجيجانت التايتانى أورانوس، وســرعان ما تولى الأمــر بعده كبير ملوك التيتان الغــول القبيح كرونوس، الذى كان

يمقت البشـــر وفوقهم حـــورس، يمكننا القـــول الآن إن العهد بين حـــورس والعمالقة قـــد انتهى، وقد شـــكّل أورانـــوس تحالف مع الجيجانت وازدادوا بطشًـــا يســـعون فى الأرض حولهم ويفســـدون فيهـــا، يعدون العـــدة لحرب قوية مع حـــورس وأعوانه، وربما لن يكون حورس الشهير قادرا على مجابهتهم أبدًا.

وفـــى طنجة كان القرصان الأمازيغى الأعور (أنتايوس) قد تزوج بهاتـــور التى قد أحبها كثيرًا، بـــل كان يهواها وكأنها عينه التى لا يملك سواها، يحاول إسعادها بكل الطرق الممكنة، ولكنها كانت تمقته برغم الأعوام الطويلة التى قد عاشـــتها معه مجبرة، فى كل مرة يعتليها تتذكر حورس الذى لم تنســـاه يومـــا قط، برغم مرور عشرات الأعوام، فإن بعض الرجال لا يمكن للنساء محيهم أبدًا.

وفى يـــوم قد أحضر لها أنتايوس بعض الهدايا التى قد اغتنمها من أحد الســـفن القادمة من بـــلاد الإغريق، كانـــت الغنيمة مليئة بالأوانـــى الفخارية الجميلـــة ذات الطراز الإغريقـــى الأنيق، فقد ازدهرت التجارة والفنون فى بلاد الإغريق كثيرًا.. وقد برعوا أكثر فى صناعة الفخار المزخرف بالرســـومات التـــى كانت تتحدث عن بطولات حورس وشهرته.

وعلى آنية كبيرة رائعة تتميز باللونين الأسود والبرتقالى الغامق، قد أمسكتها هاتور لتلاحظ فوقها نقشا مبدعا واضحا لوجه حورس، وأخرى مرسومة بطريقة الموزاييك الرخامى.. لم يكن لديها شك أن

تلــك الرسمة هى رسمة حورس الذى ربما قد أطال شــعره قليلًا..
وبعفوية وسعادة قد لفظتها بصوت مسموع:

– حورس!!

التفت إليها أنتايوس بعد أن تعالت على مسامعه الكلمة فأيقظت برأسه ذكرى أليمة قد حدثت له منذ عشرات الأعوام:

* * *

من أنت أيها المعتوه؟

قالها أنتايوس يومها ســاخرًا للفتــى صاحب الذراع المجروحة الذى سرعان ما أسقط نفسه وهو يضربه بساقه فأهواه أرضًا ولا يذكر مــاذا حدث لــه عند انزلاقه حتــى فتح عينيه فوجد فــى يده تلك الخشــبة الحادة التى تخرق عينه اليســرى لتترك له ما يكفى من مسمع لإجابة لم ينساها أبدًا:

– اسمى حورس.

* * *

– ماذا قلتِ يا هاتور؟؟

وأجابت هاتور وهى لا تفهم سبب السؤال:

– إن هذا الفتى يدعى حورس، أنا أعرفه جيدًا، فكلانا من نفس البلدة من أرض الجبت.

واختطف أنتايوس منها الآنية يتأملها ويتساءل:

– أتقصدين هركليز؟

وضحكت هاتور:

– هركليــز!!.. لا.. أنا متأكدة.. هــذا الرجل القوى ذو الأنف الطويلة يدعى حورس.

ثم نظــر أنتايوس مرة أخــرى إلى الآنية وهو يتذكــر آخر صورة قــد رآها ببصره الكامل.. بالطبع.. كيــف لم يلحظ ذلك، إنه حورس الشهير.. ثم نادى إلى أحد رجاله الذى كان يقف بعيدًا وهو يأمره:

– فلتعد الأسطول ولتجمع السفن والرجال.. سوف نخوض حربًا قوية عما قريب.

* * *

أما فى الجبت فمازال (ســت) ملكًا على بلاد الجنوب، وما زال (كا) ملكًا فى أراضى الشــمال، وبرغــم أن كل منهم يمقت الآخر.. فإن كلاهما كان على مســمع بحــورس وبطولاته وكلاهما يتمنى أن ينال ذلك الشرف الأكبر فى القضاء عليه.

وكذلك ما زالت إيزيس تعيش فى تلك القرية التى تجاور مدينة بوتو وقد وهن بصرها كثيرًا مع الزمن.. تتمنى كل يوم أن يعود لها حورس مرة أخرى، ولكن حورس لن يخلف ميثاقه معها، فهو لم يعثر بعد على طــرف خيط مؤكد عن خبر والده، كما أنه لا يمكنه ترك بلاد الإغريق حتى لا يســتغل الظالمون تلك الفرصة فى اغتنام الأراضى فهو يعلم كم كانوا يخشونه.

كذلــك ما زال آلكيدر يقطن مع إيزيس فى تلك القرية، والتى قد سميت باســم حورس تخليدًا له وتصبيرًا لأمه.. فقد أصبح اسم تلك البلــدة (دى من حور) وتترجم من اللغــة الجبتية فيصبح مقصدها (هذه مــن بركة حــورس).. وقد اختصــر الاســم إلى (ديمنحور) أو (ديمنهور). ومازال اسمها كذلك حتى الآن، وهى تجاور مدينة بوتو والتى أصبحت بعد ذلك (مدينة دسوق).

أما ســرقت فما زال كثير الترحال من أرض لأخرى ولكنه دائمًا ما يعود مرة أخرى إلى ديمنهور للاطمئنان على إيزيس.

* * *

« – أقم نفسك أيها الملك.

– استلم رأسك، ضم إليك عظامك.

– اجمع أطرافك.

– انفض التراب عن لحمك.

– خذ رغيفك الذى لا يتعفن، وجعتك التى لا تنتن»

وفــى يوم ارتفــع فيه منســوب الفيضان الجبتى كثــيرًا، حتى تطرقت مياه الفيض إلى مناطق لم تكد تصل إليها من قبل، فتخللت بعض المياه القليلة إلى أحد الكهوف الصخرية فى الصحراء بالقرب من منطقة الأهرامات عند بر أوزير الذى قد مات فيه.

ودخــل غريب إلى الكهف فنظر إلى جســد عزير الــذى قد كان جثة هامدة حتى إن لامســت أرضه الماء فشــحمت عظامه باللحم،

وانتفش شعره، واستوى جلده، فأخذ شهيقًا رد له الروح بأعجوبة ثم اعتدل جالسا وكأنه قد استيقظ من نوم ضحل!!

فسأله هذا الغريب:

– أتدرى كم لبثت؟

وأجابه عزير متهاونًا:

– ربما لبثت يومًا أو أقل من ذلك.

وذلك لأنه كان نائم فى صدر النهار عند الظهيرة، واستيقظ فى آخر النهار والشمس لم تغب، وهو لا يدرك أنه قد شارك للتو فى واحدة من أغرب الظواهر الطبيعية التى مر بها التاريخ.

فقال له الغريب:

– بل لقد لبثت مائة عام يا عزير، ولكن انظر إلى طعامك وشرابك فإذا هما على حالهما لم يتغيرا، وكذلك التين والعنب غض لم يفسد.

وبالطبع أنكر عزير ذلك فى قلبه.. وكيف ينام المرء مائة عام؟!

أهذه آية له وإجابة لسؤاله عن الأرض وكيف يحييها الله!!

كان هذا الغريب تبدو ملامحه مضيئة غير معتادة وكأنه ملَكٌ قد جاءه من السماء ليطلعه على تلك المعجزة الغريبة التى قد حدثت له، وقال له هذا الملك الغريب: أنكرت ما قلت لك؟ فانظر إلى حمارك.

فنظر عزير فإذا حماره قد بليت عظامه وصارت نخرة، فنادى الملك عظام الحمار، فأجابت وأقبلت من كل ناحية، وعزير ينظر إليه، ثم تلبست العروق والعصب، ثم كساها اللحم، ثم أنبت

عليها الجلد والشـــعر، ثم نفخ فيه الملَك، فقام الحمار رافعا رأســـه وأذنيه إلى السماء، ناهقا يظن القيامة قد قامت.

– انظر إلى عظام حمارك كيف نركب بعضها بعضًا فى أوصالها، حتـــى إذا صـــارت عظاما مصورًا بلا لحم، ثم بعد أن ننشـــزها انظر كيف نكسوها لحما.

وعندمـــا تأكد عزير مما رأى بأم عينه فقال: أعلم أن الله على كل شىء قدير.

وســـرعان ما خرج الملك الغريـــب إلى الزوال بينمـــا عزير يأخذ حماره خارجًا إلى المدينة المحتشدة، فأنكر الناس، وأنكر منازلهم ولم يتعـــرف إلى أحد ولم يتحدث مع أحـــد، وانطلق على وهم منه هائما لا يعلم إلى أين يذهب، ولكن حماره كان يسحبه فصار يتبعه وقد أصبح على يقين أن خالقه لن يتركه بعد اليوم، ينظر إليه الناس بتعجب شديد فكيف لجبار مثله أن يكون بهذه السن الصغير، وقد قل عددهم كثيرًا فى تلك الأيام!!

«وستدمر الريح التى فى السماء
لو أن الدفء الذى فى فنك يدكر
وستخلو السماء من نجومها
ثم إن الدفء الذى فى فمك يتوقف
ثم يولد فى جسدك حياة
فلتعش أكثر من النجوم فى أوان حياتها"

حتى قابله صدفة فى طريقــه (آلكيدر).. الرجل الذى يبدو أنه قد تعرف إليه جيدًا:

– يا إلهى.. هل هذا معقول!!؟ ما اسمك أيها الرجل الجبار؟

– اسمى أوزيريس.. من أنت؟؟

– يــا الله!!.. أين كنت طوال هذه المــدة، حقًا.. لقد كانت تعلم إيزيس أنك سوف تعود، ولكن هل يمكن أن يحدث شىء كذلك!!

– هل أنت تعرف مكان إيزيس؟؟! هل هى على قيد الحياة..؟؟

– بالطبــع أعرف مكانهــا جيدًا.. وأنا من نال شــرف الاعتناء بابنك حورس حتى أصبح بطلًا للعالمين.

– ابنى حورس!!

* * *

«انهض لترى هذا، انهض لتسمع هذا الذى فعله ابنك لك»

* * *

كذلك كان الحلم الــذى يحلم به طوال المائة عام.. يقول البعض إن الوقــت فــى الحلم يكون أطــول، ولكن ماذا إن اســتغرق الحلم مائة عــام.. وكذلــك عزير كان يشــعر بأنه الآن يــدرك كثيرًا عن الكون.. أفكاره غدقة تدرك أشــياء غزيرة بدقة مبالغة. وكان يعلم أنه قد عاد بكل هذا الإدراك ليفعل شــيئًا عظيمًا لا يقدر أحد على فعله سواه فى هذا الزمن.

ولكنه لم يكن يعلم بعد ما هى تلك المهمة الجليلة.

وفى ديمنهور.. وصل أوزير الشاب مع آلكيدر حتى أتى منزلها، فـإذا بإيزيس عجـوز ضعيفة البصر مقعدة قد أتـى عليها أكثر من مائة وعشرين سنة، وقد خرج عنها عزير وهى شابة صغيرة، فلما أصابها الزمانة فقال لها عزير وعيناه تتوهجتان من الدمع:

– يا هذه.. أأنت زوجة أوزير؟

قالت: نعم أنا..

وكانـت لا تراه جيـدًا فبكت وقالت: ما رأيـت أحدا منذ عقود يذكر أوزير وقد نسيه الناس.

قـال: فإنى أنـا أوزير يا إيزيـس، كان الله أماتنى مائة سـنة ثم بعثنى.

قالت: سبحانه! فإن عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة، فلم نسمع له بذكر.

قال: فإنى أنا أوزير يا زوجتى الحبيبة.

ومسـح بيده علـى عينيها فصحتـا وأخذ بيدها وقـال: قومى بإذن الله.

فأطلق الله رجليها، فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال!!

ظلـت متصلبـة للحظات لا تـدرك حقيقة ما يحـدث.. وكيف ذلك؟!.. ربما قد فقدت أمل قد رافقها لأعوام، ربما لم تعد تتخيل للحظـة أن هذا كان يمكنه أن يحدث.. ربما يحتاج العقل إلى دقائق طويلـة من الصمت لاسـتيعاب هذا الأمر الـذى لا يصدقه، وما إن

عادت إلى رشـــدها إيزيس حتى احتضنت العجوز هذا الشاب عزير وهـــى تبكـــى، لم يكن بـــكاءً صامت بـــل كان بكاءً صاخبـــا متنهدا كالأطفال، وقد طال الحضن المرتقب وطال البكاء الهائم وســـرعان ما تجمع حولهم أهل القرية بلا تصديق.. كان ســـرقت واقفا يبكى كما أدمع آلكيدر، وســـرعان ما انتشـــر الخبر بين أرجاء البلاد، فسمع به (كا)، وسمع به (ســـت) الذى قد تضاحك ساخرًا بالطبع، ولكن (نفتيـــس) التى كانت بجواره قد تغيرت ملامحها ســـريعًا وتوغل الشك إلى قلبها!!.. هل يعقل أن يعود مثلما اعتقدت إيزيس!!.

وأيضًا سمع بهذا الخبر بوسايدون الذى سرعان ما فك قيد شراعه دون أن يتأكد من حقيقته واتجهت ســـفينته نحو حورس الشـــهير ليخبره بتلك البشـــرى التى ربما لن يصدقها أبدًا.. ولكنه قد أعطاه تذكرة مجانية للعودة إلى أراضيه من جديد.

* * *

وفى مدينة أور ببلاد الرافدين.. عندما ساد الظلم والتكهن، تعددت معها الأصنام والعبادات، وهكذا بـــدأ ظهور الكهانة والخرافات، وتزايـــد عدد الأصنـــام المعبودة مثـــل إنليل وعشـــتار وإنانا وشمس وأوتـــو، وكل صنم منهم يمثل جرم من الكواكب الســـيارة المتحيرة مثـــل القمر وعطارد والزهرة والشـــمس والمريخ، فهم كانوا يعرفون ويدرســـون تلك الكواكب جيدًا، علاوة علـــى أنهم هم من وضع لها تلك الأسماء التى ما زالت تســـتخدم حتى الآن، وكان أشدهن إضاءة

وأشــرفهن عندهم الشــمس، ثم يليها القمر، ثم بعــد ذلك كوكبة الزهرة اللامعة.

كانــوا يعبدون تلك الأصنام الأرضية التى تمثل لهم تلك الملائكة السماوية لتشفع لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوســلون إليه بعبادة ملائكته ليشــفعوا لهم عنــده فى الرزق والنصر ويخلصهم من الفقر والظلم الســائد وبطش من بقى من الجبابرة وإمدادهم بما يحتاجون إليه، وكان لكل كاهن معبــود تقدم لــه القرابين والخمــور ليتعهد لهــم التلبية، وهكذا يتحايل الكاهن عليهم ويحظى وحده بتلك الغنيمة الفاحشة.

كان هذا الأمر دارجا فى شــتى بلاد العالم فى ذلك الحين، ولكن (أور) كانت الأكثر شــهرة بتلك الخرافات والخزعبلات. وعلى ذلك فهى التى صدرت علم الفلك ودراســة تلك الكواكب إلى ســائر بلدان العالم، ويشهد التاريخ منذ نعومة أظافره وحتى الكبر أن بلاد ما بين النهرين دائمًا ما يكون لها السبق فى تصدير تلك العلوم العظيمة.

وكان أحد أمهر الكهنة وصانعى الأصنام فى تلك البلاد هو رجل يدعى (تارخ) ، وكان له ابن اسمه (إبرام).

وعندما كان إبرام صبيًا صغيرًا يعلمه والده أصول العبادة والتقرب إلى تلك الأصنام والأجرام.. كان الصبى ذكيا بما يكفى ليتفهم جيدًا أن تلك الأشياء لا حول لها ولا قوة وأنه يستحيل أن تخلق مثل هذا الكون الشاسع.

وفى ليلة داكنة صعد الصبى إبرام على أحد المرتفعات الباسقة ناظرًا أعلاه إلى السماء يتساءل عن ماهية الإله ووجوده، باحثًا عن ربه فى هذا الكون الفسيح.. فلما رأى كوكبة الزهرة وكانت لامعة ساطعة فى سمائه فقال هذا ربى، ولكن سرعان ما مرت بضعة أيام قليلة حتى خرج إلى الليل ينظر السماء فلم يجد لتلك الكوكبة الساطعة أثر، وكيف يتركه ربه هكذا دون رقيب.. وسرعان ما تيقن أن تلك الكوكبة ليست بإله، وإنما هى مسخرة مقدرة بسير معين لا تزيغ عنه يمينا ولا يسارًا ولا تملك لنفسها تصرفا بل هى جرم من الأجرام خلقها خالق أعظم ليجعلها منيرة هكذا لما له فى ذلك من الحكم العظيمة، وهى تطلع من المشرق حتى تغيب عن الأبصار، ومثل هذا لا يصلح لأن يكون إله قط.

ثم نظر إبرام إلى القمر الذى كان بدرًا فى تلك الليلة وقال ربما هذا ربى، ولكن سرعان ما جاء النهار وذهب القمر فتبين فيه مثل ما تبين فى هذا النجم.. وإن لم يكن هناك ما هو جدير بعبادته فسوف لا يعبد شيئا ويكون من الضالين الكافرين.

وعندما سطعت شمس النهار ذات النور العظيم فقال «هذا المنير الطالع ربى.. وإنه الأكبر بينهم» وإن ذهبت شمس تلك الليلة وتركته فهى بذلك تنكر وتقصى صفة الألوهية عنها وعن هذه الأجرام الثلاثة التى هى أنور ما تقع عليه الأبصار وقد تحقق من ذلك إبرام بالدليل القاطع.

فســرعان ما تيقن الصبى فى تلك الليلة أن هذه الأشــياء ليســت بآلهة كما يعتقد قومه.

ولكن مــن هو صانع تلــك الأجــرام العظيمــة؟؟.. بالتأكيد هناك خالــق وفاطر للأرض وللســماوات، تبرأ إبرام من تلك الأشــياء التى يعبدها قومه، وقرر أن يوجه وجهه للخالق الأوحد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومســخرها الذى بيده ملكوت كل شــىء، وقد تجرأ وأعلن لهم أنه برىء مما يشركون، وأنه لن يعبد تلك الأشياء التى يقدسونها، وأثــار ما قاله إبرام حفيظة أبيــه، وامتعض غضبًا منه وحذره إن قال مثل هذا الهراء مرة أخرى فســوف يقذف به فى سعير اللهيب حيًا، إلا إنه لم يهتم وقد ظل يتعبد وحده إلى ربه الذى فى السماء.

* * *

وفى أراضى مغرب الشــمس قد وصل بوســايدون لتوه إلى مدينة أثينا حيث كان يبحث عن حورس ولم يجده.. وظل ينقب عنه حتى وصل إلى مدينة نحو الشــمال الشرقى من أثينا تدعى (إلفسينا).. أو بعض الرجال يسمونها «مدينة الموتى»!

حتــى إذا دخلها فســمع فيها صوتا صاخبا يشــبه نباح الكلاب الغاضبة ينبعث من خلف مرتفع بعيد.

ثم نظر جواره فوجد رجلا عجوزا يقف ثابتًا ويبدو عليه الذعر وهو ينظر إلى هذا المرتفع حيث مصدر الصراخ المروع.. فذهب وسأله:

– يا هذا.. أنا أبحث عن هوركليز.. فهل ترشــدنى إلى مكانه إن كنت تعلم؟

ثم أشار هذا الكهل إلى تلك التلة ويده المجعدة ترتجف بوضوح وهو يجيبه:

- اتبع هذا الصخب.

صعد بوسايدون هذا المرتفع حتى وجد من دونه واديا خفيضا وبداخله يتصارع حورس مع كلب ضخم، أسود اللون وله ثلاثة رؤوس متماثلة غاضبة وذيله طويل معقوف وأنيابه حادة ينساب منها اللعاب الدبق الأصفر الكثيف

يكتف حورس أحد رؤوسه الثلاثة بحبل ويعقفه من حول جذع شجرة بالية بلا أوراق، ويحاول الكلب أن يهجم نحو حورس إلا إنه كان يشده بذراعه التى ما زالت قديرة مستحكمة فيعيقه من هذا الحبل ويبقيه مكانه تلتصق أحد رؤوسه بجذع الشجرة ولا يمكنه الانفلات.. ثم نادى بوسايدون على حورس:

- حورس.. عندما تنتهى هناك شيء مهم أريد أن أخبرك به.

ونظر له حورس وهو متوجس بينما كاد الحبل أن ينقطع:

- بوسايدون أعطنى سلاحا بسرعة لأقتله.

- إنه مجرد كلب له ثلاثة رؤوس.. لقد فعلت الأصعب من ذلك، يمكنك فعلها وحدك دون مساعدة، إنك حورس الشهير أتعلم!

قالها حين انقطع الحبل فجأة وسقط حورس أرضًا وانقض عليه الكلب بأنيابه ومخالبه، فأمسك حورس بيساره رقبة الكلب

الوسطى ولكمه بيمينه على رأســه اليسرى فأداخها ثم دفعه قليلًا واعتدل ثم حمله منها فأطاح بجســده ليرتطم بجذع الشــجرة بقوة بالغة وســقط خائرا، فذهب إليه حورس ولكمه ثلاث لكمات قوية واحدة لكل رأس وزادهم واحدة للرأس الوسطى ثم تركه فاتجه نحو بوســايدون الذى قد ظهر عليه الزمانة مؤخرًا على عكس حورس..

قال بوسايدون:

– لم يكن يحتاج منك إلى كل هذا العناء يا حورس.

وأجاب حورس بعد أن صافحه:

– تلــك الطفــرة الوراثية اللعينة قد صدرت لنــا العديد من تلك المسوخ القبيحة، أنا أبحث عن هذا الكلب الشرس منذ شهور عدة، يســمونه السكان سيربيروس، إنه لا يخرج إلا فى ظلام الليل، لقد قتل العديد منهم، يلقبونه بحارس الموتى.

– اسمــع يا حورس.. لقــد جئتك اليوم لكى آخذك معى إلى بلاد الجبت من جديد.

أجاب حورس بينما كان يسير الاثنان سويًا نحو أثينا:

– حسنًا.. سآتى معك.

– هكذا إذًا.. بتلك السهولة!، لطالما فكرت فى طريقة كى أقنعك بها وكنت أعلم أنك لن توافق كعادتك.

وأجاب حورس موضحًا:

– لم يعــد لدىَّ أســباب قوية الآن للمكوث فــى تلك البلاد، فى البداية كان أورانوس يخشــانى فلا يجرؤ التعدى على تلك البلاد،

وقد كان ينتظر فرصة ارتحالى للهيمنة على تلك الأراضى.. أما الآن وأنا أعلــم أن كرونوس يمقتنى ويريد قتلــى، فربما من الأفضل أن أذهب بعيــدًا حتى لا أجلب الحرب إلى تلك الأرض التى قد مكثت فيها لعشــرات الأعوام، وأنا أعلم أن استقرارى سوف يشكل عليهم تهديــدا خطيرا.. لقد سمعت أخبار تقول بأن كرونوس يقوم بجمع ما بقــى من العمالقة والغيلان لتجهيز حــرب كبرى ضد المتقزمين لإبادتهم من الأرض.

– إنه عهد ملىء بالشائعات يا حورس وقليل ما يحق القول.. كم اشتقت إلى اعتلاء البيغاسوس يا صديقى، فلنذهب لنحضر أيولاس ثم نبحر بها سويًا إلى أراضى الجبت من جديد.. لقد تناثرت هناك بعض الأقاويل التى تخبر بظهور أوزيريس مرة أخرى، يقولون إنه قد عاد من موت دام قرابة المائة عام.

– معك حق يا بوسايدون.. إنه عهد ملىء بالشائعات.

***

وبالفعــل كان كرونوس يســيطر على جيش عظيــم خلف جبل الأوليمب من الجبابرة والغيلان، يجمع إليه من اســتطاع ممن تبقى منهم ويوعدهم بعهد جديد يملكون فيه الأرض ويعودون أقوياء كما كان أجدادهم..

كانــت كلمــة غول تقــال على مــن لم يتقزم من نســل العمالقة مثل كرونوس، وهم مسوخ قبحاء الوجه دائمًا.

وحوش البشر التى قد أثارت الفزع فى مختلف ثقافات هذا الوقت، ولم يكن لفظ (عملاق) مستخدم عنهم فى أى ثقافة فى هذا التوقيت، وإنما تباينت تسميتهم مع اختلاف اللغات، فينطقها اللسان العربى (جبّار)، وينطقها الجبتيون (جت)، وينطقها الإغريق (جيجانت)، وتقول النرويجية (جوتون)، وأقصى الغرب (جوجماجوج)، وتنطقها العبرية (ماجوج)، ونطق آخر لها (جوج)، وتقولها الفارسية (غول)، ولهم تسميات أخرى مثل (جيانت)، (أوجر).

وكلها متقاربة فى النطق تحمل نفس المعنى لمصطلح عملاق أو غول.

وما زالت معظم تلك اللغات تستخدمها فى النطق حتى الآن، أما كلمة (عملاق) العربية نفسها فهى كلمة مستمدة من اسم (عمليق) وهو أحد أحفاد نوح والذى كان يتميز بشىء من الطول والجسامة.

* * *

«أنا سيد الحقيقة ناصر الضعفاء، حارس الفقراء وأشيائهم بدوت الظلمة وأبعدت السحب»

أفريكا.. ونسبة إلى اليونانية تعنى الأراضى خالية البرودة.

وعلى سواحل تلك القارة المشمسة التى تقع حيث مطلع الشمس الساطعة، وتحت أشعتها اللافحة، قد وطأت للتو أقدام هوركليز ومن خلفه بوسايدون وأيولاس.. وهكذا وفى نفس الوقت قد تركت

سواحل تلك القارة سفن أنتايوس من طنجة مغادرة شمالًا إلى يوروبا بحثًا عن انتقام انتظر لسنوات، وهكذا يؤجل القدر تلك الحرب العرمرم لبضعة أيام.

وقد احتجز أنتايوس محبوبته هاتور فى كهفه المظلم، الذى كانت تضيئه خافتًا بعض المسارج ذات الفتيل التى تعمل بالزيت فيظهر من وهجها تلك الجماجم المرعبة العديدة التى قد جمعها أنتايوس من ضحاياه كهواية لديه منذ شبابه، وينقص مجموعته تلك الواحدة الوعرة الخاصة بحورس الشهير.. لم يجعل أحدا يعلم بمكانها سوى بضعة حراس قابعين خارج الكهف لخدمة هاتور وحمايتها كى يضمن أنتايوس لقاءها مرة أخرى بعد رجوعه.

* * *

كانت إيزيس تعمل بالحقل حيث تجمع بعض الثمار لزوجها العائد من الموت، وبينما تقترب يدها من تلك التفاحة الطازجة لاقتطافها، لمع سهم جوارها كالبرق انتشل التفاحة سريعًا ورسخ بها فى جذع نخلة راسخة.

وفور أن التفتت إيزيس خلفها لترى من ذا الذى تجاسر وأطلق هذا السهم.. رأته بأم عينها.

- مازلتِ شابة كما أنتِ.. هل افتقدتنى يا أمى؟؟

ولم تمض برهة حتى سقطت إيزيس خائرة من وقع المفاجأة.

اتجه حورس نحوها مسرعًا ليطمئن عليها، وشاهد هذا من بعيد

(أوزيــر).. الذى – وبقلبه – قد تعــرف على حورس الذى يحدقه لأول مرة.. وكيف لا يعرفه وبينهم ذلك الشــبه الصريح، ثم أزف أوزير نحوهم مســرعًا ليطمئن على زوجته الحبيبة حتى شــعر به حورس فرمقه ثم امتشق سيفه ووجهه نحوه ليوقفه خشية أن يمس أمه بسوء ثم صاح فيه:

– قف مكانك أيها الجبار.. وإن تقترب خطوة أخرى فسيشهدك العذاب الأليم.

– لا تقلق يا بنى.. اتركنى أريد فقط أن أطمئن عليها.

– أمرتك أن تقف مكانك وألا تقربها أيها الرجل.

– شــجاع مثل أبيك يا حورس.. أنا والــدك الذى عاد من الموت يا بنى.

وكاد أن يقترب حتى أوقفه حورس مرة أخرى:

– عشــت قرابة المائة عام ولم أعرف لى والــد قط، والآن تأتينى أنت وتدعى أنك والدى الذى قد عاد من موت دام لعشرات السنين.. وكيف لى أن أصدق مثل هذا الكلام الذى تدعيه؟؟

وجلس أوزير علــى ركبتيه ثم تدلى، فأمال وجهه نحو حورس وبسط إليه ذراعه حتى الأرض وتحدث بصوت خفيض.

– لا تستمع إلى كلامى يا بنى.. فقط استمع إلى قلبك، أنا لا أنوى ســوء.. انظــر إلى تلك الملامــح التى أنت منهــا، وكأنك يا صغيرى نسخة مصغرة منى.

ثـــم نظر حورس إلى إيزيس مرة أخرى غير مبالٍ بأوزير الذى قـــد اقترب فجلـــس بجوارهم ليطمئن عليها إذ هـــى تفتح عيناها فتجد أمامها زوجها وابنهـــا يراقبونها فى قلق فتضحك وتفيض عيناهـــا، فيعينهـــا أوزير علـــى الجلوس ويتكئ حـــورس عليها ويحتويها بين ذراعيه القويتين ويقبلها بشـــوق وكذلك يحتضنها أوزير أما هى فقد فقدت من رأســـها الكلمات، ساكنة تمامًا إلا من ضربات قلبها المتسارعة.. لحظات قليلة نسى فيها حورس وجود بوســـايدون وإيولاس بالجوار، وكذلك آلكيـــدر الذى قد كان أول من قابل حورس بالترحيب الشـــديد وهو الذى قد دله على مكان إيزيس.. خفقت قلوب الحاضريـــن لتلك اللحظة، ثم ظل حورس يراقـــب أوزيريس بعينه متأملًا.. تلـــك الملامح التى قد كان يحلم بها بـــين كل حين، تلك النـــبرة الرنانة، الأنـــف الطويلة وتلك الأعين الحادة.

فتحت إيزيس عينيها بعـــد حلم تحقق فأبصرتهم وظل حورس يتأمله صامتًا دون كلام حتى قاطع بوســـايدون وهو ينحنى احترامًا أمام أوزير:

– ســـيدى العظيم زيس.. أقدم أخلص تحياتى، أنا لا أعلم كيف يعود الرجل من الموت مرة أخرى، ولكن ربما هذا لأن بلاد الإغريق تحتاجك الآن بشدة فى تلك الأوقات العصيبة.

وأردف أيولاس:

– يــا من عاش القرون الأولى مــن الجبارين والمتعملقين، ثم عاد ليعاصــر تلــك القرون التى يعيــش فيها من هم مثلنــا.. لقد أصبح الجيجانت والغيلان مفســدين فى الأرض، فهل يمكنك أن تســافر معنا كى تضع لهم حدًا.. أو أن تبنى بيننا وبينهم سدًا.

– وكيف أفعل ذلك وهم كثيرون وأنا واحد فقط.

– ألست زيس العظيم؟؟

قالها أيولاس محبطًا فأجابه أوزير وهو يأخذ من جواره ميزانًا ذا كفتين كان موضوعا بالأرض يستخدمه الجبتيون فى وزن الحبوب.. ثم أخذ بضعة صخور ووضع واحدة فى كفة ثم وضع الباقى فى الكفة الأخرى، فخسرت الكفة التى كان بها الصخرة الواحدة.. وتحدث أوزير موضحًا:

– كيف تستطيع تلك الصخرة وحدها أن تنتصر على تلك الصخور العديدة وإن كانت أكبر منها حجمًا.

ولم يعقــب أيولاس على حديثه، بل رمقه وكأنه قد فقد الأمل.. حتى تدخل فى الحديث آلكيدر:

– ولكنك لن تكون وحيدًا.

وبعد أن قالها آلكيدر ونظر إليه الجميع، قام بأخذ حفنة كبيرة من الرمال ووضعها على الكفة بجوار الصخرة الواحدة حتى رجحت تلك الصخرة وخسرت أمامها الكفة الأخرى.

لم يحتج آلكيدر لشرح ما فعله، لن يكون أوزير وحده بالفعل بل سيساعده جميع المغلوبين على أمرهم هناك.

نظــر أوزير إلى آلكيدر متعجبًا من حكمتـــه وبراعته فى إيصال الفكرة متسائلًا:

– ما هو اسمك أيها الأعرابى الحكيم؟

– اسمى آلكيدر سيدى.

– وماذا تعنى آلكيدر.

– إنها تعنى الزرع الأخضر الغضّ.

وســرعان ما ذهب الجميع فى بهجة للراحـــة والحكى وتناول الطعـــام، وبقى الميزان وحـــده فى مقر اللقاء، حتى ســقطت بتأنى ريشة من الطير على الكفة ذات الصخور العديدة فأثقلتها فرجحت الكفة مرة أخرى!!

وربما هناك ما لم يكن فى الحسبان.

* * *

مرت بضعة أيام قليلة من التأهب عاشت إيزيس فيها أسعد أيامهـــا، وظل حورس يرقب أوزير فيلاحـــظ فى أفعاله كم هو رجـــل حكيم وعالم ذكى.. رزين وقليـــل الكلام، ربما قد أحبه كثـــيرًا.. ولكنـــه لم ينطق كلمـــة (أبى) بعد.. ولم يكن لســـانه معتادا عليها.

لم يمـــض يوم لم يتســـاءل فيه حورس عن ســـرقت وعن هاتور، فيخـــبره آلكيـــدر بأن كليهما قـــد ذهب مرتحـــلاً ولا يعرف مكان أى منهم.

حتى إذا جـــاء يوم الرحيل فإذا بالجميـــع يتأهبون للإبحار إلى أرض المعركـــة.. وإذا برجل غريب يدخل عليهم فجأة يســـتبصرهم فى دهشة ثم صاح فى جذل:

- يا ويلى.. هل أنت حورس يا رجل!!؟

ونظـــر إليه حـــورس متأملًا فى وجهه المألـــوف الذى قد توارى خلف لحية وشارب طويلين.

- سرقت.. أهذا أنت؟!!

ثـــم كاد العناق الصارم أن يهشـــم صدرى المحاربين الأشـــداء.. والذى قد استمر لوقت طويل يليق بتلك المدة التى دامت دون لقاء.. تتوالى عبارات الشـــوق والاطمئنان من واحد لآخر.. حتى أمســـكه حورس من كتفيه ثم نظر إليه متسائلًا.. أين هاتور يا سرقت؟؟

وقد تنبأ حورس سريعًا بخبر غير سار ظهر على ملامح سرقت التى قد ارتبكت فجأة ثم أردف:

- اسمع يا حورس.. ســـوف أخبرك بمـــا علمته من الناس أثناء ترحالى ولست ببليغ عن صحة تلك الأقاويل.

- ماذا هناك يا سرقت؟؟

وابتعد سرقت قليلًا وهو يتحدث محاولًا تجنب النظر فى وجه حورس أثناء الحديث:

- لقد تركت هاتور البلاد بعد شـــهور قليلة من رحيلك وأخذت إحدى السفن المتجهة إلى أراضى الإغريق، وفى وسط البحر هجمت

عليهم قوات أنتايوس القرصان الأعور العظيم، وقد رأى هاتور على متن المركب فأعجبته كثيرًا فأسـرها جارية لديه وتزوجها وهى لم تنجب منه حتى الآن..

– أنتايوس!! وأين يعيش هذا الرجل.

و عقب بوسايدون:

– أنتايوس هو هذا القرصان الذى قد أغرقت سـفينته فى رحلة ذهابك الأولى يا حورس.. وهو يعيش فى طنجة غرب تلك القارة.

وسـرعان ما اسـتعاد حـورس ملامح تلـك المعركـة القديمة ثم أردف:

– لهذا السبب هو أعور إذًا.

و عقب سرقت:

– يبدو أن بينكم عـداوة قديمة يا حورس.. فلقد ترك أنتايوس أرضه وجمع رجاله وذهب إلى بلاد الإغريق لمقاتلة هوركليز.. أليس أنت هو هذا البطل الشهير يا حورس.

– لقد اختصر على الترحال إذًا..

وبعد أن أردف بها حورس قد ارتفعت نبرته وهو يكمل متنقلًا نظره بين الجميع:

– وجهتـى إلى بلاد الإغريـق إذًا لمقاتلة بعـض الحمقى.. فمن منكم معى.

وقبل أن يجيبه أحد ارتفع صوت قاطعهم من بعيد:

– إذًا ما سمعته من شائعات كان صحيحا.

التفت الجميع صوب الصوت حتى اتضحت ملامحها.. (نفتيس) التى لم يتعرف عليهـا أوزير للوهلة الأولى مثلما عرفته، ولكن قد فعل ذلك حورس وبوسـايدون الذين صوب كل منهم سيفه نحوها.. بينما قال بوسايدون:

– جننتِ أنتِ كى تحضرين إلى الهلاك بقدميك، فما عذرك اليوم الذى يجعلنى أبقيك حية؟

وأردف آلكيدر:

– لقد وفدت وحدها دون حرس أو سلاح.. أنا أراهن أن الملك ست لا يعلـم بأمر تلك الزيارة الطائشـة، فلنتركها تعرض ما لديها من حديث، فأرجو أن يكون حديثها كاف ليشفع لها من موت موثوق.

– ذكى كالعادة.. ولكنى قد جئت اليوم برسالة مهمة إلى أوزير، ولا يمكننى قولها أمام غرباء.

قالت هذا ونظرت إلى بوسـايدون وأيولاس، وكاد يذهب كلاهما حتى أشار حورس فاستوقفهما ثم نظر إلى نفتيس وأردف:

– ليـس بغربـاء بيننـا سـواكِ، فأبلغـى رسـالتك المهمة إن كنتِ تصدقين.

وأردف أوزير ليطمئنها:

– تحدثى يا نفتيس وأضمن لك الأمان.

– جئتك يا عظيم الشـأن كـى أوتى لك خبرًا ممـا فعله زوجى

ســت بالبلاد بعدك، لقد تحول إلى شــيطان جاحد متعطش للدماء، لقــد تحول قصره مقــبرة للموتى المعذّبــين، وأصبحت طيبة مقبرة للعائشــين، وهكذا كانت ســائر بلاد الجنوب.. تحمّل هذا الشعب الكثير من العناء، ويكمن الغضب بداخلهم الذى إن خرج ســيكون كافيًــا بتخليــق طوفــان عظيم يقضى بنحب ســت ومــن عاونه من الظالمين، ولكنهم فقــط يحتاجون إلى من يبعث فيهم روح الأمل من جديــد، وإن تأكدوا بالفعل من أنــك قد عدت إلى الحياة، هذا الأمر الذى سوف يعطيهم الدفعة الأولى الكافية، فالغضب فى قلوبهم مثل عــين تكدس فيها الماء الوفير، هو فقط يحتاج إلى من ينقب له حتى يفيض بالعطاء الوفير.

- وما المطلوب إذًا..

تساءل أوزير فأجابته نفتيس:

- أن تأتــى معى إلى بلاد الجنوب فإن رآك الشــعب اليوم، هذا سيكون كافيًا لهم بالتمرد والمطالبة بحقوقهم المسلوبة منذ مائة عام.

وبالطبع نظر كل منهم للآخر وفى قلبه يحمل ما يكفى من الشك والارتياب والتخمين، فمن المؤكد أن تكون هذه مجرد مؤامرة خبيثة لقتل أوزير.. ولكن هنا قد عقب سرقت مقاطعًا لحظات الصمت:

- اسمعوا.. لقد ذهبت إلى أراضى الجنوب كثيرًا فى الأيام الماضية، وحتى إن كان كلام نفتيس يحمل مؤامرة، فإن ما قالته عن الشعوب هو صحيح بلا شك، لم يعد أحد يحتمل بطشه وطغيانه، هم يحتاجون إلى أى أمل يتشبثون به حتى يفوح الغضب من أفواههم مزلزلًا كل شىء.

وهنا تدخل أيولاس:

- اعذرنـــى يا ســـيدى.. ولكن فى هذا الحين فـــإن بلاد الإغريق بحاجة أكثر إليك.. إن تلك الشـــعوب ســـوف تتعرض قريبًا لإبادة جنحاء، ولا مخلص لهم سواك.

وعجـــز أوزير عـــن الرد أو اتخاذ القرار، ولكـــن إيزيس التى لم تتحدث منذ بداية اللقاء.. ربما قد جاء دورها الآن:

- أنا سوف أذهب إلى الجنوب.. لقد أتممت كل ما تمنيته وأكثر، والآن جاء دورى لفعل تلك المهمة الجليلة، ســـوف أعيد الأمل لتلك الشعوب وأخبرهم كم هم أقوياء بالفكر والعدد عن ظلم ست وأعوانه وعقب أوزير

- ولكن قد يكون هذا خطر عليك، وإن حدث هذا فسوف تكونين الهدف الوحيد.

- ســـوف تســـاعدنى نفتيس من داخل القصـــر، ويمكنكم ترك آلكيدر أو سرقت معى لمساعدتى من خارجه، لقد حان دورى لأفعل شيئًا يخلدنى قبل أن أموت فلا تحجمونى هنا مكتوفة الأيدى.

وقال حورس:

- حســـنا يا أمى، فليكن معك سرقت وآلكيدر كلاهما، ولتكونى حذرة فالملك ست ذكى وخبيث.

أومأ سرقت برأسه وعقب آلكيدر:

- يكفيها ســـرقت فقط، إنه مقاتل ماهر وخبير بأمور الســـفر.. أمـــا أنا فســـوف أبقى على هذه الأرض فهنـــاك مهمة جليلة أخرى

يجـب أن تحدث هنا على ديمنهور.. لقد اقتربنا كثيرًا من النهاية وحان الوقت الحاسم للتنفيذ، اذهب أنت وعزير والوافدين معكما، حيث مشرق الشمس، وعندما تأتى فأعدك أنك سوف تجد كل شىء ممهد، لإبادة كل ظالم، ولنبدأ سويًا عهد جديد.

ربمـا تعجب حورس مما قاله آلكيـدر ولكنه كان يثق به ويعلم فطنتـه وذكاءه فـى التدبير، مما طمأنه ليودعهـم توديعًا حارًا ثم يذهب الأربعة إلى السـفينة حيث ينتظرهم باقى طاقم بوسايدون، وتراقبهم إيزيس بلا غفول وهى لا تتمنى شيئًا آخر من تلك الدنيا، فقد أتمت ما خلقت لأجلـه.. وماذا تتمنى الأم غير أن يصبح ابنها بطل يحتذى به العالمون.

* * *

وعلى غرار آخر قد انتشرت بين البلدان قصة أوزير الذى قد عاد مرة أخرى من الموت.. تتناقلها الثقافات وتتحاكى بها الأمم فيصدق البعض ويكذب الآخر.. كان قليلا جدًا من ليس على علم بتلك القصة فى هذا العالم الذى قد اعتمـد فى المقام الأول على الترحال وتناقل الأساطير وسردها.

وفى بلدة أور قد توافق موعد انتشار تلك القصة العجيبة لديهم مع موعد اكتشافهم لكوكبة جديدة فى السماء، وهى كوكبة المشترى..

وبالطبع كانت الصدفة كافية بأن تجعلهم ينسـبون الحدثين إلى بعضهما لبعـض ويتخذون أوزوريس إلهًا جديدًا لهم ينسـبون له

بكوكبة المشترى فى السماء ويبنى له تارخ أصناما جديدة ويسمونه (آزر).. اختصارًا لأوزيريس.

أما ابنه الشـــاب الصـــالح إبرام فكان يعلم حتـــى وإن كانت تلك القصة صحيحة فســيكون المسبب لفعل ذلك هو الله خالق هذا الكون ومدبر كل شيء... لم يشكك فى مقدرة الله ولكن ربما لم يكن يعتقد أن شـــيئًا مثل إحياء الموتى يمكنه أن يحدث، وذهب يطلب إلى ربه أن يريـــه كيف يحيى الموتى، ليس قلة إيمان أو تشـــكيك فى قدرة الخالق ولكن فقط ليطمئن قلبه..

فأوحى له ربـــه أن أخذ أربعة أنواع مـــن الطير وقام بذبحهن، ثم قطعهن ونتف ريشهن ومزقهن، ثم أضحى يصعد الجبال الأعالى ينثـــر حفنات من أجزاء الطير، ثم يقف على أحد الجبال فيدعوهن إليـــه كمـــا أوحى له، فجعـــل ينظر فى عجـــب إلى الريش يطير إلى الريـــش والدم إلى الدم واللحم إلى اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض حتى قام كل طائر على حدته وأتى يمشـــى ســـعيا ليكون أبلغ له فى الرؤية التى سألها.

وســـرعان ما ذهب إلى قومه يحكى لهم عما حدث معه وينهاهم عن عبادة تلك الكواكب والأصنام فيحاجونه ويجادلونه.. يســـألهم متعجبًا «أتحاجونى فى الله وقد هدانى» ثم ذهب إلى أبيه تارخ وهو يتعبد إلى آزر فنظر له إبرام متعجبًا مما يفعل:

- أتتخـــذ لآزر أصنامًا آلهة يا والدى وهو ليس له حول ولا قوة

وكلنا عباد للخالق الأعظم.. وكيف تعبدون ما تنحتون، إنك وقومك في ضلال مبين.

ولكن لم يهتد له قومه ولم يستمعون إليه، وقد أقسم إبرام بربه ليكيــدن هذه الأصنام التى يعبدونها، ثم ظل يفكر فى طريقة ذكية يثبت إليهم بها أن مثل تلك الأصنام لا حول لها ولا قوة.

* * *

«يا حراس افتحوا طريق سيدكم أوزير»

اليــوم فى ديمنهور قد تفرقت القلوب من جديد بعد أن جمعها القــدر مرة أخــرى مثلما جُمعت عظــام الطير الباليــة لتحيا مرة أخرى أمام إبرام، ولم يبق فى تلك البلدة سوى آلكيدر، أما سرقت وايزيــس فهم الآن ينطلقون من بعــد نفتيس عكس وجهة حورس وأبيه قاصدين أراضى الملك ســت.. إنها العودة إلى طيبة مرة أخرى مــرورًا بأبيدوس لإعادة الأمل إلى تلك الأراضى مرة أخرى بنشــر قصــة عودة أوزيريس وتوكيدها فــى قلوبهم، اليوم لا طاعة للظالم ولا خــوف من العــذاب، اليوم نأبى الاســتبداد والافــتراء، جار الزمن على الذين لا تشــبع أفواههم ولا تنتهى أكاذيبهم، ينهبون أموالهم ثم يعتابون فقرهم، يتغذون على التســلط ومهابة الشــعب حتى لا يدرك يوم مقدرتــه، فيقتلون ويعتقلون القليل منهم حتى يخشــى ويخضع العديدون، ولكن ما إن يظهر الأمل يومًا فيتشبث به الشعب صارخًا بالتحرير.

حتى إذا جـــاء يوم الرحيل فإذا بالجميـــع يتأهبون للإبحار إلى أرض المعركـــة.. وإذا برجل غريب يدخل عليهم فجأة يســـتبصرهم فى دهشة ثم صاح فى جذل:

– يا ويلى.. هل أنت حورس يا رجل!!؟

ونظـــر إليه حـــورس متأملًا فى وجهه المألـــوف الذى قد توارى خلف لحية وشارب طويلين.

– سرقت.. أهذا أنت؟!!

ثـــم كاد العناق الصارم أن يهشـــم صدرى المحاربين الأشـــداء.. والذى قد استمر لوقت طويل يليق بتلك المدة التى دامت دون لقاء.. تتوالى عبارات الشـــوق والاطمئنان من واحد لآخر.. حتى أمســـكه حورس من كتفيه ثم نظر إليه متسائلًا.. أين هاتور يا سرقت؟؟

وقد تنبأ حورس سريعًا بخبر غير سار ظهر على ملامح سرقت التى قد ارتبكت فجأة ثم أردف:

– اسمع يا حورس.. ســـوف أخبرك بمـــا علمته من الناس أثناء ترحالى ولست ببليغ عن صحة تلك الأقاويل.

– ماذا هناك يا سرقت؟؟

وابتعد سرقت قليلًا وهو يتحدث محاولًا تجنب النظر فى وجه حورس أثناء الحديث:

– لقد تركت هاتور البلاد بعد شـــهور قليلة من رحيلك وأخذت إحدى السفن المتجهة إلى أراضى الإغريق، وفى وسط البحر هجمت

عليهم قوات أنتايوس القرصان الأعور العظيم، وقد رأى هاتور على متن المركب فأعجبته كثيرًا فأســرها جارية لديه وتزوجها وهى لم تنجب منه حتى الآن..

– أنتايوس! ! وأين يعيش هذا الرجل.

و عقب بوسايدون:

– أنتايوس هو هذا القرصان الذى قد أغرقت ســفينته فى رحلة ذهابك الأولى يا حورس.. وهو يعيش فى طنجة غرب تلك القارة.

وســرعان ما اســتعاد حــورس ملامح تلــك المعركــة القديمة ثم أردف:

– لهذا السبب هو أعور إذًا.

و عقب سرقت:

– يبدو أن بينكم عــداوة قديمة يا حورس.. فلقد ترك أنتايوس أرضه وجمع رجاله وذهب إلى بلاد الإغريق لمقاتلة هوركليز.. أليس أنت هو هذا البطل الشهير يا حورس.

– لقد اختصر على الترحال إذًا..

وبعد أن أردف بها حورس قد ارتفعت نبرته وهو يكمل متنقلاً نظره بين الجميع:

– وجهتــى إلى بلاد الإغريــق إذًا لمقاتلة بعــض الحمقى.. فمن منكم معى.

وقبل أن يجيبه أحد ارتفع صوت قاطعهم من بعيد:

– إذًا ما سمعته من شائعات كان صحيحا.

التفت الجميع صوب الصوت حتى اتضحت ملامحها.. (نفتيس) التى لم يتعرف عليهـــا أوزير للوهلة الأولى مثلما عرفته، ولكن قد فعل ذلك حورس وبوســـايدون الذين صوب كل منهم سيفه نحوها.. بينما قال بوسايدون:

– جننتِ أنتِ كى تحضرين إلى الهلاك بقدميك، فما عذرك اليوم الذى يجعلنى أبقيك حية؟

وأردف آلكيدر:

– لقد وفدت وحدها دون حرس أو سلاح.. أنا أراهن أن الملك ست لا يعلـــم بأمر تلك الزيارة الطائشـــة، فلنتركها تعرض ما لديها من حديث، فأرجو أن يكون حديثها كاف ليشفع لها من موت موثوق.

– ذكى كالعادة.. ولكنى قد جئت اليوم برسالة مهمة إلى أوزير، ولا يمكننى قولها أمام غرباء.

قالت هذا ونظرت إلى بوســـايدون وأيولاس، وكاد يذهب كلاهما حتى أشار حورس فاستوقفهما ثم نظر إلى نفتيس وأردف:

– ليـــس بغربـــاء بيننـــا ســـواكِ، فأبلغـــى رســـالتك المهمة إن كنتِ تصدقين.

وأردف أوزير ليطمئنها:

– تحدثى يا نفتيس وأضمن لك الأمان.

– جئتك يا عظيم الشـــأن كـــى أوتى لك خبرًا ممـــا فعله زوجى

ســت بالبلاد بعدك، لقد تحول إلى شــيطان جاحد متعطش للدماء، لقــد تحول قصره مقــبرة للموتى المعذّبــين، وأصبحت طيبة مقبرة للعائشــين، وهكذا كانت ســائر بلاد الجنوب.. تحمّل هذا الشعب الكثير من العناء، ويكمن الغضب بداخلهم الذى إن خرج ســيكون كافيًــا بتخليــق طوفــان عظيم يقضى بنحب ســت ومــن عاونه من الظالمين، ولكنهم فقــط يحتاجون إلى من يبعث فيهم روح الأمل من جديــد، وإن تأكدوا بالفعل من أنــك قد عدت إلى الحياة، هذا الأمر الذى سوف يعطيهم الدفعة الأولى الكافية، فالغضب فى قلوبهم مثل عــين تكدس فيها الماء الوفير، هو فقط يحتاج إلى من ينقب له حتى يفيض بالعطاء الوفير.

– وما المطلوب إذًا..

تساءل أوزير فأجابته نفتيس:

– أن تأتــى معى إلى بلاد الجنوب فإن رآك الشــعب اليوم، هذا سيكون كافيًا لهم بالتمرد والمطالبة بحقوقهم المسلوبة منذ مائة عام.

وبالطبع نظر كل منهم للآخر وفى قلبه يحمل ما يكفى من الشك والارتياب والتخمين، فمن المؤكد أن تكون هذه مجرد مؤامرة خبيثة لقتل أوزير.. ولكن هنا قد عقب سرقت مقاطعًا لحظات الصمت:

– اسمعوا.. لقد ذهبت إلى أراضى الجنوب كثيرًا فى الأيام الماضية، وحتى إن كان كلام نفتيس يحمل مؤامرة، فإن ما قالته عن الشعوب هو صحيح بلا شك، لم يعد أحد يحتمل بطشه وطغيانه، هم يحتاجون إلى أى أمل يتشبثون به حتى يفوح الغضب من أفواههم مزلزلًا كل شىء.

وهنا تدخل أيولاس:

- اعذرنـــى يا ســـيدى.. ولكن فى هذا الحين فـــإن بلاد الإغريق بحاجة أكثر إليك.. إن تلك الشـــعوب ســـوف تتعرض قريبًا لإبادة جنحاء، ولا مخلص لهم سواك.

وعجـــز أوزير عـــن الرد أو اتخاذ القرار، ولكـــن إيزيس التى لم تتحدث منذ بداية اللقاء.. ربما قد جاء دورها الآن:

- أنا سوف أذهب إلى الجنوب.. لقد أتممت كل ما تمنيته وأكثر، والآن جاء دورى لفعل تلك المهمة الجليلة، ســـوف أعيد الأمل لتلك الشعوب وأخبرهم كم هم أقوياء بالفكر والعدد عن ظلم ست وأعوانه وعقب أوزير

- ولكن قد يكون هذا خطر عليك، وإن حدث هذا فسوف تكونين الهدف الوحيد.

- ســـوف تســـاعدنى نفتيس من داخل القصـــر، ويمكنكم ترك آلكيدر أو سرقت معى لمساعدتى من خارجه، لقد حان دورى لأفعل شيئًا يخلدنى قبل أن أموت فلا تحجمونى هنا مكتوفة الأيدى.

وقال حورس:

- حســـنا يا أمى، فليكن معك سرقت وآلكيدر كلاهما، ولتكونى حذرة فالملك ست ذكى وخبيث.

أومأ سرقت برأسه وعقب آلكيدر:

- يكفيها ســـرقت فقط، إنه مقاتل ماهر وخبير بأمور الســـفر.. أمـــا أنا فســـوف أبقى على هذه الأرض فهنـــاك مهمة جليلة أخرى

يجـــب أن تحدث هنا على ديمنهور.. لقد اقتربنا كثيرًا من النهاية وحان الوقت الحاسم للتنفيذ، اذهب أنت وعزير والوافدين معكما، حيث مشرق الشمس، وعندما تأتى فأعدك أنك سوف تجد كل شىء ممهد، لإبادة كل ظالم، ولنبدأ سويًا عهد جديد.

ربمـــا تعجب حورس مما قاله آلكيـــدر ولكنه كان يثق به ويعلم فطنتـــه وذكاءه فـــى التدبير، مما طمأنه ليودعهـــم توديعًا حارًا ثم يذهب الأربعة إلى الســـفينة حيث ينتظرهم باقى طاقم بوسايدون، وتراقبهم إيزيس بلا غفول وهى لا تتمنى شيئًا آخر من تلك الدنيا، فقد أتمت ما خلقت لأجلـــه.. وماذا تتمنى الأم غير أن يصبح ابنها بطل يحتذى به العالمون.

* * *

وعلى غرار آخر قد انتشرت بين البلدان قصة أوزير الذى قد عاد مرة أخرى من الموت.. تتناقلها الثقافات وتتحاكى بها الأمم فيصدق البعض ويكذب الآخر.. كان قليلا جدًا من ليس على علم بتلك القصة فى هذا العالم الذى قد اعتمـــد فى المقام الأول على الترحال وتناقل الأساطير وسردها.

وفى بلدة أور قد توافق موعد انتشار تلك القصة العجيبة لديهم مع موعد اكتشافهم لكوكبة جديدة فى السماء، وهى كوكبة المشترى..

وبالطبع كانت الصدفة كافية بأن تجعلهم ينســـبون الحدثين إلى بعضهما لبعـــض ويتخذون أوزوريس إلهًا جديدًا لهم ينســـبون له

بكوكبة المشترى فى السماء ويبنى له تارخ أصناما جديدة ويسمونه (آزر).. اختصارًا لأوزيريس.

أما ابنه الشـــاب الصـــالح إبرام فكان يعلم حتـــى وإن كانت تلك القصة صحيحة فســـيكون المسبب لفعل ذلك هو الله خالق هذا الكون ومدبر كل شىء... لم يشكك فى مقدرة الله ولكن ربما لم يكن يعتقد أن شـــيئًا مثل إحياء الموتى يمكنه أن يحدث، وذهب يطلب إلى ربه أن يريـــه كيف يحيى الموتى، ليس قلة إيمان أو تشـــكيك فى قدرة الخالق ولكن فقط ليطمئن قلبه..

فأوحى له ربـــه أن أخذ أربعة أنواع مـــن الطير وقام بذبحهن، ثم قطعهن ونتف ريشهن ومزقهن، ثم أضحى يصعد الجبال الأعالى ينثـــر حفنات من أجزاء الطير، ثم يقف على أحد الجبال فيدعوهن إليـــه كمـــا أوحى له، فجعـــل ينظر فى عجـــب إلى الريش يطير إلى الريـــش والدم إلى الدم واللحم إلى اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض حتى قام كل طائر على حدته وأتى يمشـــى ســـعيا ليكون أبلغ له فى الرؤية التى سألها.

وســـرعان ما ذهب إلى قومه يحكى لهم عما حدث معه وينهاهم عن عبادة تلك الكواكب والأصنام فيحاجونه ويجادلونه.. يســـألهم متعجبًا «أتحاجونى فى الله وقد هدانى» ثم ذهب إلى أبيه تارخ وهو يتعبد إلى آزر فنظر له إبرام متعجبًا مما يفعل:

- أتتخـــذ لآزر أصنامًا آلهة يا والدى وهو ليس له حول ولا قوة

وكلنا عباد للخالق الأعظم.. وكيف تعبدون ما تنحتون، إنك وقومك فى ضلال مبين.

ولكن لم يهتد له قومه ولم يستمعون إليه، وقد أقسم إبرام بربه ليكيــدن هذه الأصنام التى يعبدونها، ثم ظل يفكر فى طريقة ذكية يثبت إليهم بها أن مثل تلك الأصنام لا حول لها ولا قوة.

* * *

«يا حراس افتحوا طريق سيدكم أوزير»

اليــوم فى ديمنهور قد تفرقت القلوب من جديد بعد أن جمعها القــدر مرة أخــرى مثلما جُمعت عظــام الطير الباليــة لتحيا مرة أخرى أمام إبرام، ولم يبق فى تلك البلدة سوى آلكيدر، أما سرقت وايزيــس فهم الآن ينطلقون من بعــد نفتيس عكس وجهة حورس وأبيه قاصدين أراضى الملك ســت.. إنها العودة إلى طيبة مرة أخرى مــرورًا بأبيدوس لإعادة الأمل إلى تلك الأراضى مرة أخرى بنشــر قصــة عودة أوزيريس وتوكيدها فــى قلوبهم، اليوم لا طاعة للظالم ولا خــوف من العــذاب، اليوم نأبى الاســتبداد والافــتراء، جار الزمن على الذين لا تشــبع أفواههم ولا تنتهى أكاذيبهم، ينهبون أموالهم ثم يعتابون فقرهم، يتغذون على التســلط ومهابة الشــعب حتى لا يدرك يوم مقدرتــه، فيقتلون ويعتقلون القليل منهم حتى يخشــى ويخضع العديدون، ولكن ما إن يظهر الأمل يومًا فيتشبث به الشعب صارخًا بالتحرير.

أمـــا آلكيدر فقـــد مكث فى ديمنهور حتى يجمـــع أهلها حولهم فيصنع منهم جيشا قويا سوف يكون السيف الحاد الذى يشق طريق الظلام فينبثق إليه النور من جديد.

ومـــا إن وصل أوزيريس وحـــورس إلى أثينا حتى اجتمعت إليهم الشعوب من جديد كالغارق الذى يعثر على جزيرة النجاة، أما أوزير فربمـــا كان يعلم عن الكون العديد من الأســـرار فـــى رحلة الثبات الطويلة التى قد مر بها، ربما قد مكنه ربه من كل ذلك العلم حتى يتعلم جزءًا كبيرًا عن العالم ربما لن يعلمه بشر مثله عبر الزمان.

ربما الفواصل التى نضعها بين الزمان والمكان، بين هنا وهناك، بين الأمس واليوم والغد كلها ذاتية لا تعبر عن حقيقة ما يحدث.

سآخذك فى رحلة إلى الأعلى

سنبتعد قليلًا من على ســطح الأرض ولكن بسرعة فائقة تتزايد أضعافًا وسيكون المشهد كالآتى..

تنظر إلى الأرض فى البداية فتدركها أرض مســطحة مســتوية، وعندما نشرع فى الإقلاع تبدأ إدراكها شيئًا فشيئًا.. يستدير المسطح تدريجيًا وتكتشــف أن تلك الصورة مختلفة تمامًا عما سبق، حيث كلما ابتعدنا تكتشف أن هذا السطح المستقيم ليس إلا كرة مستديرة.

ثم نبتعد أكثر..

تضمحــل هــذه الكــرة أكثر حتى تصبح لا شــىء وســط العوالم الأخــرى.. ويأخذك تركيزك إلى عالم آخر.. تلك الشــمس الكبيرة

التى يصغر حجمها سـريعًا، وفجأة تنضـم إلى أقاربها من النجوم وتختفى بينهم وكأنهم مجموعة من الأطفال يلاحقون بعضهم بعضًا فيما يسـمى المجرة، ثم نبتعد كثيرًا حتى ندرك هذا الفراغ الضخم المستقيم الذى تتناثر على سطحه العناقيد المجرية العملاقة.

ونبتعد أكثر حتى يبدأ هذا الفراغ فى الاسـتدارة كما حدث مع الأرض منذ قليل.. فتتوقع أنه كروى مثلها ولكن سرعان ما تكتشف أنه مثل شـريط مكانى طويل كالثعبان يلتف حول نفسه فى حركة حلزونية وتقع على سطحه المجرات.

أنـت الآن تدرك العالم.. الآن يتوقـف الزمن لديك فليس الزمن إلا حركة منتظمة لتلك الأشياء المستمرة.

دائرة صغيرة تليها دائرة أكبر.. وكلما كبر حجم دائرة الشريط المكانى كلما قل معدل سريان الزمن، فعند بداية الدوران يكون الزمن أسرع ما يمكن وعند نهايته فى الدائرة الأخيرة يصبح أكبر وأبطأ.

سـبعة دوائـر حلزونية كل دائرة أكبر مـن الأخرى.. تلك هى السبع سموات.

ثم تتساءل هل يمكن ثقب طبقة من طبقات هذا الشريط الحلزونى وتشكيل ممر يقودنا إلى الطبقة التى بأسفلها فى طريق مختصر؟؟..

هل يمكن أن يحدث هذا الخلل الكونى.. جسـر يختصر الطريق إلى كوكب مختلف..

ربما أى جسـم يمكنه أن يؤثر فى تلك المنظومة إن احتوى على الطاقة اللازمة..

ولكـــن إن قمنا بتكثيف المغناطيـــس وتقويته وتركيزه فى مجال دقيق فسوف يتشكل ثقب صغير على سطح تلك المنظومة الكونية.

ويتكون ما يســمى بالثقب الدودى.. الجســر الذى يشبه صراط مستقيم باعث إلى أبعاد مختلفة تمامًا.

خلل كونى معقد يصعب فهمه لدى الإنسان بخبراته المحدودة، إلا من هداه ربه إلى هذا العلم الجليل.

وربما تلك الهندسة المقدسة هى ما مكنه فيه رب عزير بتحويله إلى مستوى أعلى من مستويات الإدراك.

أمر أوزيريـــس القوم بإحضار كل ما لديهـــم من خزائن الحديد والمعـــادن.. ثم أمـــر بجمـــع كل الحدادين نافخى الكـــير فى البلدة ومعهـــم أدواتهم مثل هذا الـــزقّ أو الجلد الغليظ ذى الحافات، وهو الذى ينفـــخ فيه الحدّاد، وهذا ما يســـمى بالأكيار.. وأمرهم بصنع أعداد وفيرة من نفس الشكل الهندسى العجيب!!

كان ما يصنعونه شـــيئًا يشـــبه المكعب الذى له اثنا عشـــر وجها مســـطحا خماســـى الأضلاع، وكان كل وجه به ثقـــب دائرى، وتلك الثقوب متفاوتة الأقطار تتصل بالمركز الأجوف منها.

هذا الشـــكل ذو الاثنى عشـــر وجه الذى أطلق عليه القدماء اسم زهرة الحياة، مكعب الميتاترون.

تعتبر زهرة الحياة رمزا من رموز الهندسة المقدسة التى تصف الأشكال الأساسية للكون والزمان، وتقول الأساطير عنها بأنها هى

النمـط المخطط الفعلى للكون، ذات هيـكل يربط بين جميع الأبعاد الكونية المحتملة ببعضها.

وكأن هـذا الشـكل يحتـوى علـى أسـس تصميـم التركيـب الذرى والجزيئى.

حيث تؤكد تلك الأسـاطير على الأهميـة الكونية القديمة لتلك الأشـكال المقدسـة، والتى تعتبر لبنات البناء لما نسـميه بالواقع، الزمان، والمكان..

فهـى تقدم مدخلاً للأبعاد المتعـددة، مكونة خلل فى المجالات الاثنى عشـر لنمط ثمرة الحياة من خلال الكرات الاثنتى عشـرة، ودخول البوابة أو دوامة المجالات.

ولكـن مـاذا سـوف يفعـل عزيـر بعد صناعـة تلك الأشـكال الأسـطورية الغريبة المتعـددة.. كان الحدادون يعملـون فى البلدة بلا راحـة ولا توقف تتصاعد رائحة الدخـان الكريهة من انصهار هذا الحديد، ويسـاعد فى هذا العمل كل رجـال البلدة ومن بينهم حورس وبوسايدون وأيولاس وزيس العظيم.

حتى اتجه حورس نحو أوزير وقد ناداه:

- يـا أوزير.. أشـكرك لأنك قد عدت من أجلنـا، وأنا أعلم أنك قادر على فعل ذلك الشىء العظيم، ربما سننتصر بسببك.. ولكن إن كانت نهايتى فى تلك الحرب، فسيكون شرفًا لى أن أراك فى حياتى أو أن أموت بجوار زيس العظيم.. شكرًا لك يا أبى.

* * *

كان أنتايــوس يعســكر بالقــرب مــن مدينة أثينا لا يســتطيع اقتحامهــا برجالــه الأقلاء مقارنة بالعدد الكبــير الذى قد وفد إلى أثينا من المحاربين فظل يراقب الأدخنة الســوداء المتصاعدة أعلاها منتظرًا اللحظة المناســبة للهجوم.. وإن كان هناك حرب قريبة مع العمالقة فليس هناك أنسب من هذا الوقت كى يداهمهم.

وبعيــدًا خلف جبال أوليمبوس فقد أعد كرونوس جيشًــا عظيمًا من الجيجانتس والتايتان والغيــلان وبهذا فقد اقترب كثيرًا موعد هجومه المنتظر.

أما فــى أثينا فقد اتخذ زيــس وابنه هوركليز القــرار بالفعل لــترك البلاد ومعهم الجيــش العظيم فى مبــادرة الترحال، ومع أول شعاع للشمس تتحرك فرقة الرماح تليها فرقة النبال والقصى ثم فرقة الأســلحة الصغيرة ثم حاملى المؤن والدواب. قبيل الفجر يســتيقظون فيضربون الأرض حتى حلــول الظلام كأنما يخوضون بحــرًا لجيًا عبابا، يمضى كل منهم يلاحق ظله تارة ويلاحقه ظله تارة، حتى يرخى الليل ســترته عليهم ويكلّ الظل منهم فيختفى فيمهلهم فيســتمهلون، وتــزلج عينهم وهنًــا، إلى شمس طازجة يعود معها الظل متحمّسًا نشطا، فيسبقهم فيحمّسهم فيلاحقونه، وتحمّ شمس الظهيرة شعاعها فتزيد الظل وهنًا وتقزّمًا، وتزيدهم لهيبًا وتقدّمًــا، يقتربون كثيرًا من جبال أوليمبس قاصدين منطقة (ثيســاليا) أو كما كانت تســمى فى ذلك الوقت.. (أيوليا)، والتى كانت الأراضى المثالية ذات الطبيعة المناســبة لتنفيذ مخطط زيس

العظيـــم، وكانت الليالى كاحل لا يلطف من دجنها ســـوى شـــعاع النجوم الساهرة وأضواء المشاعل حتى إذا جاءت سحابة من الغيوم الكثيفة خيمت على المكان فأقصت النجوم وتركت الجيوش رهينة البرد والظلام.

– يا أهالى الشـــمال.. طهروا النيل الـــذى يأتيكم من الجنوب.. أعدّوا بنفســـكم جيشًـــا عظيمًا واجمعوا الحشـــود وانتظروا الإشارة للهجـــوم.. ســـنطهّر نهرنا بأيدينا ولن نشـــربه بعـــد اليوم ملطخًا بدمـــاء إخواننا الجنوبيين المقتولين المظلومين بأيدى ســـت وجنوده الجبابرة.. اجمعوا الحشد.. اجمعوا الحشد.

تتناقل القوافل مـــن كل صوب وحدب باتجاه ديمن هور وتزداد كثافتها من الشـــباب والرجال المقاتلين الأشـــداء وتقلّ كثافة القرى المجـــاورة ويهدأ صخبهـــا الذى قد تضاعف فى أرض الحشـــد فى انتظـــار المخلـــص حورس الذى ســـيطهر أراضيهم مـــن ظلمٍ تمادى فحان حينه.

* * *

كان اليوم فى مدينة أور يمثل لهم عيدا بهيجا يذهب إليه القوم مرة فى كل عام إلى ظاهر البلد ليحتفلوا فيه.

ولكن هذا اليوم لم يخـــرج إبرام من بيته ليحتفل مع القوم، ولما جاءه والده ليأخذه معهم للاحتفال بهذا العيد.. رفض إبرام أن يأتى وقال لهم إنه ســـقيم بعد أن نظر نظرة إلى النجوم التى يتعبدونها،

وكان هذا بمثابة القسم لديهم وعليهم أن يتركوه حتى لا تغضب عليهم آلهتهم، فتولوا مدبرين إلى عيدهم.

وبعد أن خلت القرية من الناس أخذ قدومًا ثقيلًا وذهب خفية مسرعًا إلى مكان تلك الأصنام فوجدها فى بهو عظيم، وقد وضعوا بين أيديها أنواعًا من الأطعمة والخمور قربانًا إليها، ثم تعالت نبرة إبرام وهو يتحدث إليهم على سبيل التهكم والازدراء:

- ألا تأكلون؟؟.. مالكم لا تنطقون!!

ثم اجتاح عليهم فصار يهشمهم بغضب الواحد تلو الآخر حتى صار البهو خرابة يملأها الطوب والعفر، ثم وضع القدوم فى يد أكبر صنم فيهم وكأن هذا الصنم هو الذى فعل ذلك لأنه غار أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار.

ثم عاد إبرام لينام فى بيته مترقبًا القوم حين يأتون ويشهدون ما حدث وهل يصدقون!

* * *

وبين جبلىّ أوليمبوس وأويتا عند سهل ثيساليا كان العمل ضخما وشاقا من قبل زيوس وفريقه تحت السحب الكثيفة المتلبدة، يحملون تلك الأشكال ويضعونها بطريقة متراصة تشبه شبكة عنكبوتية كبيرة وتغطى المساحة الواسعة لهذا السهل الخفيض، والذى يعتبر الممر الذى سوف يعبر منه جيوش التيتان عند إقرار الحرب.

ثم صاروا يشعلون ذلك البنيان حتى يتوهج فيفرغ عليه أوزير

قطـرات مـن النحـاس المنصهر فتتماسـك القطع بعضهـا ببعض. خلف هذا السـهل يقف جيش زيس الثائر من ناحية ومن الأخرى يقطـن جيش التيتان العظيم، بينما يصعـد حورس فوق جبل أويتا وزيـس فوق جبـل أوليمبوس لمنـع أى منهم أن يتخـذ طريقه من فوق الجبل أو حوله.. هذا عندما أعلنت السـحب أمطارها الكثيفة الغزيـرة.. ومـا إن وصل حورس قريبًا من قمة الجبل حتى شـاهد جيش العمالقة الضخم يقترب من بعيد، فصار يشـير إلى جيوشـه بتأهب الاسـتعداد، بينما يتسـلق أنتايوس الجبل متتبعًا حورس حتى يحظى به وحيدًا ويقتله فى سلام.

هذا عندمـا أنار البرق وجوه الجيوش الغاضبة بقوة، وانسـدل الغيث الثجاج وزأر الرعد فى حماس معلنًا بذلك دور نفير الحرب الغاضب.. ولكنَّ شيئًا لافتًا آخر قد حدث عندما برقت السماء.. فقد جذب الحديد الموضوع على السـهل بين الجبلين هذا البرق الخافت الـذى قد ظهر وكأنه قد امتصه لتلمع فى هذا الحديد شـحنات من الكهرباء المضيئة ودوى منه رنـين الكهرباء الزنان وقد أضاء نورًا أبيض متوهجا لثوان معدودة ثم انطفأ مرة أخرى!!

* * *

«تضطرب السـماء وتهتز الأرض، أبواب السـماء تفتح، السماء تتطهـر من أجل أوزيـر والأرض تتطهر من أجـل حور يا حارس الطريق إلى البوابة العظيمة»

أمـا فى طيبة فقد بـدأ الأمل بالفعل يعود إلى الشـعب يفتعلون إضرابـات اعتراضيـة ويحتشـدون فـى الميادين لا يهمهـم إن تم تعذيبهـم أو قتلهم من قبل جنود الملك الظـالم الذى كان يصرخ فى جنوده داخل القصر.

– مـا بال الشـعب اليوم لا يخشـى العـذاب.. اقتلـوا كل من تجرأ وتمرد، واعثروا لى على من دبر ذلك الأمر.

وتدخلت نفتيس:

– لن يسبب الدم إلا المزيد من الغضب يا زوجى الحبيب.. اترك لى أمر الشعب ولا تقلق، ربما التفاوض معهم سوف يهدئ قليلًا من هذا الوضع الحرج.

– إن التفاوض يا زوجتى المخلصة لن يزيدهم إلا غرورًا.. سوف يدركـون قوتهم ويعترضون علـى كل أمر، الحل هـو العثور على قائد تلك الحملة حتى يكـون عبرة لمن يعتبر، فيردعهم ويجعلهم خائريـن، عندها يمكننى تقديم بعض العفو بمثابة كرم وإحسـان لهـم حتى يدركو من هو مالكهم العظيم، ولكن أتدرين ما هو عذاب الخائن يا زوجتى.

لم تعقب نفتيس حتى اخترق سيف صدرها أوغره أحد الحراس من خلفها، ويقف أمامها سـت وهو يعقب على حديثه وكأن شـيئًا لم يحدث لها، بينما هى تخرج أنفاسًا أخيرة من فمها ولا تستطيع سـحبها مرة أخرى حتى فرغت رئتاها مـن الهواء، بالكاد تخرج

صوت حشــرجة بدلًا من التعقيب وعيناها مندهشــتان تنظران إليه وإلى هذا السيف الذى يبدو لها وكأنه يخرج من داخلها:

– كم أحببتك، فلم أنظر لســيدة ســواك طوال عمرى، ولكن هل تظنينــى أحمق إلى هذه الدرجة، لقد أخبرتك يومًا أن الســلطة هى كل مجد قد بنيته لنفسى، فإن حاولت سلب أمجادى منى فسأسلب حياتك فى المقابل، وإن فشلتِ فى محاولتك فأنا لم أفشل قط.

ثم ســقطت خائرة فظهر من خلفها حارسه ينظر إليه حين أمره ســت بالتنقيب عن إيزيس التى افتعلت البلبلة الســمجة والقبض عليها وهى على قيد الحياة.

* * *

«يا فاعل الشــر، يا فاعل الشــر، يا من تزحف، يا من تزحف ليكن وجهك خلفك، احترس من البوابة العظيمة».

تقاربــت الجيوش كثــيرًا وكل رجــل يتأهب للقتــال والغيوم تتكاثــف فيتخافــت الضياء من أســفلها ويتضاعــف الغيث حتى زمجــر الرعد مــن جديد بقوة عارمــة فاصطدم مرة أخــرى ببقعة الردم المعدنية ذات الأشــكال الهندسية الغريبة بينما بدأت رؤوس العمالقــة بالظهور لــدى الجيش الآخر عندما قــد صعدوا على تلة صغيرة بين الجبلين يليها ذلك الســهل الخفيــض الذى قد لمع فيه الحديد هذه المرة بقوة بالغة وأصدر رنينه الغريب فبدأت تدور تلك الشــحنات بقوة حول بعضها مكونة دوامة غريبة تتسارع فتتقالب

على الأرض بين الجبلين تشبه هاوية سرمدية غريبة يسميها الإغريق (ثقب التارتاروس الأسود) الذى سوف يجذب ويبتلع أى شىء يقترب منه...

أما كرونوس الذى قد كان يتقدم جيوش التيتان العظيمة فقد لاحظ زيس يقف بين السحب على جبل أوليمبس الشامخ فترك جيشه وذهب متجهًا إليه..

وعلى قمة جبل أويتا قد وصل للتو أنتايوس الذى قد صاح بقوة وعلى عينه تنساب الأمطار..

- حورس.. أليس كذلك.

والتفت حورس إلى أنتايوس ثم ابتسم قائلًا:

- يبدو أنك لم تكتف بفقدان عين واحدة، فتمعن فى تلك السماء الماطرة لأنها سوف تكون آخر ما تراه اليوم.

ثم امتشق أنتايوس القوى سيفه غاضبًا متأهبًا للقتال.

وبالأسفل بينما انفتحت التارتاروس العظيمة أصبح ينجرف فيها كل من وصل إلى نهاية التلة المرتفعة وبدأ فى هبوط السهل المنخفض فتجذبه تلك البوابة بطريقة غريبة فينزلق العمالقة الواحد تلو الآخر وتبتلعهم دوامة التارتاروس الضخمة فتمتصهم إلى المجهول.. ربما مكان أو زمان أو أرض مختلفة.

«تأتى مياه الحياة التى فى السماء وتأتى ينابيع الحياة التى فى الأرض، السماء تتوهج لك والأرض تزلزل لك والجبلان ينشطران والمجد يأتى إلى الوجود»

وعلـــى جبل أوليمبوس قد انقض كرونـــوس على زيس راكضًا وضد زيـــوس هجومه بكفيـــه ثم ظل يتصـــارع العملاقان ســـويًا تحت المطر بلا سلاح ومن أسفلهم بوابة التارتاروس الجائعة، إلى أن دفع كرونوس زيس بذراعه وهو يصرخ من شـــدة الاســـتحكام حتى سقط زيس وكان أسفله جرف الجبل المائل فانزلق بقوة حتى وصل إلى منحدر هائل وظل متشبثًا بالصخور بقوة متعلقة قدماه فى الهواء وأسفلها التارتاروس، وخلفه يلوح البرق ويقترب من أمامه كرونوس بتأنٍ..

وتسلل رجال أنتايوس بين جيش حورس لمحاولة قتل من تيسر من الجيش، بينما قد غير بضعة من العمالقة وجهتهم لاتخاذ طريق آخر عبر الجبل للوصول إلى الناحية الأخرى منه.

* * *

وفى طيبة قد أمســـك للتو رجال ســـت بإيزيس التى لم يكن من المجهد العثور عليها، وســـرعان ما أمر الملك ســـت بتكبيلها على لوح هائل أمام القصر العريق كعبرة لمن تآلب وتآمر مما أدى بالفعل إلى فقدان الحماسة والأمل لدى الحشود المترصدة، وعاد الخوف إلى القلوب مرة أخرى وتراجع الشـــعب خطوات عن قراره وربما أدرك أن كل ذلك كان قرارا طائشـــا ســـفيها، ولم يكن ســـرقت قادرا على إعادة إحيائه مرة أخرى.

* * *

وفـــى مدينة أور بعدما عاد قوم إبرام فاكتشـــفوا ســـريعًا ما حل بأصنامهـــم المتعاظمة فتفاقم الغضب بينهم وتيقنوا جيدًا بأن الفاعل هو (إبرام) وذهب حشـــد فأحضروه وكبلوه، بينما يســـتفهمه أبوه مســـتنكرًا وهو ينفطر قلبه على ابنه الذى سيلقى العذاب «هل أنت من افتعل ذلك الصنيع الشائن يا بنى» وأجابه إبرام «ألستم تعبدون ما تنحتـــون، انظروا إلى كبيرهم إنه هو من يمســـك بالقدوم، ربما قـــد غار من أن تعبـــد معه أصناما أخرى فهـــمّ بتحطيمها» وبالطبع قد اســـتنكر القـــوم وقال الكاهـــن كبيرهم «تـــزدرى بعقولنا يا ابن تارخ!!، وكيف ســـيحطمهم وهو صنم عظيم لا يتحرك ولا يتكلم» وأجاب إبرام: «إذًا ومن يقوم بجمع تلك القرابين إن كان لا يستطيع الحـــراك» فبهت القوم وانتبهوا وارتبـــك الكاهن ثم أردف غاضبًا: «إنه يســـتخف بعقولنا ويســـخر من آلهتنا، لقد أمرت الآلهة بأن نبنـــى له بيتا فى الجحيم، ومن يتبعه منكم فســـوف يلقى معه فى تلك النيران الجائعة التى سوف نعدها له ولمثله من المتمردين»

لم يتحدث أحد مـــن الرعب، وبالفعل قـــد كان التجهيز ضخما ومتقنا لتشييد نيران باهظة ضخمة لا تنطفئ ولا ترحم من العذاب، وتم تكبيل إبرام الذى ســـوف يكون عبرة، وســـرعان ما تم إشـــعال النـــار العظيمة المتأججة وأقبل القوم إليـــه يزفون ويحملونه مكبلًا فيتوجهـــون به إلى اللهيـــب الجائع والكل متأهب ليشـــاهد غضب الآلهة الذى قد أحلوه على إبرام.

***

وخلف جبـــال الأوليمب قد انبثق بعض مـــن العمالقة يطيحون بأرجلهم الجيش المستضعف حتى بدأ يفقد استقراره، ومن الناحية الأخرى قد اندس بينهم رجال أنتايوس يقتلون بغتة رجال الإغريق شر قتل وهم فى ذلك الاضطراب الوخيم.

* * *

تنغمر الأمطار ويتوالى الرعد متســاقطًا بغزارة نحو التارتاروس وتتكاثف السحب فوقه بينما كان القتال عظيما بين حورس وأنتايوس حتـــى دفع حـــورس أنتايوس بقدمه وضربه على ســاقه بالســيف فجرحها وهجم عليه حورس بيـــده الأخرى يلكمه فى وجهه بقوة بالغة إلى أن سقط السيف من أنتايوس خائرًا وكاد يسقط أرضًا، حتى التفتت أنظار حورس فجأة إلى ما حدث من اضطراب لجيشه بالأسفل وظهر الغضب على وجهه بوضوح، ولكن فى الحروب لحظة الســهو الواحدة تضارعها الخسائر النزرة.. استعاد أنتايوس تركيزه سريعًا وأمســك بيد حورس تحت إبطه الأيســر وبيده اليمنى أمسك رأس حورس ثم غرس إبهامه بقوة فى عينه فخرقها بجبروت وهو يصرخ فيأخذ منه انتقام قد انتظر لســنوات والدماء الغليظة تنســاب على وجهه يبلجها وميض البرق وتبعثرها الأمطار.

* * *

لاحــظ إيولاس رجــال أنتايــوس المتغلغلين فــى الجيوش فظل يداهم بــين الجيوش نحوهم فقتل منهم بســيفه الواحد تلو الآخر

تلــو الآخر، حتى لاحظه أحدهم فطعنــه فى ظهره دون أن يدرك، ليخرج الدم من فم أيولاس مندفعًا، الذى قد اســتدار والسيف غائر فيه فقام بقتل قاتله بطعنات ظل يكررها حتى أخرج آخر أنفاســه ثم سقطا أرضًا وسط الحشود.

* * *

وفى طيبة خرج الملك ست أمامهم غاضبًا وقد صاح بصوته الشديد أمام الحشود:

- أمنحكم اليوم الســماح على ما فعلتموه من افتراء، من يعصى كبيره يلقى العــذاب طوال حياته، وأنا ســأمنحكم فرصة أخيرة، أما من تجبر وكفر فسوف يكون عبرة لمن يعتبر..

ثم أخرج ســيفًا فقطع بــه رأس إيزيس المكبلة وســقطت أرضًا، ثم أشــار إلى جنوده فأشــعلوا نارًا بالحطب أســفل إيزيس ليتركها تحترق أمامهم تثير عبرة ورعبًا فى النفوس.

* * *

اقــترب كرونوس مــن أوزيريس الذى قد ظل متشــبثًا بالجرف عاجزا عن الصعود وظل كرونــوس يضرب بقدمه على أصابع أوزير حتى كادت تتواهن ويسقط فى التارتاروس الذى صنعه، إلا أن فجأة أمســك أوزير بقدم كرونوس باســتحكام وإن كان سيسقط حتمًا فلا مانع أن يسقط الاثنان معًا..

تتخبط رؤوسهم وأجسادهم فى الجبل أثناء السقوط ويضرب البرق المستمر خلفهم حتى سقط الاثنان فى السهل وقد ابتلعتهم التارتاروس الجائعة فما استطاعوا الخروج منه وما استطاعوا العودة.

***

ألقى القوم إبرام فى النيران الجائعة مهللين ومحتفلين، حتى إذا مست النار إبرام فتحول لونها الأحمر الأجاج إلى اللون الأزرق الفاتح المضىء! !.. هكذا أمر رب إبرام ورب النار بأن تكون بردًا وسلامًا عليه فلا تحرق ولا تأكل ولا تقتل.. وظل القوم يراقبون متعجبين من لون النار الزرقاء الباهتة لا يدركون أنها رحمة من الله على عبده المخلص البار.

«فتحت السماء، فتحت الأرض، فتح الشرق، فتح الغرب، فتحت الأبواب وفتحت البوابات» .

***

وفى طيبة عندما قُتلت إيزيس لم يثر هذا رعب الشعب بل أثار سخطه وامتعاضه، فغضب الشعب أكثر وثار عليه أكثر.

أحيانًا يحتاج فاقد الوعى إلى صفعة ليستعيد إدراكه..

وقد انتظر هذا الشعب حتى نال صفعته ذات القوة البالغة.

اجتاح الشعب المحتشد القصر يتقدمهم سرقت حتى أدبر الملك

ست بالفرار فى فزع ومعه من استطاع من حاشيته وكهنته وجنوده وهرب بعيدًا باتجاه الشـمال وهكذا قد أصبح سـرقت بمثابة حاكم جديد على طيبة وبطل شعبى لها.

* * *

أظهر بوسـايدون مهارة حاذقة فى إعـادة الصفوف مرة أخرى وإسقاط وقتل بعض العمالقة، وعندما أوشكت الأمطار على الانتهاء وبهتت السحب وسطعت الشمس وكادت أن تنغلق التارتاروس، كان قد تقهقر المردة وغلبوا على أمرهم وسـقط آخر العمالقة المتزاحمين فى تلك البوابة السرمدية مجهولة وجهتهم، ربما إلى أرض أخرى لم يكتشفها أحد حتى الآن.

«جب سيجعلهم فى أسفل سافلين مدينته سيفرون ويغوصون فى فزع ولكنك ستكون فى قبة النجوم»

وإثـر أن ضرب عينه أنتايـوس كان رد فعل حورس الفطرى هو غرس السـيف فى معدته للدفاع عن نفسه وإبعاده عنه، حتى سقط أنتايوس قتيلًا من فوق الجبل إلى الأرض ولكنه لم يلحق التارتاروس قبل أن تغلق، بل سقط جسده متهشمًا فوق هذا الحديد ليحدث دويًا يعنى بذلك انتهاء الحرب التى لولا تدخل زيس العظيم لما ارتدعت إلى هذا المنوال أبدًا.

«السـماء تفتح والأرض تفتح ومصاريع شرفات الغيبة السماوية تفتح وتنجلى حركة المحيط الأزلى وتحرر حركة ضوء الشمس لعل

السـماء تجعل ضوء الشمس قويا من أجلك وأنت تحيا لأن الإله أمر بأنك ستحيا».

* * *

تبددت الظلمة وانسـكب نور الفجر الأزرق الهادئ واشتد البرد كثـيرا وإن كان منذ قليل أكثر برودة ولكنهم لم يشـعروا به سـوى الآن عندمـا هـدأت الأبدان وتراخـت القوى وتزعزعـت وحضرت سكينة تنبثق من الصخب المتلاشـى، يحل البعض أجزاء الميتاترون من بعضها لأخذها تذكارا على هذا الانتصار العظيم، والبعض الآخر يشـعل النيران فيما بقى من جثث العمالقة حتى تصبح رمادًا.. ربما للتدفئـة من البرد القارس وربما كـى لا تعود عظامهم من الموت مرة أخرى مثلما حدث مع أوزير، أو ربما للسببين معًا..

وتسـلق بوسـايدون جبل أويتا للاطمئنان على حورس الذى لم يهبط من أعاليه بعد، وما إن وجده منبطحا على الأرض تملأ وجهه الدمـاء حتى قطـع من ثيابه وضمـد له جرحه تحت ضيـاء القمر الخافت ثم اسـتلقى جواره إلى صباح العهـد الجديد ثم يأخذه على متن البيغاسوس إلى أراضى الجبت مرة أخرى.

«انظـر على وجه حور لعلك تزيل الإصابة التى عليه لعلك تزيل انتهاكه»

«أيها الملك، لعل اسمك يحيا على رأس الأحياء لعلك تكون روحًا أيها الملك على رأس الأرواح فى عيون كل شـىء سوف أراك وسوف أسمع اسمك أيها الملك أنا أهبك عين حور..

.. انهــض بنفســك يا أبى الملــك العظيم، حتــى تجلس أمامهم مصاريع شــرفات الســماء مفتوحة لك وخطو شــعاع شمسك غامر، أقــول لك هذا، يا أبى الملــك، أنا أصيح هيا أيها الملك أنك لم تمت، عش بينـهم، عش بينـهم».

* * *

وبعد أيام خرج إبرام من النار ســالمًا آمنًا فتيقن القوم ســريعًا أن لهذا الكون خالق قدير.. وعُرف بعد ذلك باسم (إبراهيم) خليل الله.

وفى طيبة قد جمع سرقت جيشًا عظيمًا وسار باتجاه الشمال متتبعًا الملك ســت لقتله هو ومن معه، وفى الوقت نفسه يتجه بهذا الجيش مستمرًا نحو كا فى بلاد الشمال مبتدئًا حروب التوحيد فى مقاطعات الشمال حتى تصبح تلك الأراضى مملكة عظيمة واحدة كما كان يحلم صغــيرًا، ويبدأ عهد أســرات جديد تعــود فيه البــلاد إلى أمجادها ويأتيها ملوك عظام يعيدون تشييدها ويخلد التاريخ أسماءهم.

وفى ديمنهور قد وصل حورس الذى قد فقد إحدى عينيه إلى تلك الأراضى حتى وجد آلكيدر قد أعد له من رجال البلدة جيشًــا عظيمًا يتأهب لهجوم عظيم على الملك ست ورجاله نحو الجنوب..

وهكذا قد وجد ســت نفســه فجأة ضعيفا بلا دعم يُذكر ومحاصر بين جيشــين عظيمين، واحد أمامه ترفع أعلامــه التى قد اتخذت عين حورس رمزًا لها وأســفل العين يوجد نقش لســاق وذيل صقر، ويتقدم الجيش حورس الذى يتأهب بشراسة لقتاله.

وكذلــك كان مــن خلفه جيش آخر يقوده ســرقت الذى قد سمى نفســه (الملك العقرب) والذى من سلالته سوف يكون الملك (نارمر) مؤســس الأســرة الأولى لبلدة مصر العظيمة ليصبح أول ملوكها بعد سقوط الملك كا وتوحيد القطرين.

وقال الملك ست كلمته الأخيرة:

- سأعيش ملكًا وأموت ملكًا.

ثم وقف رافعًا يديه ناظرًا إلى السماء.

* * *

تناقلــت قصة حــورس بقوة عبر الحضــارات القديمة وكان لها تأثير عظيم على ثقافات العالم، فكل حضارة أصبحت تنقلها فتغير فــى مســمياتها لتتوافق مع لغتها ثم تحذف منهــا وتضيف عليها وتنســبها إلى نفســها، وقليل من الحضارات التــى لا تحتوى على جــذور لتلك القصة، فمثلًا فى الأســاطير الإســكندنافية قد تحول اســم حورس من (حور) إلى (ثور)، المحــارب العظيم الذى يمقت العمالقــة ويحاربهم دفاعًا عن البشــر ويســتخدم فى ذلك مطرقة، وهى تشــبه هــراوة حــورس.. وكذلك أخذتها الأســاطير فى بابل وحولت ملاحمه مع العمالقة إلى ملحمة البطل (جلجامش) العظيمة أو عن أبيه (تموز) العائد من الموت فى الأساطير السومرية.

وهكــذا تتباين الأسماء ما بــين المخلصين الأبطــال أو محاربى العمالقة أو العائدين من الموت عبر الحضارات القديمة بأكملها مثل

(نينورتا) و(أنكى) و(أوتو) و(فشـنو) و(دوموسين) و(إيليا) التى تصوره بعض النقوش البابلية كعملاق يهديه البشـر شـيئًا يشـبه زهرة الميتاترون.

وفى الأسـاطير الإسـكندنافية قد تحـول اسمه مـن (أوزير) إلى (أوديـن) وقيـل إنه هو الذى قـد فقد عينه، وقد فصل بـين العمالقة والبشـر جسر اسمه (جسر بيفروسـت) وتتنبأ الأساطير بأن العمالقة سـوف يحطمون هذا الجسـر فى المسـتقبل ويعودون لمقاتلة البشر فى معركة اسمها (راجناروك) وذلك يشـبه معركة (يأجوج ومأجوج) مع البشـر.. وقد روتها بعض الحضارات الشرقية عن ذى القرنين الرجل العظيم الذى قد وضع حاجزًا بين البشر وبينهم وقد سمى بذى القرنين لأنه قد عاَش عهدين مختلفين، وربما قد حدث لبسٌ غريب عند بعض العرب فى تفسير القرنين إلى قرنى حيوان، أما العرب فقد عرفوا جيدًا قصـة الرجل الذى قد لبث مائة عـام وقالت العديد من المصادر إن هذا الرجل قد كان اسمه (عزير) وهناك أقوال عديدة فى ذلك.

أصبح الملك سـت يرمز له بإله الشـر والظلام، (الشـيطان) فى اللغات السامية.. وقد عرف ست بأنه كبير الشياطين وإله الشرور، ثم تم دمج كلمة سـت مع كلمة شـيطان لتصبح (سـاتان) وأصبحت ترادف الشـيطان فى اللغات الغربيـة، وكان من المعروف أن كبير الشـياطين يدعى (إبليس)، ومنها خرج اسـم عدو حورس فى بلاد الإغريق (هاديس) وإله العالم السفلى.

أما فى الحضارة المصرية فقد تسـببت عودة أوزيريس من الموت فى ترسيخ اعتقاداتهم بإعادة البعث بعد الموت، فأصبحوا يحنطون جثثهم وقد جعلوا أوزيريس إله للموتى والحسـاب، حيث يذهب المتوفى فى رحلة سبات طويلة تدعى رحلة الشمس! ! وهذه الرحلة المزعومة سـيطرت على تفكـير الكهنة تماما، بـل كانت المحور الرئيسـى لجميع الكتابات الجنائزية، مثـل نصوص كتاب الموتى والتى بدأ الكهنة فى اختراعها كوسيلة وألعوبة لكسب الأموال من الأثريـاء وإعطائهم هذا الكتاب بمبالـغ باهظة فى اعتقاد أنها هى التى ستساعدهم فى الحياة الأخرى.

وضاعت أصول أسـطورة حورس فى ضبـاب التقاليد الدينية لما قبـل التاريخ، وقد كانت مقتصرة فى البداية على الملوك وزوجاتهم فقط كما فى نصوص الأهرام، ثم امتدت لتشـمل الأمراء، الوزراء، ثم كبار الموظفين، والأغنياء، وهذا قد جعل كمية النصوص ضخمة، وعدد النسخ هائلا، وتنوع الأفكار الجزئية كبيرا.

ولكن برغم الإضافات والتحريفات إلا أن الجوهر الرئيسى للقصة العظيمة مازال بارزًا فى كل كتاب.

مثلًا فى المنطوقة رقم ٣٧٣ من نصوص الأهرام يقول الكاهن:

- أقم نفسك أيها الملك.
- استلم رأسك، ضم إليك عظامك.
- اجمع أطرافك.

– انفض التراب عن لحمك.

– خذ رغيفك الذى لا يتعفن، وجعتك التى لا تُنتن.

وقد حرص المصريون على وضع الطعام والشـــراب مع الموتى أيضًا وكذلـــك عثروا فى الأســـرات الأولى والثانية علـــى جثث الحمير قد دفنت برفقة الملك المتوفى.

ومن أهم ألقاب أوزيريس هـــو لقب «خنتى أمنتيو» أى أول أهل الغرب والذى يعنى «رئيس سكان بلاد مغرب الشمس»

أما الأعجب منه فهو أن أوزيريس كان يلقب أحيانًا بذى القرنين.

ففى كتاب الموتى يقول الكاهن:

«تحية لك يا أوزوريس، يابن نوت، يا ذا القرنين»

وغيرها من النقوش.

وهكذا قد أخذت حضارة الإنكا منها اعتقاد التحنيط والعودة بعد الموت، وتناقلت الحضارات فى تلك الفترة ثقافة حرق جثث العمالقة إلى الرماد حتى لا يعودون من الموت مرة أخرى مثل عزير، بل أصبح بعض الهـــواة ينقبون عن تلك الحفريـــات فيحرقونها ويحتفلون، وهـــذا بالطبع قد ســـبب ندرة فيها.. وفى الأســـاطير الإغريقية فإن هركليز البطل الذى قد ولـــد فى طيبة ابن (زيس)، (زيوس) كبير الآلهة الذى قد انتصر على الجيجانت وأنهى حكم التيتان، ويرمز له أيضًا بكوكب المشترى، كما كان سلاحه يتمثل فى صاعقة البرق، وهو الذى قام بحبس العمالقة فى التارتاروس بمساعدة (هوركليز) وربما قد يعودون منها مرة أخرى فى المستقبل!!

وهكــذا بطريقة أو بأخرى قد حدث العديد من اللبس فى القصص والتعقيد والتضارب وتشابه المسميات، وربما حدثت بعض المحاولات القديمة لإعادة المفاهيم السليمة.. ولكن دائمًا الإنسان يدافع بطبيعته مستميتًا عن تلك المعلومة الأولى التى قد عرفها، ولو كان لا يجد لها تبريرًا، تلك هى المعلومات الأولية التى قد جمعت منها تلك القصة.

وتتبايــن قصص الحضارات من أرض لأخــرى باختلاف ألوانها مثل تباين ألوان الطيف الســبعة التى تخرج من المنشــور الهرمى، ولكن تلك الألوان الســبعة التى تراها تخرج عبر المنشور الزجاجى ليست فى الحقيقة إلا شعاع أبيض صافى ناصع البياض.

«أنا حورس سيد الأرض السمراء (مصر) وسيد الصحارى (البلاد الأجنبيــة) الذى ضرب أعداءه وصــد المتمردين بقوته المدمرة يجبر الآخرين على الخرس ســيد الجوع، أمير مصر، ســيد مملكة أبيه الأفضل أنا حورس ابن أوزير»

* * *

علــى أراضى طنجة قد وصلهم للتــو رجل ملثم أمام هذا الكهف الــذى كانت تحبس فيــه (هاتــور) حيث يقف حوالى عشــرة من الحراس.. ثم أخرج هذا الملثم ســيفه فانتبــه له الحراس كل يضع كفه على مقبض سيفه.. ثم نزع هذا الرجل اللثام فاتضح أنه حورس الذى قد حدّثهم بصوت حصيف:

– هل ستتركونى أعبر أم لابد من القتال؟

حتيٍ إذ أخرج كل حارس سيفه فتفهم حورس الذى أردف:
- إذا اخترتم القتال.
و بتريث انخفض حورس بجسده قليلًا وهو يفرد ذراعه إلى أقصى اليمين بالسـيف فغرسه قليلًا بالأرض ليتناول على نصله حفنة من التراب ثم رفعها بالسـيف سـريعًا نحو اليسار فتطاير التراب من على السيف فى رسمة نصف دائرية يستهدف وجوه الحراس الذين قد أغمضوا أعينهم بسرعة وسـط غيمته الواحد تلو الآخر وما لبث أن تلاشـت تلك الغيمة حتى كان قد نال كل منهم لكمته ساقطًا من البطل المحارب الذى قد دخل إلى الكهف لإحضار هاتور.
تزوج حورس بعد ذلك من هاتور وعاشـا طويلًا فى هدوء بعيدًا عن الحروب والصراعات، وعاد حورس للعمل بالزراعة مرة أخرى، وأنجبوا وليدا جديدا لهم وسموه (هابى).
وهابى كلمة جبتية الأصل تعنى السعادة.

* * *

أهم المصادر والمطالعات

- المعجم الوجيز - هيروغليفى عربى - للدكتور سامح مقار.
- الجزء الأول والثانى من موسـوعة قصص الأنبياء والتاريخ - للدكتور رشدى البدراوى.
- البداية والنهاية لابن كثير.
- تفسير ابن كثير.
- ذو القرنين - حاتم الهمدان.
- بعـض العبارات التى تم وضعها بـين الفصول وبداخلها هى اقتباسات منقولة أو مستوحاة من:

١ - متون الأهرام المصرية القديمة - ترجمة: حسن صابر.

٢ - كتاب الموتى (الخروج فى النهار) - ترجمة: شريف الصيفى.

٣ - مصـر القديمة - جيمـس بيكى - ترجمة للأسـتاذ نجيب محفوظ (وأُخذ منه اقتباس فى وصف سوق المدينة) .

- العـالم قبل الطوفان (الفصل الخاص بالحـروب النووية التى حصلت قبل التاريخ) - ترجمة وإعداد علاء الحلبى.
- لماذا فقد حورس عينه - للدكتورة ميرفت عبد الناصر.
- هرقل فوق جبل أويتا - سينيكا.

- أوزيريس وعقيدة الخلود فى مصر القديمة - سيد القمنى.
- معجم الحضارات السامية - هنرى س.عبودى.
- كتاب الخروج إلى النهار - السـير: والـس بدج - ترجمة: د. فيليب عطية.
- آلهة مصر العربية - للدكتور على فهيم خشيم.
- الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة - سير و.م فلندرز بترى.
- سـر قوة الهرم الأكـبر، للكاتبان: بيل شـول، وإد بتيت - ترجمة أمين سلامة.
- أصل الفلسـفة - حول نشأة الفلسفة فى مصر القديمة وتهافت نظرية المعجزة اليونانية - دكتور حسن طلب.
- أم الحضارات - مختار السويفى.
- مكتبة الإسكندرية - صفحة مصريات.
- مطالعات موثقة من موقع Wikipedia.
- موقع الأنبا تكلاهيمانوت.
- العهد القديم.
- القرآن الكريم.

- وشكر خاص للدكتور حاتم الهمدان صاحب كتاب ذو القرنين.
- وشـكر خاص للكاتب أحمد سعد الدين صاحب «كتاب فرعون ذو الأوتاد».

ملحوظة

فيما تم ذكره عن الأنبياء أو غيره فى تلك الرواية وبرغم أنه قد كان معتمدًا على بعض الأقوال لعلماء وباحثين كبار فإن فى تلك المصادر كان هناك القــول والقول الآخر.. وكلهم كان يحتمل الصواب، فاضطررت أن ألجــأ إلى أحدهما متجنبًا الآخر للتضــارب بينهم ولا أدّعى العلم بأيهمــا أصح، وهكذا قد حدث فيمــا تم جمعه من ثقافات الحضارات ولذلك فــلا يجب أخذ تلك الأحداث على أن لهــا النصيب الأكبر من الصواب وإنما هى من باب العلم بالشىء ومرابطة للأحداث طارقًا باب البحث مــرة أخرى وأنا لا أغلّط أحدًا ولا أصدق على آخر وإنما هدفى هو طرح ســؤال «ماذا لو؟!» وأنا موقن بأن الرواية قد تحتمل نســبة كبيرة من الخطأ والله أعلى وأعلم.

الكاتب

٢٠ ديسمبر ٢٠١٦

طبع بمطابع دار المعارف

هل تشابهت قصص الحضارات القديمة إلى هذا الحد ؟!
أم هى قصة شهيرة واحدة ذاع صيتها وحُكيت بأكثر من طريقة ؟!
حورس وأوزيريس، هركليز، وزيس، ثور، نو القرنين، ومعركة يأجوج ومأجوج هل تلك القصص حقيقية متشابهة.... وأى عهد من الأنبياء عاصرت؟! كيف كان قدماء المصريين والإغريق يؤمنون بأساطير خرافية.
حورس رواية تناثرت أوراقها عبر الحضارات، ولكن عندما نجمع الخيوط معا.. ستكتشف أنك تذكر اسم شاب صنع التاريخ.

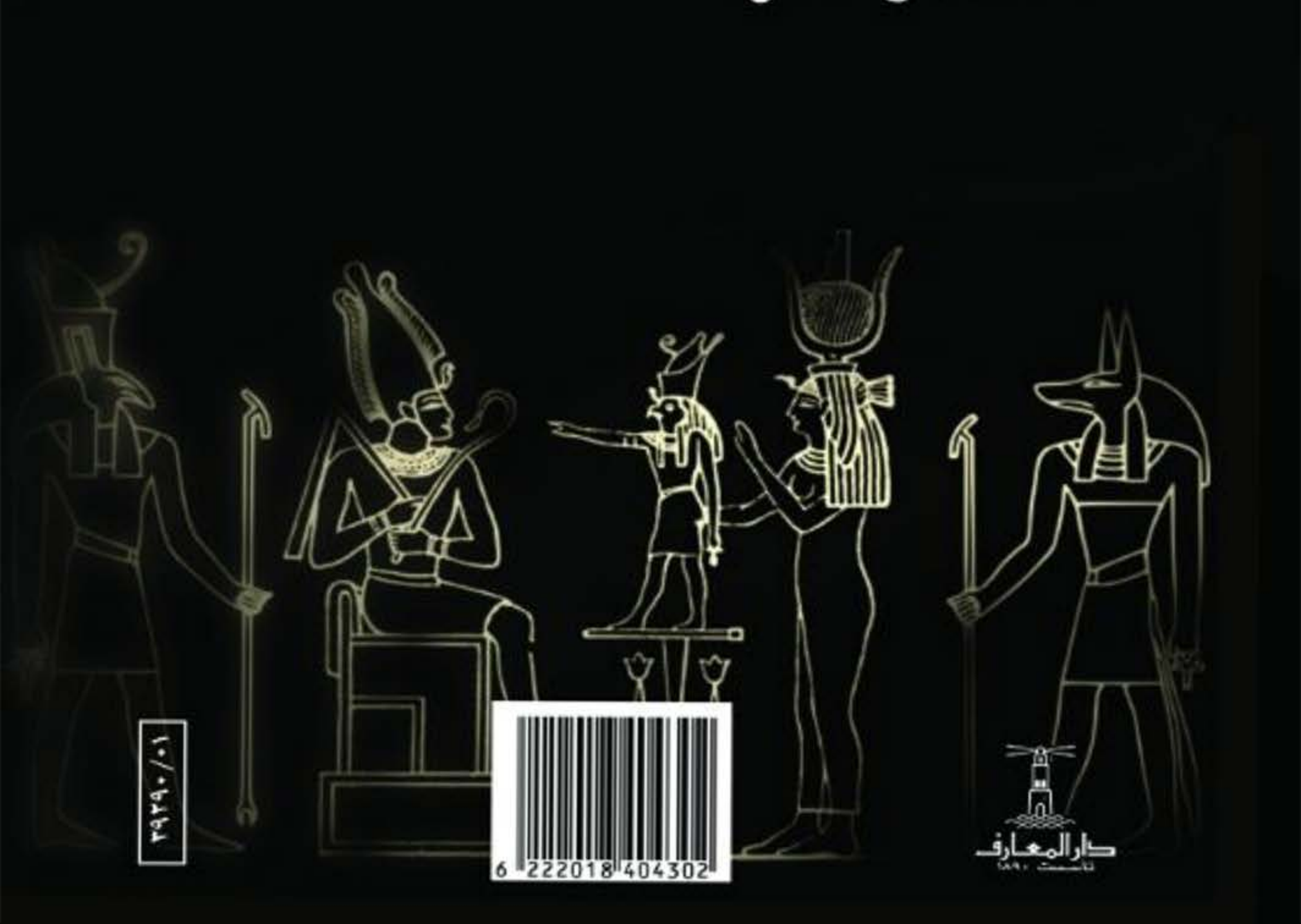

٣٩٢٩٠/٠١
6 222018 404302
دار المعارف